Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

891
PS
.K
R
1
SPC
PJ
776
.K53
R38
1879
RBK

رسائل

لأبي بكر الخوارزمي

٢٠٩٧

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ طبعت بمطبعة الجوائب ﴾

في

﴿ قسطنطينية ﴾

١٢٩٧

Digitized by Birzeit University Library

19396

٧٤٤

فهرسة رسائل ابى بكر الخوارزمى

صحيفة

٠٠٢ كتب بها الى الحاجب ابى اسحاق لما نكبه الوزير ابن عباد رحمه الله

٠٠٨ وكتب الى كثير بن احمد لما هرب من الامير ابى الحسن

٠٠٩ وكتب الى محمد العلوى من الرى فى هذه المحنة

٠١٠ وكتب الى تلميذ له فوض اليه اشغاله

٠١٢ وكتب الى تلميذ له قطع فى مجلس وكابر و اختلط

» وكتب الى ابى عمر المكندرى وزير صاحب جرجان

٠١٣ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة و قد طولب ابو بكر بحضور الديوان فانفعل

٠١٥ وكتب الى رئيس طوس يعزيه عن شقيق له

٠١٦ وكتب الى ابى الحسن الطرحودى بدار طوس

٠١٧ وكتب الى وزير قابوس بن وشمكير

٠١٨ وكتب الى رئيس بهراه يعزيه بابن اخته و بنته

٠٢١ وكتب الى صديق له جواب كتابه

٠٢٢ وكتب الى حاكم

» وكتب الى نائب الوزير ابن عباد باصفهان

٠٢٣ وكتب الى ابى الحسن الحكمى

» وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة

٠٢٤ وكتب الى ابى الحسن على بن دايه

٠٢٦ وكتب الى ابى الحسن الحكمى

» وكتب الى ابى الفرج لما قلده خلافة البندار بطوس

٠٢٧ وكتب الى وزير خوارزم شاه لما نكب وكان خريجة هرجة

٠٣٠ وكتب الى ابى على البلعمى لما فارق الحضرة و ورد نيسابور

وكتب

Digitized by Birzeit University Library

PJ
7750
.K53
R3

صحيفة

٠٢ وكتب الى ابى محمد العلوى

٠٣٧ وكتب الى تلميذ له قصيدة يسأله نسخة قصيدة مما احدثه

٠٣٨ وكتب الى حاجب الوزير ابن عباد وقد وردت عليه كتبه ثم انقطعت

٠٤٠ وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم

٠٤١ وكتب الى كاتب الرئيس بنيسابور

٠٤٣ وكتب الى ابى الحسن الحاكم بن ابى حاتم لما هرب من نيسابور الى بخارى بعد ان ارادوا القبض بها عليه وبعث خلفه فلم يجده

٠٤٥ وكتب الى وكيل الوزير ابن عباد باصفهان وقد ولى سوق الطعام بعناية وهو امى

٠٤٧ وكتب الى ابى القاسم الدوادى اول ما افتتح بمكاتبته

٠٥٠ وله الى تلميذ له وكتب اليه رسالة وقصيدة

٠٥١ وكتب الى رئيس سرخس وقد ورد عليه ابنه يعتذر من تقصيرة اليه

٠٥٣ وكتب الى صاحب البريد بالرى كتبها من اصفهان

٠٥٥ وكتب الى اردهل وقد ورد عليه خبر علته

٠٥٦ وكتب الى يزيد صاحب سمرقند

٠٥٧ وكتب الى الوزير ابن عباد لما ورد باب جرجان لقتال الامير قابوس بن وشمكير

٠٦٠ وكتب الى كثير بن احمد يعزيه عن ابنة له

٠٦١ وكتب الى ابى محمد العلوى جوابا عن كتابه

٠٦٤ وكتب الى كاتب

» وكتب الى صاحب الديوان بالحضرة

٠٦٧ وكتب الى وزير صاحب خوارزم

٠٦٩ وكتب الى ابن سهل سعيد بن عبد الله الكاتب

٠٧١ وكتب الى ابى القسم وقد انهدمت داره عليه وسلم

» وكتب الى ابى احمد الرازى بنيسابور

Digitized by Birzeit University Library

صحيفة

٠٧٣ وكتب الى صاحب الديوان يوم المهرجان

« وكتب الى ابى سعد احمد بن شبيب

٠٧٥ وكتب الى تلميذ ورد له كتاب ترتفع الفاظه عن كتابه مثله وطلب نسخة شعره

٠٧٦ وكتب اليه ايضا

« وكتب الى حاجب ركن الدولة بالرى

٠٧٧ وكتب الى ابى عبدالله النحوى الخطيب بالرى

٠٧٩ وكتب الى قاضى الرى ابى الحسن بن شادان

٠٨٠ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة

٠٨٢ وكتب الى الوزير ابن عباد لما فارقه ومر باصفهان وتوفيت اخت الوزير

٠٨٥ وكتب ايضا الى بندار نيسابور من الرى لما رجعت الوزارة الى الوزير ابن عباد وعفا عن ندماء ابن العميد

٠٨٩ وله الى بعض حكام الرساتيق لما رجع الى نيسابور

٠٩٠ وكتب اليه ايضا

٠٩١ وله الى فقيه بلاد قومس وقد ورد عليه ابنه للقراءة

٠٩٢ وله الى خلف بن احمد

٠٩٣ وكتب الى ابى قاسم بن ابى الفرج كاتب ركن الدولة لما عزل

٠٩٤ وكتب الى ابى على البلعمى بعد ابيات استبطأ جوابها

« وكتب الى تلميذ له من فقهاء نيسابور لما هرب من محمد بن ابراهيم

٠٩٥ وكتب الى ابى على البلعمى لما بلغ منه عتبه وخرج توقيعه بالتقريع واللوم

٠٩٦ وكتب اليه لما طال عتابه وكثرت رقاعه اليه

٠٩٧ وكتب الى ابن سمكة القمى وقد اهدى اليه مع كتابه هديه

٠٩٨ وكتب الى تلميذ له لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم

« وكتب الى احمد بن شبيب

٠٩٩ وكتب اليه لما خرج من حبس محمد بن ابراهيم

وكتب

Digitized by Birzeit University Library

صحيفة
١٠١ وكتب الى كاتب خوارزم شاه وقد تخلص من المصادرة يشتكى اليه وزير صاحبه
١٠٢ وله الى وزير خوارزم شاه لما نكب
١٠٣ وكتب الى ابى محمد العلوى
١٠٥ وكتب الى ابى العباس كاتب محمد بن ابراهيم وقد طلب منه نسخة رسائله
١٠٦ وكتب الى ابى الحسن عبد العزيز صاحب ديوان الرسائل
١٠٧ وكتب الى ابى سعيد المتوفى بناحية محمد بن ابراهيم من هراة
» وله اليه
١٠٨ وكتب الى فقيه هراة بعد ان خرج منها عليلا
١٠٩ وكتب الى تلميذ له ورد عليه كتابه بانه عليل
» وكتب اليه وقد ورد كتابه بافاقته وحمل اليه تفاحا
١١٠ وكتب الى كاتب من كتاب الحضرة
١١١ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة
١١٢ وكتب الى ابى الوفا صاحب جيش عضد الدولة
١١٣ وله الى ابى الحارث من ولد هاشم بن ماسجور وهو ملك الجبل وقد ارسله يستدعى كتابه
١١٤ وكتب الى حسين صاحب ديوان الحضرة
١١٥ وله الى كاتب بعض الامرآء وقد ورد عليه كتابه يشكو فيه الجرب
١١٨ وله الى قاضى الرى ابى الحسن الهمدانى
» وله الى ابى المعالى وزير صاحب الجبل
» وله الى سعيد بن سمكة
١١٩ وله الى ابى نصر الميكالى يشكره على اصطناعه فقيها من تلامذته
١٢١ وكتب الى حاكم سرخس وقد اهدى اليه كتابا طلبه منه
١٢٢ وكتب الى ابى بكر بن سمرد

Digitized by Birzeit University Library

صحيفة

١٢٤ وكتب الى تلميذ له عن كتاب وقصيدة

١٢٥ وكتب الى ابى الفرج خليفة الوزير بنيسابور

١٢٦ وكتب الى كثير بن احمد لما هرب الى الرى

١٢٨ وكتب الى رئيس قم حكام

» وكتب الى مؤدب امير خوزستان

١٢٩ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى

١٣٠ وكتب الى جماعة الشيعة بنيسابور لما قصدهم محمد بن ابراهيم واليها

١٤٠ وكتب الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته

١٤١ وكتب الى رئيس سمرقند

١٤٢ وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب جوابا عن كتاب له ورد عليه يبشره فيه بخلاص وزير خوارزم شاه من المحنة

١٤٤ وكتب الى خوارزم شاه

» وكتب الى العامل على البريد بالاهواز

١٤٥ وكتب الى ابى حامد بن روزبه اديب قومس

» وكتب الى ابى زيد جوابا عن كتابه

١٤٦ وكتب الى ابى حامد ايضا الاديب بقومس

» وكتب اليه ايضا

١٤٧ وكتب تعزية الى ابى بكر

١٤٨ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى

١٤٩ وكتب الى ابن العميد الحاكم

١٥٠ وكتب الى ابى القاسم الابى البندار

» وكتب الى ابى سمكة بقم

١٥١ وكتب الى ابى بكر النحوى اديب الجبل واصبهان

١٥٢ وكتب الى ابى بكر بن شيرد

وكتب

Digitized by Birzeit University Library

صحيفة

١٥٣ وكتب الى الوزير بالحضرة

١٥٥ » وكتب الى تلميذ له

» وكتب الى حاكم نيسابور من اصفهان

١٥٦ وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم

١٥٧ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى

» وكتب الى الوزير ابى القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله

١٥٨ وكتب الى ابى الحسن الحكمى

» وكتب الى تلميذ له وقد ظهر عليه الجدرى

١٥٩ وكتب الى فقيه من تلامذته

١٦٠ وكتب الى الملك لما اصيب بابنه عن خوارزم شاه

١٦١ وكتب الى ابى منصور ملك الصغانيان يعزيه فى عمه ابى سعيد

١٦٢ وكتب الى ابى القاسم بن على صاحب جيش الصغانيان

» وكتب الى فقيه فى تعهد مسجد

١٦٣ وكتب الى ابى شجاع بن محمد كاتب ابن قراتكين

١٦٤ وكتب الى رئيس نيسابور

» وكتب الى على بن كامه

١٦٥ وكتب اليه لما ولى قومس

١٦٦ وكتب الى ابى طاهر وزير ابى على بن الياس بكرمان

١٦٧ وكتب الى حاجب الوزير ابى القاسم بن عباد حين ورد خراسان وحمل اليه نزلا

» وكتب الى ابى محمد العلوى

١٦٩ وكتب الى قاضى القضاة

١٧١ وكتب الى قاضى سجستان حين نكبه اميرها

١٧٣ وكتب الى مسكويه وقد تزوجت امه

» وكتب الى صديق له على ديوان الخراج

Digitized by Birzeit University Library

صحيفة

١٧٤ وكتب الى ابى محمد العلوى

١٨٠ وكتب الى تلميذ له و قد استعار نسخة رسائله ينسخها فتمادى

» وكتب الى خوارزم شاه

١٨١ وكتب الى كاتب صاحب الجيش جوابا عن رسالة مدحه و عاتبه فيها

١٨٥ وكتب الى رئيس دامغان

١٨٦ وكتب الى خوارزم شاه

١٨٧ وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب لما شارف نيسابور

١٨٩ وكتب الى صاحب جيش خوارزم و ورد عليه كتابه يخبر علته يعتذر اليه من ترك العيادة و يتوجع له من العلة

١٩١ وكتب الى ابى الحسن المعروف بالبديهى الشاعر زعم يعبث به

٢٠٥ وكتب فى نكبة نيسابور و واليها حسام الدولة ابى بكر بن عبدوس بعض عدول نيسابور

٢٠٦ وكتب الى ابى الحسن بن عبد العزيز قاضى جرجان و قد خرج منها

٢٠٧ وكتب الى بعض اصدقائه

٢٠٨ وكتب بعد محنته و رجوعه الى خراسان الى كاتب خوارزم شاه و قد نكب

٢٠٩ وكتب الى ابى محمد عبد الرحمن بن احمد من نيسابور

٢١٠ وكتب الى ابى منصور كثير بن احمد

» وكتب الى ابى القاسم المزنى و قد صالح اخاه

٢١١ وكتب رحمه الله

» وكتب ايضا

٢١٢ وكتب ايضا

» وكتب الى ابى القاسم الحسن بن على

* * *

Digitized by Birzeit University Library

رسائل

أبي بكر الخوارزمي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ طبعت بمطبعة الجوائب ﴾

﴿ في قسطنطينية ﴾

١٢٩٧

Digitized by Birzeit University Library

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل ابى بكر الخوارزمى

الحمد لله رب العالمين * و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه اجمعين * هذه رسائل الاستاذ ابى بكر الخوارزمى رحمه الله تعالى

كتب بها الى الحاجب ابى اسحاق لما نكبه الوزير ابن عباد رحمه الله

وفقك الله فى مراجعة الحق لما تستحق به انتهاء محنتك * والهمك فى استيفاء شرائط التوبة ما يطرق لك النهوض من صرعتك * ولاخلصك الله مما انت فيه من جناية غيرك عليك * حتى يخلصك مما كنت فيه من اساءة نفسك اليك * فان نفسك اعظم خصميك * وان كانت اصغرهما لديك * وقد مثلت ايدك الله بين ان احرش لك كلامى * وافوق نحوك سهامى * واقضى بذلك حق عظتك * واخرج من عهدة مايلزمنى فى هدايتك * و بين ان الين مس قولى لك * فتبقى فى نفسى حاجة من نصيحتك * فرأيت الاول على اوجب * والى الصواب اقرب * هذا وانا اقول

اخوك الذى ان اجرضتك ملمة * من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما

ولا اقول

وليس اخوك بالذى ان تشعبت * عليك امور ظل يلحاك لائما

اصاب

Digitized by Birzeit University Library

اصاب المرقش ايدك الله فى بيت الواجم * ولم يصب فى بيت اللائم * وكيف يهدى الطريق لرشده فى غده * دون ان يلام على غيه فى امسه * وكيف يتوصل الى تحسين الصواب الآنف * الا بتقبيح الخطأ السالف * وكيف لا يلام المسيء والنهى عما بعد يقتضى اللوم على قبل * وكما لا بد فى الكلام من الاثبات والنفى * كذلك لا بد فى العظة والنصيحة من الامر والنهى * فاللوم اذا على هذه القضية اجدر * اذ كانت النصيحة التى عليها قامت * وبها استقامت * وهل يلوم المرء الا اخوانه الاقارب * وهل يرخى له عنان العذل ويجوز معه فى اللوم الا معارفة الاجانب * واذا فرغت للحق زاوية من قلبك * وحكمت على هواك لعقلك * علمت ان ما تكره فيما تحب * خير لك مما تحب فيما تكره * وان دواء تستبشعه وفيه شفاؤك * خير من غذاء تستلذه وفيه داؤك * ولئن كان ظاهر كلامى يلدغك * فان باطنه لينفعك * وانت ايدك الله تعلم انك كنت من الذل فى مكان يتخطاك فيه الناظر * ويدوسك الخف والحافر * لا يشرفك نسب * ولا يرفعك ادب * ولا يرجوك صديقك * ولا يخافك عدوك * عن يمينك الخول * وعن يسارك الذبول * وبينهما الفقر الذى لو قسم على الاغنياء * لصاروا فقراء * والضعف الذى لو فرق على الاقوياء لعادوا ضعفاء * تصيح فى قل * وتمسى فى ذل * وتروح الى انثى وتغدو الى طفل * فانصفك الدهر الظالم * وانتبه لك البخت النائم * واراد الله تعالى ان يرفع من حكمتك * ويقوم من قنبور حدبتك * فينظر كيف تعملون * والله يعلم ما تبدون وما تكتمون * فاتصلت من ولى نعمتك برجل لو اتصل به الادبار * لتقدم الاقبال * ولو خدمه النقص لفضل الكمال * ولو تعرف اليه الجماد لنطق بحمده * ولو استجار به امس الدابر لرجع بسعده * فما هو الا ان نسبت اليه * وحسبت فى آثار يديه * حتى قاتلت الايام بسلاحه * وطرت الى المنى والمطالب بجناحه * وحتى طمحت الى امور كنت عنها مطروفا * وخطوت الى اشياء كنت عنها قطوفا *

ومثل الذى نلته حافيا * يؤثر فى قدم الناعل

Digitized by Birzeit University Library

وَحتى زارك قوم لو زرتهم فيما قبل لطال وقوفك بين الدار والبـاب * وكثر ترددك بين الآذن والحجاب * وخدمك اناس ما منهم احد الا وقد لاحظته بعين هـائب * ونقلت اليـه قدم راغب او راهب * هـذا الى استسلابه لك من الردى * بيد الهدى * واخراجه اياك من ظلمة العمى والتقليد * الى نور العدل والتوحيد * فلزمك ولآؤه مرتين * واحاطت برقبتك نعمته من جهتين * لانه انقذك من النار * كما انقذك من العـار * واعتق رقبتك من اسـار الضلال * كما اعتقها من ذل السؤال * فكانت نعمته عليك مضـاعفة * وصنيعته اليك مداخلة * وكل ذلك بعين احسان الله تعـالى يمد نفيس احسانه اليك لتؤدى زكاة الاحسـان * وترتهن الصنيعة باليد واللسـان * ويريك يقظان ما لم تحتلم به وسنان * ويزف اليك من ابكار الصنع ما لم تخطبه بهمتك * ولم تستوجبه بقيمتك * الى ان اصلح عليك الدهر الطـالح * وملكك عنـان البخت الجامح * وانت سكران من خمر اليسار والغنى * غريق فى لجج المطالب والمنى * لو طلبت النجم لرقيت اليه بسلم معك * او طرت نحوه بجنـاح لك * والاقبـال يستر عيوبك * والامهـال يغفر ذنوبك * ولا ستر اكشف من اقبـال * ولا شفيع انجح من اهمـال * والدولة تجعل البعيد قريبـا * والجـد يرى المخطئ مصيبا * والمجدود يمس بيديه * ما لا يراه المحدود بعينيه * ويتنـاول قاعدا * ما لا يتناوله غيره قائما * ولا رسول اسرع من دهر * ولا مستحث اوحى من يسر بلا عسر * فلما جازيت النعمة بالكفران * ونسيت هل جزاء الاحسان الا الاحسان * نظرت الايام اليك شزرا * وابدلتك باليسر عسرا * فاصبحت تلك البوارق * وهى صواعق * واستحالت تلك المواهب وهى مصـائب * وتقاضاك دهرك ما اسلف * واستأنف بك خلاف ما سلف * والدهر غريم لا يماطل اذا اقتضى * وحاكم لا يراجع اذا قضى * ومعير اذا لم تحفظ عاريته ارتجع * ومعط اذا لم تشكر عطيته منع * ومؤدب اذا لم يتعلم منه عاقب * واذا تعلم منه ادب وهذب * على انى ما رأيت معلما احسن تعليما من الزمان * ولا متعلما اسوأ تعلما من الانسان * فها انت قد ذممك حامدك * ورحمك

حاسدك

Digitized by Birzeit University Library

حاسدك * واحتقبت اوزار الندامة * ورضيت من الغنيمة بالسلامة * وكانت الايام تعدنا بك * فاوعدتنا فيك * وخلف ليل الشك نهار * ووراء سكر النعمة خمار * فانت الآن عليل دواؤه التوبة * وجريح شفاؤه الرجعة والفيئة * فان قبلت توبتك فقد انقطعت مدة الدآء * وظهرت بركة الدواء * وان تكن الاخرى فربما قد اخلف الدواء شاربه * وخان الرجاء صاحبه * فياطبيب نفسه ارفق بها * ويا مداوى جراحته الطف لها * واعلم انه قد كان شكر الرخاء * اهون من مصابرة البلاء * وكان حفظ الصحة * ايسر من معالجة العلة * ولو وجدتك العافية من اكفائها لما طلقتك * ولو رأتك النعمة من رفقائها لما فارقتك * واقل ماكان يجب لصاحبك عليك ان لا تستعين بنعمته * على كفران نعمته * ولا تكتب حسنته فى جريدة سيئته * ولاتسل عليه من لسانك سيفا يده صقلته * ولا تشرع اليه من كلامك رمحا كفه قومته

لقد جازيت بالاحسان سوءا * اذا وصبغت عرضك بالسواد
ورحت تسوق عير الكفر حتى * انخت الشرك فى دار الجهاد

فيا ايها الرجل * وكلكم ذلك الرجل * كم تهتكون حجب العوارف بيد الكفران * وكم تصافحون النعم بالبغى والعدوان * وكم تفضون ختام العافية بالغدر * وكم تسترون الخيرات بقلة الشكر * وكم لا تبرزون الصنائع فى معرض من حسن الذكر * ولا تقلدونها حلية من طيب النشر * وكم تتبعون الوفاء بالملق * وتنادون على الامانة كما ينادى على الثوب الخلق * وكم تقبحون فى النعم * وتحسنون فى النقم * وكم تجهلون ما عرفه الخطيئة مع خبث مذهبه * ولؤم مركبه * حيث يقول

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

اعلم ان كفران النعمة لو احله الشرع * لحرمه الطبع * ولو جاز من طريق الملة والديانة * لحظر من طريق المروءة والصيانة * فان للمحسن من الله عينا كالئة لا تنام * وان وراءه من واقية الاحسان ركنا منيعا لا يرام * ومن تقلد نعمة الله من انسان فقد ضمن له عهده * وصار فى حكم الاحسان عبده * واذا خدم غيره وهو حى فقد خان الاول فى نعمته * وغش الثانى بخدمته * وهل يبرأ العليل بين طبيبين * وهل يسع الغمد سيفين *

Digitized by Birzeit University Library

وهل ينطق لسان واحد بشكرين * او يتسع قلب واحد لمحبة اثنين * ولهذا الشان طلقت النـاس ثلاثا * وفارقت المدح بتاتا * لمـا وردت من الوزير على من خدمة غيره تعد كبيرة ليس لهـا غفران * وسيئة لا يمحوها احسـان * فلما رأيتـه علمت ان الايام قد خبأته لى ذخرا * واعدته لى عذرا * واراد الله تعالى ان اعاشر النـاس حرا ونذلا * * واجوب البـلاد حزنا وسهلا * حتى اذا جبت الآفاق * وقلبت الاخلاق * وصارت الارض فى عينى دارا * هجم بى السعد على حسنة الايام * وغريبة الانام * ونصفة الدهر الظلوم * ومكرمة العالم اللئيم * فاذا هو ضالة رجائى الحائم * وبغيـة قلبى الهائم * فختمت به جريدة المدح والثنآ * واغلقت باسمه باب الاستماحة والرجآ * وفتحت له مغاليق فكرى * ودفعت اليه مقاليد نظمى ونثرى * واقطعته لسـانى غير منقطع * ووهبت له قلبى غـير مرتجع * ونظرت الى ابى الطيب والى تناقض حكمته * وتفاوت طرفى فعلته * حيث قال فى سيف الدولة

لا تطلبن كريما بعد رؤيتـه * ان الكرام باسخاهم يدا ختموا

﴿ وقال فى كافور الاخشيدى ﴾

قواصـد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فلقد باع من الوفآء علقا خطيرا * واعتاض من الطمع ثمنا يسيرا * وحال ضباب الحرص والرجاء * بينه وبين العهد والوفاء * وكان يضايق نفسه فى اختيار المتاع * ويسامحها فى اختيار المبتاع * ويخلع خلعة من نظمه تساوى بدره * على عرض من لا يساوى بعره * ويزف كريمة من كرائم شعره * الى من لم تقم عنده كريمـه * ولم تعرف له قيمه * او رأى الطمع فى جحر فارة لدخله * واواتاه الدرهم من است كلب لما غسله * فلا جرم ان الناس كما استحسنوا قوله * استقبحوا فعله * وكما اعجبوا بشعره * تعجبوا من غدره * يشـكر ثم يشكو * ويمدح ثم يهجو * ويشهد ثم يجرح شهادته * ويعطى ثم يسترجع عطيته * فكم من حر فضله ثم ثلبه * وكم من عرض كساه ثم سلبه * وكم من صفحة اكل منها ثم بصق فيهـا * ولكن فى قيص ابى بكر رجلا اذا اعطى لم يرتجع * واذا طلق لم

يراجع

Digitized by Birzeit University Library

يراجع * واذا بنى لم يعد على بنائه بالهدم * واذا مدح لم يطأ على عقب مديحه بالذم * واذا طيب فكيه بالمدح للكريم * لم يلطخهما بمدح للئيم * واذا زوج كرائمه كفؤا حجبهن ان يتبرجن الا لديه * ويجتليهن غيرعينيه * وانما الغدر من اخلاق النساء فمن تعلق بطرف منه فقد رغب بنفسه عن كمال الذكران * وجذبها الى شق النسوان * وهو اذا مخنث من حيث الخلق * غير مخنث من حيث الخلق * وقد يصلح الانسان خلقه * ولا يمكنه ان يغير خلقه * فالغدر اذا على هذه القضية هو التخنيث الاكبر * والتأنيث الاعم الاكثر * والوفآء حمية القلب * كما ان التوقى من الطعام والشراب حمية الجسم * وثبات الحمية * من قوة الحمية * وحفظ العهد من شرائط الرجولية * وانى لاعجب ممن يعادى المقبل والله معه * والايام مدد له * وداعية الجد خلفه وقدامه * وقد رأيت ما صار اليه مصارع اعداء هذه الدولة * وخمت به احوال حساد هذه النعمة * فقد غمزوا قناتها وقرعوا صفاتها * فاخترموا واصطلموا * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا * طافت الايام على الوزير بنياهم * فابقاه الله تعالى وافناهم * ولم يزل نقصهم يحارب كماله * وادبارهم يزاحف اقباله * حتى اجلت معركة العواقب عنه راضيا وعنهم ساخطين * واقشعت غيرة الايام والليالى عنه قائما وعنهم مصروعين *

فلو لم تبق لم تعش البقايا * وفى الماضى لمن يبقى اعتبار

* عافاك الله امش مع الدهر كما يمشى * واجر مع الفلك كما يجرى * وارفق بمن رفقت الايام به * وارع لمن رعت السعادة له * ولا تزاحم الفلك الدوار * ولا تناطح الاقسام والاقدار * ولا تصغر الكبار * ولا تحكم على الدهر فان الدهر حاكم لا يحكم عليه * ومسلط لا يؤخذ ما فى يديه * وانزل حيث انزلك الاستحقاق * وخذ ما سمحت به لك الارزاق * ولا تجلس على طريق السيل الراعب * ولا تطعن فى بحر القضاء الغالب * ولا تحارب جيش السعد * ولا تطاعن حد الجد * ولا تستسلف اجلك * ولا تتناول ما لم يوضع لك * واحذر قوس الخذلان * فانها نافذة الرمية * صريعة الرمية * قد والله اوجعت بهذا العتاب قلبك * وجاوزت بالعقاب ذنبك * ولكنى عاتبتك لك * وحاربتك عنك *

Digitized by Birzeit University Library

رجاء ان يستخشن مس هذا الكلام لك * ويستحسن تألم وقع هذه السهام بك * ولو لا ذلك * لم اذقك مرارته * ولم اعرض لطيف ما بينى و بينك له * وما اغتم لك من الحبس وروعته * ولا من الهوان ولذعته * كما اغتم من نظر ولى نعمتك اليك * ووقوع بصره عليك * وقد قعدت تحت اعباء بره * وقابلت احسانه بكفره * وزرعت منك النعمة فى بقعة لم تزد ريعا * ولم تجلب نفعا * فانا ابكى لك من يوم اطلاقك لا من يوم حبسك * واتفكر فى ساعة سعدك * لا فى ساعة نحسك * فقد شغلنى الخجل * عن الوجل * و نسيت لقبح الموقف الثانى هول الموقف الاول * فلا غضاضة عليك * من امتداد يد الدهر اليك * فان امير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار بما صنع الدهر

﴿ وكتب الى كثير بن احمد لما هرب من الامير ابى الحسن ﴾

كتابى الى الشيخ وانا فى خمار شربتى من يد الدهر * فقد كانت بشعة الخمر * طويلة السكر * قليلة النفع كثيرة الضرر * والحمد لله تعالى على حفظه على الدين وان ذهبت الدنيا * وعلى ان صودرت على المال لا على العرض والتقوى * وصلى الله على محمد خير الورى * خرجت ايها الشيخ من نيسابور وانا زاملة شكر وثنا * وحمال مدح ودعا * وقتيل خجل وحيا * اذا تفكرت فى كثرة اعدائى وقلة شفعائى * وفى ضعف اعوانى وقوة خصمائى * ثم نظرت الى وقد خرجت من تلك الغمة * وشققت رداء تلك الظلمة * موفر الحال والمال * صحيح العرض والجمال * لم تنشب فى اظافر الفقر * ولم ينفذ فى حكم الدهر * علمت ان الشيخ قصر عنى يد المحنة وهى طويلة * وصرف عنى ولاية النحوس وهى بسيطة * ولو بلغه غاية مراده امكانه * وساعده على نيته فى زمانه * لحجب صروف الدهر عن فنائى * ولقام بين الحوادث و بين لقائى * عرف الله تعالى له نيته * وبلغه فى الدنيا و الآخرة امنيته * ولا زالت نعم الله تعالى عليه ضافيه * وايامه من الغير صافيه * ولا زال كما لم يزل عليه رقيب من عدله * ومعه

وزير

Digitized by Birzeit University Library

وزير من عقله * وله مادح من فضله * وطوله * ووراءه واق من قوله وفعله * فلعمرى لئن كنت اشكر لمن وهب لى مالا انى لمن وهب لى روحى اشكر * ولئن توفر على افضال من اغنانى فان افضال من استبقانى ولو شاء افنانى اوفر * فقد جاد على الملوك بالصلات * وجاد على ذلك الامير بالحياة * فهنناه الله بهذا الشكر الغريب * وهذا الثناء العجيب * وذلك انى اشكر الملوك على انهم اغنونى * واشكره على انه لم يفقرنى * وامدحهم لانهم احيونى * وامدحه على انه لم يقتلنى * واعتد لغيره * ان بذل لى كل خيره * واعتد له بان كف عنى بعض شره * والشكر على قدر الاحسان * والسلع بازاء الاثمان * والسلام

﴿ وكتب الى محمد العلوى من الرى فى هذه المحنة ﴾

اطال الله بقاء سيدنا من بعض مطارح الغربة * ومساقط النكبة * فانا فل من فلول هذا الزمان * لا بل فل من فلول هذا السلطان * والحمد لله على سلامة الروح والمهجة * وان كانت سلامة ضعيف المنة * رقيقة الكسوة * ثقيلة الحركة * قليلة البركة * ليس بينها وبين الهلاك الا اقرب من خطوة * واسرع من لحظة * ذكر الشوق فما بينه وبين السيد رجيع من القول * وكلفة من كلف النقل والفصل * على انى والله مشتاق اليه * شوقه الى ابتناء العلا * ومشته للقائه شهوته لبذل الندى * اذكره وان كنت لا انساه * والقاه بقلبى وان كنت لا القاه * واسأل الله تعالى ان يرينا سلامة سليمة * واستقامة احوال مستقيمة * فلا شى احوج من السلامة الى السلامة * ولا الى الاستقامة من الاستقامة * وان يجعل اقسام صنعه لديه * واحسانه اليه * متناصرة مترادفة * ومتلاقحة متوالدة * قد رأى السيد ما كان من العلانية حين فوقت نحوى سهامها * ونشرت طربى اعلامها * وتسلحت على بالسعاية وهى سلاحها الذى به تقاتل * ويدها التى بها تطاول * والسعاية سلاح من لا سلاح له * والنميمة كيد من لا كيد عنده * وشر من الساعى من انصت له *

Digitized by Birzeit University Library

وشر من متاع السوء من قبله * فلما رأيت بيني و بين الموت حجابا رقيقا *
وحجزا دقيقا * و رأيت نفسي وقد اكتنفها اربعة اشياء ما منها شيء الا وهو
يقرب عليها مسافة الممات * ويقطع عنها علائق الحياة * خصم فاجر *
وسلطان جائر * وبخت عاثر * وزمان غادر * آثرت الغربة على وطن معه
اذى * واخترت الظمأ على شراب فيه قذى * وفارقت دار الهوان والحمية تثنيني *
وعزة النفس تشجعني * ولي من الصيانة رفيق و زميل * ومعي من العزم هاد
ودليل * وليست تبعد على العزم مسافة * ولا تصعب مع الارادة شقة ولا
مشقة * وما علمت اني اعيش حتى اصادر على اللسان * واسلف الشكر قبل
الاحسان * وقد كنت رأيت حاكما يحجر على يتيم او معتوه في وفره * ولم ار
اميرا يحجر على كاتب في كتابته او على شاعر في شعره * وانما الشكر ايد الله
السيد فرس جامح * ان منع عن سننه قطع ارسانه * واستلب عنانه * فشقى
به سائسه * وهلك معه فارسه * والشعر ينقلب مع الجود حيث كان * ويرتاد
المعروف والاحسان * وانما هو ماء سارب * بل سيل زاعب * اذا سد عليه
طريقه خرق في الارض خرقا * وجعل لنفسه طريقا بل طرقا * وما اشبه
من اكره الالسن على مدحته * الا بمن اكره القلوب على محبته * يحب المديح
ابو خالد ويضجر من صلة المادح * كبكر تحب لذيذ النكاح وتفرق من صولة
الناكح *

﴿ وكتب الى تلميذ له فوض اليه اشغاله ﴾

كتابي و لو استقبلت من امري ما استدبرت * وقدمت من رأيي ما اخرت *
لما امضى الفراق فينا حكمه * ولا انفذ فينا سهمه * ولاقينا جميعا * او رحلنا
معا * واني لاظلم الفراق اذ شكوته * واتعنف الدهر اذ هجوته * وبيدي
ضربني * ومن سهمي رميني * فانا كالقاطع يده بيده * والفاجع نفسه
بنفسه * ومطرق الفراق الى قلب اطوى المنازل عن حبيبي دائما * واطل ابكيه
بدمع ساجم هلا اقت ولو على جمر الغضا * قلبت اوحد الحسام الصارم * ما

تذكرت

Digitized by Birzeit University Library

تذكرت تلك الايام التى سلبنيها الدهر بل سرقنيها * وغبنى بل داس على فيها * وكانت ادق من حاشية البرد * واحسن من طلوع السعد * واحلى من انجاز الوعد * واعذب من القند * بل من النقد * واعبق من الورد * وما اردت الا ورد الخد * بل من المسك والند * واطيب من القرب بعد البعد * ومن الوصل فى اثر الصد * بل كانت ارق من نسيم الزهر فى السحر * ومن قضاء الوطر على الخطر * بل كانت اقصر من ليل السكارى * او نهار الحيارى * الا اكلت الوجع * وشربت الجزع * وانثنيت على كبدى خشية ان تتقطع * ولو انى اعطيت من دهرى المنى * وما كل من اعطى المنى بمسدد * لقلت لايام مضين الا ارجعى * وقلت لايام اتين الا ابعدى * البستان قد وعدتنى ياسيدى اقامة وظيفته بالشجر * وبالنور والزهر * وانت ياسيدى بالانجاز قمين * ووفاؤك به ضمين * وذلك المكان مرتع ناظرى * ومتنفس خاطرى * ومجال بصرى * ومراد فكرى * ونقلى اذا شربت * ومحدثى اذا خلوت * وتسليتى اذا اغتممت * وشمامتى اذا شممت * وما ظنك بمكان ليست فيه زاوية الا وقد صب على فيها طاس * بل كاس * وشرب عليها انسان بل اناس * وقام فى حافتها وجه صبيح * وتقلب فى اطرافها قد مليح * وكانى بك وقد عرضت هذا الفصل على الناس فظنوا انى اصف بستان الزاهر * او دار ابن طاهر * او اذكر الجفرية * او البركة المتوكلية * او اعنى صعد خراسان * او شعب بوان * او انعت نهر الابلة * او متنزه الغوطه * او شعب انطاكيه * ولا يعلمون انى انما اذكر بقيعة طولها باع * وعرضها ذراع * اعنى باع البقة * وذراع الذرة * واقل من لا * واصغر من الجزء الذى لا يتجزا * لو طارت عليه ذبابة لغطته * او دخلته نملة لسدته * تسقى بالمسعط صباحا * وتكنس بالظلال مساء * اشجاره مائة الا تسعة وتسعين * وانهاره خمسون الا تسعة واربعين * وانى شاعر اذا احس من لسانه بسطه * ووجد فى خاطره فضله واصاب من القول جريانا * ووجد ميدانا * وقال ما وجد بيانا * وما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم * والكذب مذموم الا فيهم * اذا ذوا ثلبوا واذا مدحوا سلبوا * واذا رضوا رفعوا الوضيع * واذا غضبوا وضعوا

Digitized by Birzeit University Library

الرفيع * واذا اقروا على انفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد * ولم يمتد اليهم بالعقوبة يد * غنيهم لا يصادر * وفقيرهم لا يحتقر * وشيخهم يوقر * وحديثهم لا يستصغر * وسهامهم تنفذ فى الاغراض * اذا نبت السهام عن الاغراض * وتصل الى البعيد كما تصل الى القريب * وشهاداتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل * ولم يشهد بها عدل * وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار * ولو بلغت الف قنطار * ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم * وان صارموا الصديق لم يستوحش منهم * بل ماظنك بقوم هم صيارفة اخلاق الرجال * وسماسرة النقص والكمال * بل ماظنك بقوم هم امراء الكلام يقصرون طويله ويخففون ثقيله * ويقصرون ممدوده ولم لا اقول ما ظنك بقوم يتبعهم الغاوون * وفى كل واد يهيمون * ويقولون مالا يفعلون *

﴿ وكتب الى تلميذ له قطع فى مجلس وكابر واختلط ﴾

بلغنى انك ناظرت * فلما توجهت عليك الحجة كابرت * ولما وضع نير الحق على عنقك ضجرت وتضاجرت * وقد كنت احسب انك اعرف بالحق من ان تعقه * واهيب لحجاب الانصاف والعدل من ان تشقه * كأنك لم تعلم ان لسان الضجر ناطق بالعجز * وان وجه الظلم مبرقع بالقبح * وانك اذا استدركت على نقد الصيارفة * وتتبعت خطاء الحكماء والفلاسفة * فقد طرقت الى عيبك لعائبك * ونصرت عدوك على صاحبك * وقد عجبت من حسن ظنك بك * وانت انسان والله المستعان *

﴿ وكتب الى ابى عمر المكندرى وزير صاحب جرجان ﴾

وعد الشيخ يكتب على الجلمد * اذا كتب وعد غيره على الجلمد * ولكن صاحب الحاجة سيئ النظر بالايام * مريض الثقة بالانام * لكثرة من يلقاه من

Digitized by Birzeit University Library

من اللئام * وقلة من يسمع من الكرام * وفلان نغض عندى غراو شكره * واستعان بى على تحمل ما اثقله من اعباء بره * فاعلمنه اننى اثقل منه بنعمة الشيخ ظهرا * واضيق منه بما لزمنى اداؤه صدرا *

﴿ وانشدته شعرا ﴾

اعنين هلا اذ كلفت بها * كنت استعنت بضارع العقل
اقبلت ترجو العون من قبلى * والمستعان به لفى شغل

ثم انى تذممت فى ان ارد اخوانى * فى ماعون طلبوه من لسانى * فاضحبته هذه الاحرف * والشيخ يلحظه بالزيادة حلاوة الشكر * ويعرفه فعلا لا قولا حميد عاقبته وما افاض فيه من جميل النشر * فمثله عرف الشاكرين الصنعة * ونفق بينهم هذه السلعة *

﴿ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة وقد طولب ابوبكر بحضور الديوان فانفعل ﴾

هذا اطال الله تعالى بقاء الشيخ الرئيس حال نيسابور واهلها * بل حالى وحال الاحرار فيها * واصبح اقوام يقولون ما اشتهوا وغاب ابو عمرو وغابت رواحله * وقد كنت آوى من الشيخ ايام مقامه بهذه الجنبة الى كنف رحيب وجناب خصيب * وباع واسع * ونائل شائع * ووجه اذا نظرت اليه * قرأت نسخة الكرم فى وجنتيه * تلمع آثار الكرم بنور اساريره * وتعرف بشرى النجاح فى تباشيره * ولم يبشرنى بابتسامه * قبل ان يبشرنى بكلامه * ويحيينى بالنجح باشارته * قبل ان يترجم بعبارته * واذا رأيته رأيت بختى قد اقبل الى فى معرض الكمال * وطالعت سعدى وقد طلع على بذيل الآمال * عن يمينى الجمال * وعن يسارى الكمال * فاغدو الى بابه يقدمنى الامل والرجا * واروح عنه فيشيعنى الشكر والدعاء * واحمل حوائجى منه على جبل الجود الذى لا تحركه المطالب * ولا تثقل عليه الرغبات والرغائب * بل على بحره الذى لا ينزفه الاستقاء * ولا تكدره الدلاء * ولا يرى قعره *

Digitized by Birzeit University Library

ولايدرك غوره * وانما يصبر على حوائج الناس * ويلتذ باستماع صوت رجاء الاضراس * من ولد فى طالع السخاء * وغذى فى حجور الكرماء * وقرع سمعه منذ صباه باصوات الادباء والشعراء * ومرن على البذل والعطاء والثقل ليس مضاعفا لمطية * الا اذا ما كان وهما بازلا * حتى اذا كادت غصون آمالى تزف بعدما يبست * ووجوه مطالبى تضحك بعدما عبست * رمتنى الايام بفراق الشيخ فاخدج رجائى الحامل * وجف ضرع املى الحافل * وسكت لسانى القائل * وفترت فتور التاجر بار متاعه * وعاب مبتاعه * ونجلت نجل ابى البنت زهد فيه اختانه * وضحك سنه جيرانه * وردت عليه بكرة * وسيق اليه مهره * وقلت لو اراد الله بالادب خيرا لماغاب من كان يجمع شمله * ويكرم اهله * ويعرف فضلهم وفضله * ولو انصفت الادب بعد الشيخ لرثيته مرثية الاموات * ولاقت عليه ماتم الممات * ومحوت اسمه من جريدة الحياة * هذا وقد ورد على عمل الخراج من لا اطريه بحرمه * ولا اتناوله بطرف ذريعة او وسيلة وكأنى به وقد حسدنى فى جملة العامة * وادخلنى فى غمار سائر الرعية * ووقفنى على جسر قدامه الخسران * وخلفه الهوان * وجمعنى بدريهمات جمعت بتقحم المهالك * واختراق المسالك والممالك * ودنانير قطعت القفار * وخاضت البحار * وناطحت الحوادث والاقدار * فان بذلتها ابرزت وفرا طال ما كان مخزونا * وان منعتها ابتذلت عرضا لم يزل مصونا * على اننى احمل الجمال على التجمل * واوثر البذل على التبذل * وانشد شعرا * حنانيك بعض الشر اهون من بعض * وما ايسر دواء هذا الداء لوطاوعتنى نفسى العاصية * وتابعتنى رجلى الابية * فدخلت الديوان * وصانعت الزمان * وفتحت جراب النفاق والريا * واغلقت باب الحفاظ والوفا * ولكن النظر الى عين الشمس ايسر على واهون على عينى من ان انظر الى هذا الصدر * وقد جلس فيه غير ذلك البدر * وانى لاغار على الكرم * كما يغار على الحرم * وابخل بالمراتب كما يبخل غيرى بالمكاسب * واستحيى لعينى ان اقتحمها على الصغير * وقد جلس مجلس الكبير * لاابتلانى الله بمجالس الغيرة * ولا اقامنى فى مقامات الغم

و

Digitized by Birzeit University Library

والحيرة * فانه ان ابتلانى بذلك وجدنى ضيق ساحة الصدر * قريب غور الصبر * كثير المباراة * قليل المداراة * هذه اطال الله بقاء الشيخ حالى * فهل لى عنده فرج ارتجيه * او نظر اتجمع فيه * وهل يحرك لفظة من الفاظه * او لحظة من الحاظه * يرد بها على وجهى ماء نضب من مائه * وعلى عرضى ماذهب من بهائه * ولعمرى ان حاجتى الى الشيخ فى هذا الخراج صغيرة ولكنى لا استصغر منه يسيرا * كما لا استعظم منه كبيرا * واعلم ان الحر يسع الصديق بفطنته * والخليل بهمته * وان ابطأ عنى كتابه بالفرج خشيت ان يسرى فى السم الوحى * الى ان يصل الى الترياق البطى * اعوذ بالله من ان يكون دائى نقدا * ودوائى وعدا *

﴿ وكتب الى رئيس طوس يعزيه عن شقيق له ﴾

كتابى عن سلامة * وما سلامة من يرى كل يوم ركنا مهدودا * ولحدا ملحودا * واخا مفقودا * وحوضا من المنية موروداً * ويعلم ان ايامه مكتوبة * وانفاسه محسوبة * وان شباك المنايا له منصوبة * اف لهذه الدنيا ما اكدر صافيها * واخيب راجيها * واغدر اياءها ولياليها * وانغص لذاتها وملاهيها * تفرق بين الاحباء والاحباب بالفوات و بين الاحياء والاموات بالرفات * ورد على خبر وفاة فلان * فدارت بى الارض حيرة * واظلمت فى عينى الدنيا حسرة * وملك الوله والوهل قلبى وساوس وفكره * وتذكرت ما كان يجمعنى واياه من سكرى الشباب و الشراب * فعلمت انه شرب بكاس انا شارب من شرابها * ورمى بسهم سوف أرمى بها * فبكيت عليه بكاء لى نصفه * وحزنت عليه حزنا لنفسى شطره * وسألت الله تعالى فانه اكرم مسئول * واعظم مأمول * ان يفيض عليه من رحمته * ما يعم به سهمه من نعمته * وان يتغمد كل زلة ارتكبها برحمته * وضياعف له كل حسنة اكتسبها بمنته * وان يذكر له تلك الاخلاق الكريمة * و تلك المروءة الواسعة العظيمة * فان الله تعالى يحب السخاء فى الملحد * فكيف فى الموحد * وان سخاء النفس و نصب المائدة خلق من

Digitized by Birzeit University Library

اخلاق الصديقين * وشعبة من شعب النبيين * ثم تذكرت ما نزل بسيدى من الوحشة لفقده * والغمة من بعده * والتحسر على قربه ببعده * فخلص الى قلبى وجع ثان انسانى الماضى * وثالث انسانى الثانى * حتى استفرغ ذلك ما فى صبرى * بل ما فى صدرى * وحتى صار الوجع وجعين * والمصاب اثنين * ثم رجعت الى ادب الله تعالى فقلت انا لله وانا اليه راجعون اللهم لا شكاية لقضائك * ولا استبطاء لجزائك * ولا كفران لنعمتك * ولا مناصبة لقدرتك * اللهم ارحم الماضى رحمة تحبب اليه مماته * وابق الحى بقاء يهنيه حياته * واطبع على قلبه حتى لا يطيع داعية الجزع * ولا يضع عنانه بيد الهلع * ولا يثلم جانب الاجر والذخر * بالاثم والوزر * ولا يجد عدوه الشيطان سبيلا اليه * ولا سلطانا عليه * اقتصرت من تعزية سيدى على هذا المقدار * لاجريا على مذهبى فى الاقتصار والاختصار * ولكنى لم اجد من لسانى بسطه * ولا فى قريحتى فضله * ويحق لهذه الفادحة الحادثة ان تدع اللسان محصورا * والبيان مقصورا * او ان تحدث فى العقل خللا * وفى البيان شللا * وليعرفنى سيدى خير ما هداه الله اليه من جميل العزا * الذى لم يعدم جميل الجزا * ليكون شكوتى الى ما اعرفه من سلوته * اضعاف قلق كان بما ظننته من حرقته * وان كنت اعلم انه لا يخلى ساحة الحلم والعلم * ولا يخل بالواجب من التمسك بالحزم * ولا يحل عقدة صبره * ولا تتداعى اركان صدره * ولا يعمى الرشد فى جميع امره * وهذه شريطة الكمال * وسجية الرجال *

﴿ وكتب الى ابى الحسن الطرحودى بدار طوس ﴾

فلا ترتفع عنا اشغل وليته * كما لم يصغر عندنا شانك العزل * ليت شعرى ما الذى رآه فى الكبر حتى اعتقد ملته * واستقبل قبلته * وفى العجب حتى تبوأ ساحته * واستوطن راحته * وفى الجفا حتى علق اسبابه * ولبس جلبابه * وما الذى ارتكبته من بين اخوانه * حتى افردهم عنى * وكاتبهم دونى *

حتى

Digitized by Birzeit University Library

حتى كأنى قطعته ووصلوه * ونسيته وذكروه * وجفوته وبروه * كأنه عرض جريدتهم فوجد اسمى ملحقا بحواشيها * ومثبتا فى اخريات اساميها * فهلا اذ لم يوهلنى لمرتبة الخاصة * جعلنى اسوة بالعامة * وهلا اذ لم استحق منه فضلا * رزقت منه عدلا * وهلا تصدق على * بكتابه الى * فازمنى على المساكين صدقه * وللفتح هدية * فكنت اجعل يوم وصول كتابه الى عيدا * ونيروزا جديدا * واتصدق بمالى فيه طريفا وتليدا * واطوف بكتابه فى اخوانه واخوانى * واباهيهم به مباهاة الاخ باخيه * الذى مساعيه مساعيه * ومساويه مساويه * وكل شئ من فضيلة ورذيلة فهو شريكه فيه * صفحت ايد الله سيدى عن هذا الذنب الفظيع * والجرم الشنيع * فهل لسيدى ان يستأنف ما احاله آخرا * ويأخذ بنا فى طريقه غير الاول * فان الاستقالة تأتى على العثرات * وان الحسنات يذهبن السيئات * وان قليل الاستغفار * ينسى قليل الخطأ والاوزار * خرج الى ناحية سيدى فلان وهو جوهرة من جواهر الشرف * لا من جواهر الصدف * وياقوتة من يواقيت الافكار * لا من يواقيت الاحجار * واذا نظرت اليه من مرآة الحيرة * وقلبه بيد العشيرة * استدل به على حسن انتقادى * وصائب ارتيادى * وعلم انى لا اختار غير الخيار * ولا اجنى غير خير الثمار * ولا اصادف غير الاحرار * فلينطق سيدى لسانه بشكره * وليكفه الدقيق والجليل من امره * وليمش على عقبى لا بل مقدمتى الى الطافه وبره * عرض سيدى هدايا تلك الناحية * وكيف اطمع فى هدية من يبخل برد السلام * ويحاسب اصدقاءه على الرسالة والكلام * وكيف يسمح بالجوهر الحاصل * من يبخل بالعرض الحائل * وكيف يتوسع فى النافلة من تضايق بالفريضة * انصفنا الله تعالى من اصدقائنا * فانا بحوله وقوته ننتصف من اعدائنا *

﴿ وكتب الى وزير قابوس بن وشمكير ﴾

وكل ولابة لابد يوما * مغيرة الصديق على الصديق

Digitized by Birzeit University Library

قد كنت انتظر مصداق هذا البيت من سيدى حتى حقق الله تعالى ظنى * ولو اكذبه كان احب الى * واوقع لدى * فسبحان من جعل حصتى من وفاء الاخوان منحوسة * وتجارتى فيما اعاملهم به ويعاملونى مركوسة * فان كان سيدى عم بهذا الجفا اخوانه فخلطنى بهم * وجعلنى واحدا منهم * لقد اخلف ثقتى بانفرادى عن صحبه * وخلف ظنى بناحيتى عن قلبه * وكنت احسب انه يخصنى من بينهم بفضل المقة * كما خصصته من بينهم بفضل الثقة * وان كان وصلهم * وقطعنى دونهم * لقد عكس حكم لرجا * وغرس الجفا فى منبت الوفاء * واساء الترتيب بين الاصدقاء * وما ادرى له فى واحد الفعلين عذرا * وان كان احدهما اثقل وزرا * واسوأ برا * واقبح ذكرا * وقد كنت طويت بيد اليأس بساط العتاب * واغلقت باب المراجعة وضيعت مفتاح الباب * ثم استظهرت بهذه الاحرف وسترد على من سيدى اذن من العتاب صماء * وعين من الوفاء عمياء * ونفس تبغض الوفاء * كما يبغض الناس الاعداء * وتعشق الجفاء كما يعشق الرجل المرأة الحسناء * وتشتهيه كما يشتهى الظمآن الماء * وانتظارى الجواب عنها اكذوبة من اكاذيب الامانى * واغلوطة من اغاليط زمانى * ومناقضة لحكم القياس * وارجاف من اراجيف الوسواس * ولكنها سخرة من سخر الفراغ تكلفتها * وحاجة فى نفسى قضيتها

﴿ وكتب الى رئيس بهراه يعزيه بابن اخته وبنته ﴾

كتابى ايد الله الشيخ الرئيس * وانا سليم المهجة * سقيم القلب والمنة والنية * صحيح العرض والجسد * عليل الخاطر والجلد * للمصيبة فى فلان رحمه الله * فانها مصيبة خرجت من كمين الدهر * قبل ان يستعد لها بعدد الصبر * وجاءت مجئ البغية * ووثبت وثبة المسارقة * وغلبت الايام على ذلك الحر اطرأ ما كان غصنا * واتم ما كان حسنا * وابعد ما كان املا * واظهر ما كان جزلا * حتى كأن المنون اخذته خلسة * وانتهزت فيه فرصة

Digitized by Birzeit University Library

فرصة وفقد الشباب الطرى اكثر جزعا * وكسر العود الرطب اشد وجعا

ان الفجيعة بالرياض نواضرا * لاشد منها بالرياض ذوابلا

ولو كان الدهر يجيب من خاطبه * ويعتب من عاتبه * لاستدركت هذه الفعلة عليه * ولفوقت سهام اللؤم اليه * لكنه اصم عن الكلام * صبور على وقع سهام الملام * يختصر العيدان * ويهتصر الاغصان * ويخترم الشبان * ويبكى الانام والابدان * ويلحق من يكون بمن كان * والشيخ جدير بان يتدرع لهذه الفجيعة درعا من كرم التسلى * وجميل التعزى * لا تخرقها يد التذكر * ولا تهب عليها ريح الغم والتحسر * ولا تطمح نحوها عين التغير والتنكر * وان يلقى هذا الخطب الكبير * والغم الكثير * بصبر منهما اكبر * وتجلد هو منهما اكثر * فان الكبير فى قلب الكبير صغير * وان العظيم على العظيم صبور *

والثقل ليس مضاعفا لمطية * الا اذا ما كان وهما بازلا *

وليحذر ان يجمع على نفسه ذل الغربة * وثقل الكربة * وان كان لا غربة على عاقل * ولا وحدة لفاضل * فان الداء اذا قابل دآء لم يقبل دواء * ولم يرج اصاحبه شفاء * وليعلم ان الله تعالى قد اخذ منه اليسير * وابقى له الكثير * وسلبه الصغير * ومنحه الكبير * سلبه اخا كان يعتضد باخوته * ومنحه ابا يجمع خير الدارين بابوته * وابقى له اخوة هم قوة اليد والعضد * وغاية الايد والمدد * وزينة العدد والعدد * وجمال الدهر والابد * فسبحان من اذا سلبنا من هو املك به منا آجرنا * واذا صبرنا على ما لا بد من الصبر عليه شكرنا * واذا امتحن كانت محنته خيره * واذا منح كانت منحته نعمة كبيرة * ورحم الله فلانا ذا الخلق المعسول * والكنف المأهول * والطعام المبذول * صاحب المرعى الخصيب * والقلب الرحيب * والوجه الطلق * والجناب الغدق * الشاب سنا وجلادا * والشيخ حلما وسدادا * الذى كان زينا اذا دنا * وذخرا اذا نأى * وعدة للآخرة والاولى * والذى كان يهين ماله * ليكرم نزاله * ويبذل دينـاره ودارهِ * ليصون زواره * ويضحك فى وجه النازل عليه * عند نظره اليه * كأن الموت ينتقد

Digitized by Birzeit University Library

الافاضل * ويبهرج الاراذل * وكأن الآخرة تختار الاخيار * وتترك على الدنيا الاشرار * وكأن اعمار الكرام مشاهرة * و اعمار اللئام مداهرة * قال الطائى

عليك سلام الله وقفا فانني * رأيت الكريم الحر ليس له عمر

فاما البنت رحمها الله تعالى فقد كانت حياتها عفافا وسترا * ووفاتها ثوابا وذخرا * ولقد كانت فى زمان النجابة فى رجاله غريبه * وفى نسائه عجيبه * والعفاف فى ذكرانه معوز * وفى اناثه معجز * والعقل فى شيوخه نادرة تفقد * وفى شبانه ضالة لاتوجد * فالحمد لله الذى سترها بالحياء فى حياتها * وبالثواب بعد وفاتها * فاسبل الله تعالى على سيدنا ستر ين * واستوجب منا ومنه له شكرين * ولقد ثكلتها ثكل الرجل لاخص اخواته * بل لاكرم بناته * فقد كانت لى من جهة ميلادها والحال بينى وبين والدها بنتا * ومن جهة تربيتها اختا * والمستور عزيز فى كل مكان * ومحبب الى كل انسان * وممدوح بكل لسان * فان تكن خلقت انثى لقد خلقت كريمة غير انثى العقل والحسب فرحمها الله تعالى رحمة تلحقها بمريم وآسية فى الاولين * وبخديجة وفاطمة فى الآخرين * وبام الدرداء ورابعة فى نساء الصحابة رحمهم الله تعالى اجمعين * ولولا ما ذكرته من سترها * ووقفت عليه من غرائب امرها * لكنت الى التهنئة * اقرب من التعزية * فان ستر العورات من الحسنات * ودفن البنات من المكرمات * ونحن فى زمان اذا قدم احدنا فيه الحرمة * فقد استكمل النعمة * واذا زف كريمة الى القبر * فقد بلغ امنيته من الصهر *

﴿ وقال الاول ﴾

ولم ار نعمة شملت كريما * كنعمة عورة سترت بقبر

﴿ وقال الثانى ﴾

تهوى حياتى واهوى موتها شفقا * والموت اكرم نزال على الحرم

﴿ وقال الثالث ﴾

وددت

Digitized by Birzeit University Library

وددت بنيتى ووددت انى * وضعت بنيتى فى لحد قبر

﴿ وقال الرابع ﴾

ومن غاية المجد والمكرمات * بقاء البنين وموت البنات

﴿ وقال الخامس ﴾

سميتها اذ ولدت تموت * والقبر صهر ضامن وبيت

وقد كنت على ان افرد فى معناها كتابا الى الشيخ ثم تطيرت له من تناسق التعزيتين * كما توجعت له من تواتر المصيبتين * وارجو ان تكون هاتان الحادثتان خاتمة الكروب * وقافية الخطوب * ثم تجئ النعم بعدها مترادفة * بل مترافدة * ثم متظاهرة * بل متواترة * ومتناسقة * بل متطابقة * فان المحن اذا تناهت انتهت * والرزايا اذا توالت تولت * ولكل غمرة محنة معبر * ولكل مورد غمة مصدر * وسيجعل الله بعد عسر يسرا * ولعل الله يحدث بعد ذلك امرا * على انها تعفو الكلوم * وانما توكل بالادنى * وان جل ما يمضى اسأل الشيخ ان يكتب لى حصر ما وجده من برد السلوة * لاشركه فيه كما شركته فى حرارة اللدغة والفجعة * والسلام

﴿ وكتب الى صديق له جواب كتابه ﴾

ما تأخر جواب كتاب سيدى وشيخى جهلا بحقه اللازم الواجب * ولا انكارا لافضاله المتراكم المتراكب * ولكنى تحريت وقتا ينشط فيه اللسان للبيان * والبنان للجريان * ويوما يحسن فيه الدهر * وينشرح فيه الصدر * ويقل فيه الفكر * فلا والله ما وجدته وقد كنت اشتاق الى غدى * فانا الآن الهف على امسى * وما من وقت كرهته الا وانا احن اليه * ولا من يوم بكيت منه الا بكيت عليه *

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وكتب الى حاكم ﴾

ورد كتاب الحاكم بما ملأنى سرورا وحبورا * وصار فى رجائى الميت حركة وفتورا * وشكرته على ما بذله شكرا * لا ارضاء مهرا * لاساءته لو انتهت الى * فكيف لاحسانه المتظاهر على * ولكن لن تتجاوز الطاقة ذرعها * ولن يكلف الله نفسا الا وسعها * وما عندنا غير خلق لا يشترى بثمن * ولا يعارض بايعه بقبيح ولا حسن * وهو الدعاء استجاب الله فى الحاكم صالحه واسبغ عليه منايحه * واعطاه من كل خير مقاليده ومفاتحه *

﴿ وكتب الى نائب الوزير ابن عباد باصفهان ﴾

كتبت الى الاستاذ معاتبا مرة * ومستعتبا كرة * فما وجدت للعتاب اعتابا ولا قرأت عن الكتاب جوابا * وليت شعرى ما الذى منعه عن صلة لا تضره وتنفعنى * وعن تواضع لا يضعه ويرفعنى *

ولربما بخل الجواد وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب

فالان قد عنيت بجواب كتبه * وعرفت بين عتابه وعتبه * يكلفنى ان اورد على الاستاذ خبر شكره * وان اجعله بعض ودائعى عند احسانه وبره ومذ اخبرته اننى قد ركبت من التقصير فى شكر الاستاذ عن خاصيتى * مركبا سقطت معه شهادتى * واخفقت بعده شفاعتى * وان شكرى له عن غيرى * بعدما ضيعت الواجب منه على نفسى * نافلة اقيمها بعدما ضيعت الفريضة * وتفصيل اصلحه بعد ما افسدت الجملة * ولن تقبل النافلة او تؤدى الفريضة فلم تقابل حجتى الا بالجحد * وعذرى الا بارد * وما زادنى على كتبه العريضة الطويلة * ومعاتباته الثقيلة * فذكرته الآن الاستاذ فان كنت اسأت فالاساءة بينى وبينه * وان كنت احسنت فالاحسان لى دونه * ويا عجبا منى اعجز عن تحمل نعمة ثم اخطب نعمتين * ولا اقوم تحت عارفة ثم اطلب

عارفتين

Digitized by Birzeit University Library

عارفتين * ولا ارضأ البر الا مداخلا * ولا اقبل الاحسان الا مضاعفا * وما يستبدع منه بذل الرغيبة بعد الرغيبة * ولا منى اقتراح الغريبة بعد الغريبة * فانه ايده الله اوحد فى النوال * كما انى اوحد فى السؤال *

﴿ وكتب الى ابى الحسن الحكمى ﴾

خرج الشيخ من هاهنا على حالة ان كان الذنب فيها له فقد غفرت وعذرت * وان كان لى فقد استغفرت واستعذرت * والدهر يوزع بافساد الاحوال * وتكدير ماء الوصال * وقطع قرائن الرجا * ثم يعود العاقل لما يرفو به الخرق ويرتق به الفتق * فيقبل الزلة ويراجع الوصلة وينشد

اذا نزعات الحب او رثن بيننا * عتابا تراجعنا وعاد العواطف

فاما الجاهل فانه اذا هجر لم يبق فى القوس منزعا * ولم يترك للصلح موضعا * والحمد لله الذى وفقنى فى اثناء هذه الحال حتى كبحت فرس الغرامة * وغمدت سيف الشكوى والملامة * وايقنت الحال فى صوانها * ولم اتعد منها حكم زمانها * فهجرت هجر منازل كريم المقاطعة * ووصلت وصل مراجع حميد المراجعة * لتكون الاولى بدرة مغفورة * والثانية كفارة مشكورة * والعتبى عروس ليس لها غير الصلح مهر * والاعتذار سعى ماله غير القبول اجر * وقد كنت قلمت عن عرض الشيخ بنانا حديد المخالب * وفللت عن جانبه سيفا مرهب المضارب * وانما سلطان الغضب ساعة تورث ندامة الابد * ويوما يثمر حياء الغد * الا من اعين بالعصمة * واطاع راعية العقل والحكمة * والسلام

﴿ وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة ﴾

قد كنت ارجو ان تعلق بالشيخ يأسو خراج الايام لى * ويترع نصالها الواقعة

Digitized by Birzeit University Library

بجنبي * فطالما تعلق المدبر بذيل المقبل فاقبل باقباله * وصارت حاله قطعة من حاله *

وكم صاحب قدجل عن قدر صاحب * فالقى له الاسباب فارتفعا معا ويا عجبا كيف لا يغار الشيخ على جانبي منه * وكيف لا يخاف على سخطي فيه * وكيف يرضى بان يرى مصون قولي فيه وقد ابتذلته * وكيف يستحسن ان اسأل غيره بعد ما سألته * فوالله تعالى ان لسانا جرى بمدح سواه بعد مدحه لاهل ان ينزع * وان كلاما كان فيه ثم صار فى سواه لجدير بان لا يسمع * وقد كنت زففت الى الشيخ عروسا من كلامي عاتبته فيها * فان كانت حسناء فاين حق الزوجية * وان كانت قبيحة فاين حق النية * ولا اقل من ان يرضى بالمجان * ان لم يشتر بالاثمان * وان يمسك بالمعروف او يسرح باحسان * وان درهما يؤخذ مني لدرهم ثقيل الوضع على السلطان * قبيح الاحدوثة فى البلدان * ولئن كان يعمر به بيت المال * فان يخرب بيت الجمال * ولئن كان يزيد به عدد الدراهم * انه لينقص من عدة المكارم * ولئن كان يسمى فى العامة جباية * انه يسمى فى الخاصة خزاية * وللبس اكفان الموتى * وسرق ادوية المرض * وقطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام * وزوار قبر النبي عليه السلام * احسن فى الاحدوثة وابعد من العار والنقيصة من الزام مثلي خراجا * وسومه غرامة واستخراجا * وانما يحاسب نفسه فى مثل هذا من وزن افعاله بمعيار الحرية * واخذ نفسه بشرائط الانسانية وغار على نفسه * كما يغار على عرسه * وضن بقدره * كما يضن بوفره * وهذه خصائص لا يؤاخذ بها الاحرار * والشيخ يحمد الله صدرهم وبدرهم * وعليه مدار امرهم وهو اولى من غضب للادب * وحافظ على الاقدار والرتب

﴿ وكتب الى ابي الحسن علي بن دايه ﴾

لم ينقطع عن كتاب سيدي مع ضني به * وعشق له * الا انه يبخل على بان احفظه

Digitized by Birzeit University Library

احفظه وارويه * ويخشى على ان انتحله وادعيه * فمهدى به لا يبخل على
الفقراء * ولا يرضى لاسمه ان يكتب فى جريدة البخلاء * ام لانه يكره ان يصير
نظيرا اذا كاتب دونه كثيرا * فهذا ظن غير صائب * ورأى غير ثاقب *
فقد يكاتب الكبير الصغير * فلا الكبير يصغر * ولا الصغير يكبر * ام لانه
يخاف ان لا يعرف حقيقة خطابه * ولا يبلغ غور كتابه * فقد علم ان الله تعالى
خاطب العامة بوحيه كما يخاطب به الخاصة * ام انه يأنف لكتابه اللطيف *
من جوابى الكثيف * فما زال الخطأ منبها على مقدار الصواب * وما زال
توسط المجيب دليلا على تقدم المجاب * ام لان اخوانه الذين استطرفهم من
بعدى واعتاضهم منى * قد شغلوا يده عنى * فما كنت اظن انه يحفظ لكل
جديد لذة * وينسى لكل عتيق حرمة * ام لان الايام اعدته فما حسبته يقبل
عدواها * ويتحلى بحلاها * ويرضى لنفسه ان يسعى مسعاها * ام لان
سمرقند بعدت عليه * والكاغذ عز لديه * فانا اجهز اليه قوافل تحمل من
الكاغذ اوقارا * ويتصل منى اليه قطارا قطارا * ام لانه يتكاسل عن مكاتبتى
فانا اكتب عنه الى * وارضى قلبى بيدى * هذا اذا تواضع وقبلنى كاتبا *
فاما انا فقد رضيت به صاحبا * على اننى منتظر منه ان تعطفه على العواطف *
وان تعود الى نعمه السوالف * فلربما غلط الدهر المسئ الى بالاحسان * وعاد
على الهدم بالبنيان * هذا والكتاب ملقى * لا موقى * تسرع اليه اليد
الخاملة * وتعرض له الآفات السانحة * فالماء يغرقه * والنار تحرقه *
والريح تطيره * كما ان الايام تغيره * والدخان يسود بياضه * كما ان الحك
يبيض سواده * والرطوبة تضره * كما ان اليبوسة لا تنفعه * فآفاته اكثر من
آفات الزجاج الذى يسرع اليه الكسر * ويبطئ عنه الجبر * وحوادثه اكبر
من حوادث الغنم التى هى لكل يد غنيمة * ولكل سبع فريسة * واقل آفاته
خيانة الحامل * ووقوع الشاغل * وعوائق الفتوح والقوافل * وهذا
التطويل كله ارتياد لعذر اجده لسيدى * وان رجلا اعتذر عنه الى قلبى *
وابرز ذنبه فى معرض ذنبى * لاعظم فى عينى من كل عظيم * واكرم على
قلبى من كل كريم * وكأنه فى وفيه قيل

Digitized by Birzeit University Library

اذا مرضنا اتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

﴿ وكتب الى ابى الحسن الحكمى ﴾

طالت ايام الشيخ بتلك الناحية * حتى ظننت ان الدهر فطن لايامنا فى ظله * ولرتعنا فى فضله * فزاحمنا عليه * وسابقنا اليه * وسلبنا النعم به * لاسلبنا الله نعمته * فانها نعمة متجاوزة الى كل من قدح بزنده * واستظل بظل احسانه ورفده * وانما يريد الناس النوال للمال * وهو يريد المال للنوال * فالنعمة عليه نعمة على من سواه * والنعمة على غيره نعمة لاتتعداه * على انى عارف بان الله تعالى لن يختم للشيخ الا باحمد العواقب * ولا يعدل بحاله الا الى اليمن الجوانب * وعلى الكريم واقية من فعله * وله حصن حصين من فضله * فاذا زلت به النعل زلة * او صال عليه الدهر صوله * اقامته يد احسانه * وانتزعته من مخالب زمانه * فليمد الشيخ عنان رجائه * وليتوقع الفرج فى صبحه ومسائه * وليعلم ان وراءه ربا لايخذله * وسريرة صالحة لاتسلمه * وسلطانا عادلا لايظلمه * اراه الله تعالى وارانى فى حساده * مايصيرهم نكالا بين عباده وبلاده * واراهم فيه من رغائب النعم * وغرائب القسم * مايتمنون العمى قبل رؤيته * والصمم قبل روايته * واطال لغمهم ورغمهم بقاه * وجعلهم فدائى ثم جعلنى فداه *

﴿ وكتب الى ابى الفرج لما قلده خلافة البندار بطوس ﴾

وردت كتب ولدى على يد جماعة اصدقائه * وكافة اوليائه * وطلبت حصنى منها فلم اجد فيها * فليت شعرى كيف قصدنى من بينهم الزمان * وكيف خصنى منه بالحرمان * وكيف صرت المستثنى * وقعدت على طريق الا * وكيف عدنى ولدى فى الاجانب * وكنت اعد نفسى فى الاقارب * وهلا اذ لم يدخلنى

Digitized by Birzeit University Library

يدخلني فى جملة اخوانه واصفيائه * ادخلني فى جملة شيعته واوليائه * وقد اغتفرت هذه الواحدة * وساؤاخذه ان عاد اليها ثانية * فما يسع عفوى لاكثر من مرة * ولا تنال اقالتى اكثر من عثرة * هذا العمل اول ماجرى ولدى فى ميدانه * وسابق اهل زمانه * فان طلب الغاية * وبذل الجهد والطاقة * لحق السابق * وفات اللاحق * وان قصرفاته المراد * وسبقته الجياد * وهو ابن رجل ان سبق ابنه فلم يشكر * وان سبق لم يعذر * فليتعتب نفسه * فلا راحة مع الهمة * وليسهر عينه فلا نوم مع طلب الغاية وليحذر فلتات اليد واللسان * وسكرات الشبان * فان سكر الشباب * اشد من سكر الشراب * وليكتب فى قلبه بيد عقله قول الاول * خدمة السلطان والكأسات من ايدى الملاح * ليس يلتئمان فاختر رفعة اوشراب راح * وانى لاعلم ان لولدى عرقا سيرخى عنانه * ويخلف اقرانه * وانه لن يستقبل الا قبلة حسبه ولن يفعل الا ما يليق به * ولكن احزم الحزمة لا يستغنى عن عظة الاخوان * كما ان اعتق الجياد لايستغنى عن ركض الفرسان * كنت كتبت كتابا قبل هذا ارخيت فيه عنان لسانى * واتعبت فى تطويله قلبى وبنانى * والتطويل فى شكر الجميل اختصار * والاطناب فى قضاء الواجب تقصير واقتصار * فلان قد الف طوس حتى عشقها * وهجر نيسابور حتى طلقها * وتعدى طلاقه الى طلاق اخوانه بها * وانا احسد ولدى على ماخص به من قربه * واود لو شركته فيه كما شركته فى حبه * والحسد على مثل هذا سنة متبعة * وفى غير هذا بدعة مبتدعة * وقد كنت اشكو الايام وهى تفارقنى باخوانى فرادى * وهى اليوم تفارقنى بهم مثنى * فتكلفنى ان اقيم للشوق نوبتين * واوجه قلبى اليهم من طريقتين *

﴿ وكتب الى وزير خوارزمشاه لما نكب وكان خريجة هرجة ﴾

اصبحت ايد الله الشيخ وامسيت شبعان من كل بغية * ريان من كل مراد ومنية * غير خبر انقشاع هذه الضبابة * وانجلاء هذه السحابة *

Digitized by Birzeit University Library

فانى يعلم الله تعالى ظمآن الى خبر * يذيل فرحى على غمى * ويهزم بسرورى عساكر همى * فما اسرع خبر السوء حتى كأنه يخب * وما ابطأ خبر السرور حتى كأنه يدب * وما اولع الدهر بهدم ركن الفضل * وثلم جانب العقل * وما اسرع الايام على الكريم فيما يضره * والى اللئيم فيما يسره * وما ابين مجانسة الدهر لاهله * واكثر مناسبة الجاهل فى جهله * وما اشد غيظى على فلتات الايام فى الكرام * وعلى نفحات الارزاق فى اللئام * وما اشوقنى ان استمع من اخبار تلك النفس النفيسة ما ابكى له طربا * كما ضحكت من ضده عجبا * والى الله اشكو حالا ضحكها سخرية * ومجاز وعارية * وبكاؤها حق وحقيقة واياه اسأل ان يفنى مدة النقص فقد طالت * ويضع من غرة الجهالة فقد استطالت * ويعيد للفضل الكرة * ويزيل عنه الفتور والفترة * ويصب فى سمعى من خبر انحسام دواعى هذه المحنة ما يعيد شبابى الذى ولى * ويطرد شيبى الذى تجلى * فحق لمن شاب عن سماع ما يسوء * ان يشب من سماع ما يسره * وحق لجسم هدمه الغم الامسى * ان يبنيه الفرح اليومى * وحق الدهر ان يكف فقد بالغ فى العقاب * وتناهى فى العتاب * وحق لصروفه ان تنصرف فقد اشفت وشفت * واكتفت وكفت * وزادت على ما فى الامكان واوفت * وحق لها ان تخاطبها بقول ابن المعتز

يامحنة الدهر كفى * ان لم تكفى فخفى
قد آن ان ترحمينا * من طول هذا التشفى

على انى ارجو ان يكون فى طى هذه المحنة من المصالح ما يغمض مسلكه * ويخفى مذهبه * وان يكون اقل ما يكسبه الشيخ فيها * ويستفيده منها * تمييز معارفيه من اخوانه * والوقوف على من لا يصادقه الا بصداقة زمانه * واذابة المغشوش من الدعوى * بنار الاختبار والسلوى * كما قال البحترى وصدق فى المقال

لئن ثنى الدهر عن عزى فلم يصل * وكف من يدى الطولى فلم تطل
لقد حمدت صروفا منه حببنى * مذمومها غضبا مما على ولى

Digitized by Birzeit University Library

ومما سرنى والشيخ ان المحنة لم تثلم جوانب جلادته * وان طول مدة الذلة والقلة لم تعتصر مآ احتماله وصلابته * وان الوحدة والوحشة لم تقدحا فى لسانه وقلبه ولم يظهر اثرهما على صفحات ثباته وعزمه * وان لم تصغر على تلون الزمان نفسه * ولم يلن على اكف اعدائه مسه * وانهم كبتهم الله وان توصلوا الى تغيير نعمته وقد حجبوا عن تغيير همته * وان تطرقوا الى كيده باطنا فقد اضطروا الى تبجيله ظاهرا * وقد قيل فى ذلك لعلى بن الجهم

و ما المكر الا للنساء وانما * عدوك من اشجاك حين تصارعه

حتى اجتلت عنه غبرة العواقب و العرض نقى * و القلب بالله تعالى قوى * والفعل بحمده تعالى مرضى * و النفس تلك النفس الا ما نقص من مال * وتضعضع من حال * والجملة فلك الجملة لا الرخاء اكسبها بطرا * ولا البلاء اورثها ضجرا * ولا اساء مجاورة النعمة فتطاول * ولا محاورة المحنة فتضاءل والحمد لله الذى كشف عن مقداره فى ميزان الاختبار والابتلاء * واظهر عن حقيقة كيفيته فى مرائى الرخاء و البلاء * والايام مرآة الرجال * والاطوار معيار النقص فيهم و الكمال * و العثرة بعد الدولة تخرج خبث الاخلاق * وتكشف عن مقادير الاصول والاعراق * ثم الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال * وعافى فى الكبير وهو الصيانة و الجمال * و قد قيل ما يليق بهذا الحال * من حسن المقال *

و لا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا ان يزول التجمل

المال ايدك الله تعالى حطام ينقص ثم يزيد * وظل ينحسر ثم يعود * والشيخ يقضيه قول امير المؤمنين رضى الله تعالى عنه «قيمة كل امرئ ما يحسنه» انت ايدك الله تعالى اغنى اهل خوارزم يوم تصير افقرهم * واكبرهم ساعة تظن اصغرهم * وهو الوزير يوم يعزل * والمصون ساعة يتبذل * والكبير بنفسه * وان انفرد عن غيره * والمستأنس بفضله * وان استوحش من دهره

Digitized by Birzeit University Library

ان الامير هو الذى * يضحى اميرا يوم عزله
ان زال سلطان الولا * يه كان فى سلطان فضله

﴿ وكتب الى ابى على البلعمى لما فارق الحضرة و ورد نيسابور ﴾

كتابى الى الشيخ وقد امضت الايام فى حكمها * وانفذت فى صبرى وتجلدى سهمها * والحمد لله تعالى على كل شئ الا غيبتى عن الشيخ فانى اخشى ان ازداد منها * اذا حمدت الله لها * انتهت بى المحنة بعد فراق الشيخ الى غاية ليس بينها وبين الموت حجاز * ولا وراءها للبلاء مجاز * حتى لقد ركبت غير دابتى * واكلت غير نفقتى * ونزلت بيتا بكرا * واكلت خبزا بسرا * وحرمت العينى * وشربت الزبيبى * ولبست الصوف فى المصيف * والبردى فى الخريف * وكوتبت مواجهة * وخوطبت بالكاف مشافهة * واجلست فى صف النعال * اعنى اخريات الرجال * وناظرنى من كان يدوس على * وخالفنى من كان يختلف الى * وحتى لقد نشزت على جاريتى * وحرنت على دابتى * وتقدمنى فى المسير رفيق * الذى جمعنى واياه طريق * وحتى انى اخذت الدرهم الجيد فصار فى يدى ستوقا * وقطعت الثوب المشترى فصار على بدنى مسروقا * وغسلت ثيابى فى تموز فغابت الشمس وطلع السحاب * وسافرت فى حزيران فعصفت الريح وسد الافق الضباب * وفقدت كل شئ ملكته غير عرضى الذى عهده الشيخ معى * وصبرى الذى عرفه منى * ومن لم يكن على المحنة صبورا * لم يوجد للنعمة شكورا * ومن لم يحقر سوء ما يبلى * لم يحمد حسن ما يولى * انكر الشيخ عروف نفسى عن مواقف البذلة * وصعوبة جانبى على من جرنى الى مظنة الهوان والذلة والادب سلطان ينسى هيبة السلطان * ولطول العشرة دالة تقيم الملوك مقام النظراء والاخوان * ولا ذنب الا وله فى العفو ساحة عريضة * كما انه لا ذنب الا وله من العذر مسافة قصيرة * وانما المدار على الرضى فانه يقرب البعيد * وعلى الغضب فانه يبعد القريب * اللهم الله رؤسانا عنا الرضى *

و

واتم لنا باحسانهم الينا الحسنى * قد علم الشيخ انى مذ كنت لم يسم خدى عذار الهوان * ولم يوضع على رقبتى نير التبذل والامتهان * ولم تطرق الايام حريم عرضى فتنتهكه * ولا نالت ستر صيانتى فتهتكه * ولا ماء وجهى فتسفكه * ولقد اخترقت البدو والحضر * ودخلت ديار ربيعة ومضر * فما رأيتنى بحمد الله تعالى اوخر عن رتبه * ولا خلف عن الغاية فى موطن رغبة او رهبه * ومعى اذ ذاك سكر الشباب * وذل الاغتراب * والقوم قد باينونى بالنسبة * وفارقونى بالتربة * وان عرضا صنته فى غير مظنة الصيانة * لجدير ان لا اهينه فى غير موضع الاهانة * فقد يبتذل الشاب ويقول اتصون اذا شبت * ويمتحن الغريب ويقول اتعزز اذا ابت * فاعذر من يحتمل الذل وقد رجع الى الوطن من الغربة * وخرج من حد الشبيبة الى الشيبة * وهل وراء الغاية منزلة * ام هل بعد الشيب الا الموت مرحلة * ورد على كتاب سيدى يدعونى * ومثلى لا يجيب داعى القول * دون ان يصدقه داعى الفعل * وبالجملة انا قد تفارقنا على حالة فان كنا عليها والتقينا فيها فآخر التلاق * اول الفراق * ولا يربح من هذا اللقا غير تخريج فراق جديد وتولد حزن جديد * والمرة من الفراق مرة فكيف المرتان * والسهم منه نافذ فكيف السهمان * وان كنا تغيرنا عن ذلك الخلق * ومشينا فى غير تلك الطرق * فيجب ان ندل على ذلك بالاحوال * لا بالاقوال * والشيخ خليق ان لا يقل سيفا شحذه * ولا يضيع علفا اتخذه * ولا يعطش زرعا سقاه * ولا يميت خاطرا احياه * ولقد ارخيت عنان خطابه * ووسعت ذرع عتابه ولكن لا خير للشيخ فيمن لا يحمى عرضه * ولا يسخو عن بعضه الا اذا افسد بعضه * ويد الشيخ اطول من لسانى * وامره امضى من قلمى وبنانى * فليتلنى لين مسها وانا بعيد * كما نالتنى خشونتها وانا قريب * وليعلم انه متى ارادنى خيرا ارجف به الناس * وحملته الى الانفاس * وكان اول رسله الى عزمى المتذبذب * وقلبى المتقلب * وفى الارض متحول * وعلى الله المعول *

* * *

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وكتب الى ابى محمد العلوى ﴾

بكتب الانام كتاب ورد * فدت يد كاتبه كل يد
يخبر عن حاله عندنا * ويذكر من شوقه ما نجد

ورد كتاب السيد اطال الله بقاه * واجزل من كل خير قسمه * ووفر منه سهمه وجعل امسه يحسد يومه * ويومه يحسده غده * فرتع الطرف منه بروضة ممطورة * وحلة منشورة * ولآلى فرائد منثورة * وجال منه الخاطر فى حكم لا تعرف ولا تجهل * وفقر لا تترك ولا تستعمل * وفصول يحسد عليها الخاطر الناظر عند الرؤية * ثم يحسد عليها الناظر الخاطر عند الروية * وجعلت انافس فيه البياض الذى يحتوى عليه * واغبط به المداد الذى جرى فى طرفيه * وا تمنى لو كانت اعضائى كلها نواظر تبصره * وخواطر تتذكره * والسنة تكرره * على شريطة ان يكون الناظر لا يمل لحظا * والخاطر لا يكل حفظا * واللسان لا يزل لفظا * فسبحان الله كيف جعل محاسن القول والفعل الى السيد محشورة * وعليه دون الانام مقصورة * وكيف لم يرض له بان يسود العالم شرفا ونسبا * حتى ساد هم علما وادبا * وكنت اعتقد ان الكتابة سوادية ونبطية * فانا الآن اعتقد انها خراسانية وعلوية * وكنت ارى ان المحاسن فى الناس متفرقة * وانا الان اراها فى واحد مجتمعة * وكنت احسب قول الحكمى

وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

كلام مسهب * وملق متكسب * حتى علمت انه قال ما لا يمتنع امكانه * ولا يتعذر وجدانه * وليت شعرى ماذا اقول فى هذا الكتاب وقد سد على مسالك الصفات * وحمى على قلبى ولسانى موارد التشبيهات * فانى ان وقفت وقد اجريت لسانى * وتوسطت ميدانى * ذللت على عرقى فى الكوادن * وانسلخت عما سر بلنيه السيد بشهادته لى من المحاسن * وان جريت وقد سد على توسعة انفاس بيانى * وافترع دونى ابكار الالفاظ والمعانى * ناديت

على

Digitized by Birzeit University Library

على نفسى بانه السابق و انا اللاحق * وشهدت له على بانه المسروق وانا السارق ولكن الحازم يختار خير الشرين * ويرجح بين المتثلين * و انا استخير الله تعالى * واعدل عن الاولى الى الاخرى * واقول هذا الكتاب احسن من كل حسن * الا من وجه كاتبه * و من خلق صاحبه * واغرب من كل غريب * الا من السيد فى زمان لايسع فضله * ولايقتضى مثله * واعجب من كل عجيب * الا من قيامى اعزنى الله مقام المجيب * عن كتاب اقصى غايتى ان اذريه و اوسع خطى همى ان ارويه * و انور من كل نير الا من اوقاتى بلقاء السيد فانها اوقات اياهن قصيرة وسرورهن طويل * و سعودهن طوالع ونحوسهن افول واجل من كل جليل * الا من مقدار اوبة السيد الى بلده هو حال باوبته * عاطل بغيبته * عامر به و ان خلا من سواه خراب منه * و ان جمع العالم الا اياه * و تعرفت فيه من خبر سلامته ادامها الله له * ولى به * ما اوجب صيام ايام دهرى * وقيام ليالى عمرى * على ان تكون الايام فى طول يوم يزيد بن الطثرية * والليالى فى وزن ليالى النابغة الذبيانى اردت بقول ابن الطثرية

ويوم كظل الرمح قصر طوله

﴿ وبقول النابغة ﴾

وليل اقاسيه بطى الكواكب

لا بل على شريطة ان تكون شمس النهار كشمس ذى الرمة التميمى * ونجم الليل كنجم العباس بن الاحنف الحنفى اردت بقول ذى الرمة * والشمس حيرى لها فى الجو تدويم * وبقول العباس بن الاحنف الحنفى *

والنجم فى جو السماء كأنه * اعمى تحير ما لديه قائد

لا بل على شريطة ان تكون صفة الليل كما قال خالد الكاتب * وليل المحب بلا آخر * و صفة النهار كما قال الآخر

ويوم كأن المصطلين بحره * وان لم يكن جمر قعود على جمر

ولئن اصبحت كل ايام الزمان صائما * وكل لياليه قائما * شكرا لله تعالى على

Digitized by Birzeit University Library

سلامته * ثم تصدقت بعدد ذلك بعدد نخيل البصرة * وآجر الكوفة بل بعدد رمل البهناء * ونجوم السماء * بل بعدد العالمين * وعدد نبات الارضين * بل بعدد قطر كل بحر * وتربة كل بر * وسراب كل قفر * وحوادث كل دهر وخواطر كل صدر * بل بعدد فضائل على بن الرضى * ومحن محمد بن العباس الطبرى * فانها اكثر من الكثير * واكبر من الكبير * لم اكن وفيت النعمة على مهرها * ولا قدرتها حق قدرها * ولا بلغت غورها * ولا اديت شكرها ولا وفيتها بعض قيمتها ولا عشرها * الا انى لما عرفت قصورى عن قضاء الحق ووقوفى دون ادنى مسافاة المجهود والطوق * قلت كلمة جعلها الله عنا لجنته ورضى بها ثوابا من نعمته * وهى الحمد لله رب العالمين * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله الطيبين * وعدنى السيد من سرعة رجوعه عدة اخشى ان يحمله لؤم دهره على الرجوع فيها * وان يعلمه تنغيص ايام السرور بها * فان الدهر بئس المعلم لبنيه * وبئس المثال لمن يحتذيه * وعهدى بالسيد لا يرجع فى هبة ولا ينظر فى اعقاب صلة * ولا يندم على حسنة * اللهم الا ان اكون اصبت كرمه * بعينى حبى له * وعجبى به * فان عين الاستحسان * آفة من آفات الاحسان * وفرط عجب العاشق بالمعشوق باب من ابواب التغير والتنكر * وسبب من اسباب التنقل والتحول * وانا والله اتهم على السيد عينى * وان كنت لا اتهم قلبى * وارضى لودته نيتى * وان كنت لا ارضى لها طاقتى

لى لسان كأنه لى معادى * ليس ينبى عن كنه ما فى فؤادى
حكم الله لى عليه فلو انصف * قلبى عرفت قدر ودادى

قرأت الفضل المسجع فشغلنى الاقتباس منه * عن الجواب عنه * ولقد عمد السيد الى كل سجعة منتخبة فى زاوية * ملقاة فى ناحية * فالجمها بلجام * وقادها بزمام * وغبر بها فى وجه سجعى الملتزق * وكلامى الملفق * وضربنى ضربا آلم الخاطر * وان لم يجرح الظاهر * وينكأ فى الفهم * وان لم يؤثر فى الجسم * واوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء * واشد الشكوى ما لم يخففه الاشتكاء * ومن بلغ من البلاغة مقداره * واقتدر على التصرف اقتداره * واحسن ان يسىء فى معرض الاحسان * وان يعطى فى اثناء

الحرمان

Digitized by Birzeit University Library

الحرمان * وان يمدح مدحا حقيقته هجاء * ويظهر رضى باطنه استبطاء *
فها انا ايد الله السيد وقيذ العمى والقدامة * وجريح الخبل والندامة *
اذا اشتهيت لقاه اشوق اليه * وتلهف عليه * آثرت غيبته لحيائى منه *
وقصورى عنه * فويلى من فراقه اذا نأى * وويلى من لقائه اذا وفى *
وكما قيل يا عبرى مقبلة * ويا سهرى مدبرة * ولكن

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

عجل الله تعالى اوبة هذا السيد على حالة تحكى وجهه ضياء * وخلقه سناء *
ومجلسه بهاء * وقدره علاء * وعقله صفاء * وقلبى له نقاء * وودى له
بقاء * ونيتى فيه استواء * وتراب تشيعى له ولاهل بيت هو فيه زكاء ونماء *
وارانى الله تعالى فيه من الصنع الجميل مايستغرق نثر كل ناثر * ونظم كل ناظم
شاعر * ويقع وراء ذكر كل ذاكر * وشكر كل شاكر * ولا زالت ايامه
تصبحه بكل فتح * وتمسيه بكل نجح * وتلاقيه بسعد * وتصافحه بمجد *
وتزوره بمجد * وتودعه بحمد * لياليها اسحار * وظلمائها انوار * وطول
اوقاتها قصار

ان الليالى الالئام مناهل * تطوى وتبسط بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وما ارضى للسيد دعائى بان يخرج على مقدار همتى * وينزل على حكم قدرى
وقيمتى * ولكنى اقول جعل الله تعالى رزق سيدى فى سعة همته * وماله
فى كبر قيمته * وعيشته فى حسن شيمته * ونعمته فى كثرة نعمته * ليكون
دعائى مداخلا * ومدحى له مقابلا * وذكرى له بالجميل من كل جانب معما
ومخولا * ولتكون اقسام وصفه متعادله * واجناس فضله متماثله * ذكر
السيد انه كتب جواب كتابى من الظهر الى العصر * ولقد استبطأته
مع ما اعرفه من بعد غوره * وغزارة بحره * ولكنى اغلقت لهذا الجواب
بابى * وارخيت له حجابى * وضممت الى نشر كتب آدابى * وجلست
من الدواوين بين آل الخراج وآل بويه * ومن بنى الخصيب وبنى مقله *

Digitized by Birzeit University Library

ونشرت من المقابر آل يزداد * وآل شداد * وحشرت من الآخرة ابن المقفع البصرى * وسهل بن هرون الفارسى * وابن عبدان المصرى * والحسن بن وهب الحارثى * واحمد بن يوسف المأمونى * ووضعت عن يمينى عهد ازدشير بن بابكان * وعن يسارى كتاب التبيين والبيان * وبين يدى فصول برزجمهر بن البختكان * وقبل ذلك رسائل مولانا الصاحب عين الزمان * وزين الشيب والشبان * فما زلت اسرق من هذا كلة * وانظر من ذاك فقرة * واستعير من هناك نادرة وثيقة * اغصب الاحياء على بيانهم * وانبش الموتى من اكفانهم * وانا فى اثناء ذلك رطب اللسان بالدعاء * رطب العين بالبكاء * ادعو الله بالتوفيق والتسديد * وبالعصمة والتأييد * واسأله ان يحفظنى من نفسى * فانها اعدى الاعدآء * ومن عجبى فانه ادوأ الادواء * ثم قمت فصليت ركعتين * ختمت فى كل ركعة منها ختمتين * واستعذت بالله من الشيطان الرجيم * وقلت بسم الله الرحمن الرحيم * وابتدأت فسودت هذا الكتاب كله * ثم نظرت فاذا انا قد تعبت وحبط العمل * وانفقت مالى وحج الجمل * السيد ابو الحسن اكثر الله فى ابى طالب مثله * ولا سلبهم جماله وفضله * فان كون مثله فى ابى طالب * رغم لانوف النواصب * وهيهات لقد اعظمت غلطا * وسألت الله شططا * فنجمنا معاشر الشيعة انحس * وحظنا من الاقبال ابخس * من ان يفلح فى الدنيا طالبى * او يسقى فيها ناصبى * ومن حصل مثل السيد والدا * فقد حصل المجد تالدا * وحق لمن كان السيد اباه * ان يكون من الكرم اخاه * فيستويا بالانتماء اليه فى الميلاد * وان اختلفا فى الولاد * فهذا بضعة من خلقه * وهذا شعبة من خلقه * ومن استقى عرقه من منبع النبوة * ورضع من ثدى الرسالة * وتهدلت اغصانه على بيعة الامامة * وتبجحت اطرافه فى عرصة الشرف والسيادة * وتفقأت بيضته عن سلالة الطهارة * وتناول المعالى بيد طويله * وجرى اليها عن غاية قريبه * لم تستكبر منه حسنة وان كبرت * ولا تستصغر منه سيئة وان صغرت * فامتع الله هذا السيد بهذا الولد * الذى اولم يلتم اليه قولا * لانتمى اليه فعلا * ولولم نعلم ولادته من طريق الضرورة * لعلمناها من طريق

القياس

Digitized by Birzeit University Library

القياس و الفكرة * فان لسان الشيب ناطق * وشاهد النجابة عدل صادق * وقد تكرم الاعراق فتخونها الاغصان * وقد تسبق الشيوخ فتخلف عن مضمارهم الشبان * ولكن بنو طاهر زينوا طاهرا * كما زان اباه طاهر * فكم من اناس لهم اول * وليس لاولهم آخر * طولت على السيد بكلام اسفيدباجي قليل العظم * منحل النظم * داعية الى التكرار و الاختصار * يمشي في طريق الاقتدار * فان راى السيد ان يعير هذا الهذيان اذنا واسعة * ونفسا صابرة * و يتضاحك له تضاحك المعجب به ليغلط به العامة * وان عرفته الخاصة فعل

﴿ وكتب الى تلميذ له قصيدة يسأله نسخة قصيدة مما احدثه ﴾

وصلت القصيدة الغراء الزهراء * فكانت ارق من الماء * بل من الهواء * والذ من الصهباء * واسر من اللقاء بين الاحباء * ومن هجوم السراء * غب الضراء * واعذب من مغازلة النساء * ومن مجالسة الندماء * ومن مساعدة القضاء * ومن معاقرة الشراب على الغناء * ومن استماع فوائد الحكماء * وخطب البلغاء وقلائد الشعراء * ومن اخذ جوائز الامراء * وتحصيل مراتب الخلفاء * فكانت معانيها ابدع من الوفاء * واعز من السخاء * واغرب من النصفة في الاصدقاء * ومن الامانة في الشركاء * بل اغرب من المغرب العنقاء * والفاظها احسن من البدر في الظلماء * واطيب من وصال الحسناء * ومن افتراع العذراء * ومن الشماتة في الاعداء * بل كما قالت الست سكينة بنت امير المؤمنين الحسين رضي الله تعالى عنهما * كنت احسن من السماء * واعذب من الماء * لا بل كانت اهنأ من الشفاء * بعد الداء * ومن الرضا عقيب البلاء * ومن النعماء في اثر البأساء * ومن استجابة الدعاء * وتحقيق الرجاء وفتحتها عن الوشي الوشاء * وعن الروضة الغناء * لا بل نشرتها عن الزهرة الزهراء * وعن الغرة الغراء * وعن الدرة العذراء * و رأيتك نطقت بها وعن يمينك التأييد * وعن يسارك التسديد * ومن ورائك الجد السعيد *

Digitized by Birzeit University Library

وانما صنعتها صنع من طب لمن حب * فانى اشهد انك اطب من كل طبيب * وانى اليك احب من كل حبيب * واذا صدر الكلام عن صفاء ود * ونقاء عهد * وخرج من متفضل الى مستأهل حضره من التوفيق اذن واعية * وهمة كالية * وصحبه من التسديد عين راعية * وقوى مراعية * ولم يكن للخطأ طريق اليه * ولا للخطل مجاز عليه * وانما بز القول يحسنه القائل على مقدار حصة من يهديه اليه * ورغبته فيه * وموضعه منه * وانت ايدك الله تحفى بما لا استأهله الا على قدر حصتى من قلبك * وموضعى من حبك * ولو عاملتنى على طريق المجازاة * لا على طريق المحاباة * لخرج لك على غلط كثير * وحاصل كبير * وقد حملت اليك نسخة كلمة قلتها * فرضيت بها عن شيطانى * وصالحت لها قلبى ولسانى * ولعمرى لقد اكلتها من جراب الدق * وورثتها من كيس اللب * وعبأتها من رزمة الخاصة * ونسجتها على منوال النصيحة * وقلبت لها جريدة التصفح والتخير * ونشرت فيها صحيفة التدبر * ونطفت طرفها من اللفظ المستبرد * ومن المعنى المردد * وصقلتها بمدوس النظر * وجلوتها بكف الفكر * ووكلت بها من التمييز جفنا ساهرا * ولحاظا باصرا * حتى دارت فى كوكب النظافة * وخرجت فى معرض الظرف واللطافة * وحتى بدت عروسا تفتن الناظر * وتغطى المناظر * وحتى حذيت حذاء الحضرمية ارهفت * واجادها التحسين والتلسين *

﴿ وكتب الى حاجب الوزير ابن عباد وقد وردت عليه كتبه ثم انقطعت ﴾

اما قصور اجوبة كتبى فانى لا اعاتب الحاجب عليها * ولا اوجه الشكاية عنه اليها * فانا ولا كفران لله تعالى فى زمان يجب ان يجرى الجفاء فيه مجرى العادة والسجية * ونضعه موضع السنة بل الفريضة * ونقيمه مقام الجبلة والشيمة * فننظر الى حفظ العهد بعين الشمامة والطرفة * ونتزله منزلة الغريبة والنادرة * ونحكم عليه بنقض العادة وخلاف الجملة * على انى مذ كنت استثنى الحاجب من غيره * واميزه بالفضل وسائر خصال الخير عن ابناء دهره * واعتقد انى

قد ضمت يدى منه على ذخيرة ليس للزمان فيها عمل * ولا عليها الحوادث والغير مدخل * فان صدق ظنى فقد غرست فى ارض كريمة * وبنيت مسألتى على علة صحيحة غير سقيمة * وان تكن الاخرى فعادة من عادات الايام * وغلطة من غلطات الاوهام * وعين عاينة من عيون المجد * وعارضة من عوارض الوفاء وصحة العقد * وما خلوت منذ تفارقنا من نفس تتقد فيه الاضلع * وذكر تفيد له الادمع * ولا انسى تلك الايام الطويلة القصيرة بصحبته * والليالى المظلمة المقمرة بطلعته * ولا اتفكر فى صغر حجم المقام * وتقارب خطو تلك الايام * الا انشدت

لم استتم عناقه للقائه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

واذا كان فى قصة الشعراء * وفى شريطة الوصافين والبلغاء * ان الوقت الطيب قصير وان لم يقصر * كما ان غيره كبير وان لم يكبر * فعلى هذا القياس ان ايامنا كانت قصيرة مرتين * وقليلة من جهتين * اما الاولى فقصر الامد * وقلة العدد * واما الثانية فصفاء الوقت من الكدر * ونقاؤه من وضر الحوادث والغير * فسبحان من جعل محنتى زائدة على محن الناس * وفاضلة عن معاسير العادة والقياس * حتى ان نقصان اوقاتى المسعودة * وايامى المحمودة * حصل مثنى مثنى * ورجانها يحصل فرادى فرادى * كما ان نحوسى لا يجب ان يجيئنى الا غريبة عجيبة * ولا يمكنها ان تسلك طريقها الى حتى تقود حبيبة * وصلت الرسالة والقصيدة * وكانت الاولى ماء زلالا * والآخرى سحرا حلالا * وما منهما الا قريب شاسع * ومطمع مانع * كالشمس تقرب سنا * وتبعد سناء * وتنال ضياء * وتبعد علاء * وكالماء يرخص موجودا * ويغلو مفقودا * ورأيت فيهما من غرائب الرجحان * ما نقض عادة الزمان * حتى لقد قامت الحيرة منهما فى وجه علمى * وحتى لقد توقفت بين فهمى ووهمى * والآداب كلها زين * وهى اذا تكافأت ازين * والمعارف كلها حسنة * وهى اذا تقابلت اجل واحسن * والكتابة آلة عجيبة * وهى من الشاعر اعجب * كما ان الشعر صناعة غريبة * وهو من الكاتب اغرب * واذا ورد على من الخاجب كلام فضلته على ماقبله *

Digitized by Birzeit University Library

واستثنيت فى التفضيل ما بعده * لعلمى انه قد امتطى من الاقبال مطيه ان تقف به الا على الغاية * وسلك من السعادة طريقا يؤديه الى الزيادة * وابتدأ فى وظيفة من الجمال * لن تختم له الا باقصى غاية الكمال * وانا اسأل الله تعالى ان يجعله فى هذه الصناعة نجما يهتدى باثره * ودليلا يورد بورده * ويصدر بصدره * وان يقيم لكلامه علما يرمقه البعيد * ويستذرى به القريب * انه قريب مجيب * والحمد لله الذى جعل الحاجب يضرب فى المحاسن بالقدح المعلى * ويسمو فيها الى الشرف الاعلى * ولم يجعل فيه موضعا للولا * ولا مجالا لالا * فان الاستثناء اذا عرض فى الكلام نضب ماؤه * وكدر نقاؤه وصفاؤه * ونطق فيه حساده واعداؤه * ولذلك قالوا ما املح الظبى لولا خنس انفه * وما احسن البدر لولا كلف لونه * وما اطيب الخمر لولا الخمار * وما اشرف الجود لولا الاقتار * وما احمد مغبة الصبر لولا فناء العمر * وما اطيب الدنيا لو دامت واستقامت *

ما اعلم الناس ان الجود مكسبة * للمجد لكنه يأتى على النشب

﴿ وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم ﴾

ورد كتاب الشيخ فاورد من السرور * اضعاف ما كان فيه من السطور * بل اعداد ما كان فيه من الحروف * بل اضعاف ذلك بالف بل الوف * وفهمته اما ما ذكره الشيخ من انثيال الناس عليه * يستعيرونه نسخ كتبى اليه * فانما حملهم على ذلك عجبه بى * وصار سببا لعجبه بكتبى * وصار ذلك داعية الناس الى عجبهم بها * وحاملا لهم على انتساخهم لها * وهم فى ذلك رجلان * اما احدهما فانه يتبرك باتباع رأيه * والسير تحت لوائه * واما الآخر فانه يتقرب اليه بمجانسته * ويتشرف بين الناس بمناسبته * والا فهذه الكتب ايبس متونا * واقل عيونا * من ان يفخر بها عملى * او يرغب فيها مستملى * او تشغل بها الاقلام والدفاتر * او يوقف عليها ناظر او خاطر * او يحرص عليها كاتب او شاعر * ومما يحملنى على التجوز فيها * وينهانى عن الاحتشاد

و

Digitized by Birzeit University Library

والتكلف لها * انى اصدرتها الى حضرة من اذا رأى سيئة ستر وغفر * وعذر واعذر * وان رأى حسنة نشر واظهر * وقرر و كرر * وفكر وصور * وجعل الخمسة عشرة * والعشرة خمسة عشر * وسيرد كتابى بعد هذه الكرة الى الشيخ مشبع الفصول * ضافى الذيول * وافى القسم من العرض والطول فقد وافق منى هذه الكرة ساعد فصاد اوهن الآلة * واورث الكلالة والملالة وعاجلنى الفتح ملازما بالباب * مطالبا بالجواب * مجاوزا باب المسألة الى باب العتاب * فكتبت وسرح البديهة عازب * وماء القريحة ناضب

﴿ وكتب الى كاتب الرئيس بنيسابور ﴾

ليت شعرى ما صنع بعد العهد * بقلب سيدى هل غيره عما عهدته عليه من اقامة رسوم الود * وتوثيق اطناب العقد * ام هب عليه رياح التنقل والتحول ومد اليه يد التغير والتبدل * فان ذلك صنع الايام بالقلوب وتقلبها يمينا وشمالا وتلونها حالا فحالا * بل ليت شعرى هل نسى سيدى من لاينساه * وسلى من لايسلاه * واستبدل بمن لايريد الا اياه * ولا يعتاض من لقياه غير ذكراه * وهو صديقنا ابوبكر الخوارزمى الطبرى اعزه الله تعالى * ام هو على رغم ظنى به وكذب وهمى عليه * ثابت ركن الصفاء * صافى شرب الاخاء * حافظ على الغيب ماكان يحفظه على اللقاء * فقد علم الله انه تقاسم قلبى هذان الظنان وتنازعنى فى علمى به هذان الطريقان * فان ملت الى اولهما وهو اغلبهما على واقربهما الى * ذهبت فى القياس بالناس على الناس مذهبا شديدا * ووقف بى سوء الظن بالزمان واهله موقفا قريبا بعيدا * وان ملت الى الثانى فسيدى ايده الله تعالى يستحق ان يستثنى من غيره * وان يحكم له بحكم يباين به اهل عصره وان يكذب فيه الظن اذا نسبه الى مجانسة الدهر * ويرد له القياس اذا قضى عليه بمعاونة التلون والغدر * وانا الآن فى هذه الجملة واقفى وعهده بى لا اتواضع لمذهب الواقفية * ومزجى وما كانت تطمع فى مثلى شباك المزجية * فكيف اعاتب سيدى بل كيف اعاقبه * بل كيف اخاصمه واواثبه * بل كيف اطاعنه

Digitized by Birzeit University Library

واضاربه * واقل ما جنته على غيبته انى كنت معتزليا * فصرت مرجيا وقاطعا على صحة مذهبي فعدت به واقفيا * هذه اصغر جنايات فراقه على * واقل صنيع وداعه الى * ثم انى بعد هذا كله طويل الليل منذ فارقته بل قصيره وقليل الانس بعده بل كثيره * اما طول ليلى فلتذكرى طول غيبته * واما قصره فلقطعى له بتمنى اوبته * واما قلة انسى فلبعده عنى الآن واما كثرته فلتمثلى قربه الدان ولتصورى طلعته فى قلبى وعينى * ونظرى اليه عن مرآة من هاجسى وظنى على اننى ارجو ان خطو ايام الفراق قد قصر * وان جمعها قد صغر * وان سيدى وارد قبل ان يبرنى بالجواب عن هذا الكتاب * ولعمرى لئن ورد على قبل ان يكتب الجواب الى * لقدير الكاتب * وان عق الكتاب * فيكون قد بر بالكبير الكبير * وعق فى الصغير الصغير * ولان يونس عينى بلحظه * احب الى من ان يؤنس سمعى بلفظه * وان كان كلامه فى نفسى ماء زلالا * وفى اذنى سحرا حلالا * وكلام الحبيب حبيب * وكل شئ من القريب قريب * قال جرير

ان البلية من يمل كلامه * فانقع فؤادك من حديث الوامق

﴿ وقال غيره ﴾

واذا كرهت فتى كرهت كلامه * واذا سمعت غناءه لم تطرب

اردت مكاتبة الرئيس ثم اشفقت على سمعه ان املأه بالكلام الغث * وعلى ناظره ان اشغله بالخط الرث * ورأيت رثاء بلاغتى اقصر * وقيمة الفاظى التى فيها اقل واحقر * من ان اعرضها لنظره * وامرها على سمعه وبصره * واتعرض بها لخطة اسلم طرقها طريق العذر * وآمن مسالكها مسلك التغافل والستر * ومن فطن لعيبه فقد استتر * ومن عرف ذنبه فقد اعتذر * ومن مد يدا قصيرة ليتناول بها غاية بعيدة فقد استهدف لسهام التوقيف * وقعد على قارعة التقريع والتعنيف * وسيدى يعتذر عنى اليه * ويقرأ سلامى عليه * ويعرفه عنى انى اعد نيسابور رستاقا اذا غاب عنها واعد الرساتيق قصبة اذا اقام فيها * وانى لا آنس بشئ اذا غبت عنه * كما لا استوحش

من

من شئ اذا قربت منه * والله تعالى اسأل ان يرد على نيسابور بهاها * ويعيد اليها بطلعته سناها وضياها * ويجلى بشمسه ظلماها * وان يجعل نعمته عليه الوفا لا عزوفا * فان النعمة اذا الفت قرت * واذا غرفت فرت * لانها لا تألف الا مكانا تتزين بنزوله * ولا تقيم الا على باب لا تأنف من دخوله * ولا يطول مكثها الا فى بيت للشرف فيه مجال * وللمادح فيه مقال * وللادب فيه ممرح * ولعصا الامل فيه مطرح * فان اصابت مثل هذا المكان نفضت غبار الترحال * ونسيت حديث الزوال والانتقال * وخالطت خلطة الشركاء * وواصلت وصلة الاقرباء * وصارت من الاجداد الى الآباء * ومن الآباء الى الابناء * واذا كان نزولها فى مكان هى فيه غريبة احتشمت حشمة الغرباء * وانقبضت انقباض الاجانب البعداء * اوتقلبت الى الارتحال * واقامت بين الدلال والادلال * ولم يكن مقامها الا عدد ايام * واضغاث احلام * وانما النعمة انثى اذا اصابت كفوا ناكحت * واذا صادفت غير كفو سافحت * فهى تقيم مع اكفائها الشهر والدهر * وترحل عن غير اكفائها الظهر والعصر * واين يقع مقام الخليلة خليلها * وان ما اسسه الحق وبنته الشريعة * خير مما اسسه الباطل وبنته البدعة * والله تعالى يطيل بقاه * ويجعل من يحسده فداه *

﴿ وكتب الى ابى الحسن الحاكم بن ابى حاتم لما هرب من نيسابور الى بخارا بعد ان ارادوا القبض بها عليه وبعث خلفه فلم يجده ﴾

ما زلت انشد ايد الله الحاكم قول الاول

رب امر تتقيه * جر نفسا ترجيه
خفى المحجوب منه * وبدا المكروه فيه

فانظر الى تنزيله * ولا اقف على حقيقة تأويله * وارى ظاهره * ولا استشف باطنه * حتى خرج من خروج الحاكم ما جرى * ووقى الله من المكروه

Digitized by Birzeit University Library

فى ذلك ما وقى * فعلمت حينئذ ان الطاف الله تعالى تسير الى عباده فى طرق خفية المذاهب * دقيقة الجوانب * وان السلامة ربما نشأت فى معرض الخطر * وان الامن ربما ظهر فى قالب الخوف والحذر * وانا لشى ما امرنا ان نستعيذ من شر ما ندرى وما لا ندرى * وما كنت اشعر ان فراق الصديق يسر * وان الاجتماع معه يضر * ولا كنت اصدق ان الداء يستحيل دوآء * ولا ان الدواء يجلب دآء * ولو رأيت فى المنام انى فارقت الحاكم ولم يتفطر عليه كبدى حرقات * ولم تذهب نفسى فى اثره حسرات * لتعوذت بالله من شر منامى * وسألت العافية من طوارق احلامى * ولظننت ان تلك الروئيا نتيجة فكر ردى * وبخار خلط سوداوى * وانى انما دفعت فى منامى الى مثل هذا التخليط * لاكل الباذنجان والقنبيط * فانهما منابع السودآء * على مذهب الاطبآء * والآن فقد فارقت الحاكم وانا ضاحك السن قرير العين * قليل الحزن جلد على وقع سهام البين * لانى رأيت العافية وهى متعلقة بذنب رحيله عنا * والى البلايا وهى مشتملة على قربه منا * فاخترت على مقامه رحيله * وآثرت اغتمامى له * وقلت يا عين * لان ترى فراق ما تحبين * خير من ان ترى فى من تحبين ما تكرهين * فالحمد لله الذى اقصى بى من المكروه الى اخفه وقعا * واقله لذعا * وانتهى بى من المحنة الى غاية لم تستغرق اقصى امكان الدهر * ولم تستوعب ابعد غايات التجلد والصبر * وما نقص من الشر * فهو زائد فى اقسام الخير * وما وقع من المكروه فهو محبوب وان كره ظاهره * ومحمود وان ذم عاجله * وما كنت احسبنى اعيش حتى احمد الله على فراق الاصدقاء * واتكلم فى مواقف الضراء * بما يتكلم به فى مواقف السراء * ولقد اغرب على الدهر وما كنت اظن يغرب على * ويزيد من بوادره على ما لدى * هذا ايد الله الحاكم وقد بث الاعداء شباك الغدر * ونصبوا حبائل المكر * واستفرغوا فى السعاية جهدهم * واخرجوا اقص ما عندهم * فابى الله تعالى وله الحمد الا ان يقع فى البئر من حفر * وان لا يحيق المكر السيئ الا بمن مكر * وخرج الحاكم من غيابة تلك الاهوال * خروج المشرفى من الصقال * وقد فديت عنه عين الزمان * وقصرت

دونه

Digitized by Birzeit University Library

دونه خطوة الحدثان * اذا اذن الله فى حاجة * اتاك النجاح بها يركض * اذا الله سنى عقد شئ تيسرا * والحمد لله الذى لم يرنى وجه الحق اسود * ولا ناظر العدل والتوحيد ارمد * ولم يشمت الناقص بالفاضل * ولم يضحك الحق سن الباطل * ثم الحمد لله الذى جلى تلك الضبابة * وقشع تلك السحابة * وغسل عن وجهى وعن وجه اهل الحق تلك الكآبة * ثم الحمد لله الذى ختم للحاكم بالمصير الى حضرة تترفرف عليها الرجال * وعليها تحوم الهمم والآمال * واليها تنتهى الرغبة والسؤال * فلا مجاز لهمة خلفها * كما لا منتهى لها دونها * ولا غاية لطالب قبلها * كما لا نهاية له بعدها * وارجو ان الدهر المحارب قد سالم * وان البخت المعاند قد سلم * وان مدة الفترة قد تناهت * وان غاية المحنة قد انتهت * وان عسكر النحوس قد عزم على القفول * وان نجم النهم قد اذن بالافول * وانا بعد هذا كله اتعجب من كثرة قولى الحمد لله ثم الحمد لله * واقول هذا حمدى على فراق الاصدقاء * فكيف حمدى على اللقاء * وهذا شكرى على المحنة * فكيف به على المنحة * وقد كان مات لعبد الملك بن مروان ابن فقال الحمد لله يقتل اولادنا ونحبه * وانا اقول الحمد لله الذى فرق عنا اخواننا ونحمده *

﴿ وكتب الى وكيل الوزير ابن عباد باصفهان وقد ولى سوق الطعام ﴾

﴿ بعناية وهو امى ﴾

كتابى وقد علم الله تعالى ان امرك مستول على افكارى * وشاغلى عن ساعات ليلى ونهارى * فانك بصدد شغل ان كفيته لم تشكر * وان عجزت عنه لم تعذر اذ كان الاحسان فى شرطك * والاساءة غير مظنونة بك * والذى اراه لك ان تقسم لكل ساعة حقا من نفسك * وتصرف الى كل وقت طائفة من شغلك * ولا تبيت ليلة الا وقد اقت وظيفة يومها * ولا تمر بك ساعة الا وقد توفرت عليها بقسمها * ولا تؤخر عمل اليوم الى الغد * ولا تهمل نفسك فى شغل السبت الى الاحد * فان الاشغال اذا تزاحمت اعمت الناظر * وشغلت القلب والخاطر

Digitized by Birzeit University Library

وبلدت الكافى و الماهر * و كيف مثلك و انت اعزل اليد من سلاح الكتابة * مصروف عن اعظم حظوظ الكفاية * فاياك و تعريض مأئى عند ولى نعمتى للنضوب * ووجهى للشحوب * و على بن سعيد ذو القلمين * والفضل بن سهل ذو الرئاستين * و اسحق بن كنداح ذو السيفين * وصاعد بن مخلد ذو الوزارتين و فى المتقدمين خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين * و قيس بن مسعود ذو الجدين و ابن الشريد ذو السهمين * و النعمان بن المنذر بن ماء السماء ذو القرنين * و كعب بن مانع ذو الكتابتين * وجعفر ذو الجناحين * و عثمان ذو النورين * وفلان ذو اليدين * و فلان ذو الشمالين * وفلان ذو البردين * و عبدالله ذو النجادين و ابوبكر الخوارزمى ذو الغرامتين * وذلك انى ثقلت على ولى نعمتى مرة فى حوايجى ثم اثقل عليه اخرى فى حوايجك ثانية * على انه ايده الله تعالى واسع الحكمة طويل الخطوة * كثير التوسع و المسامحة فى باب الاموال مع الكمال * يسامح فى بدرة سائلا * و يضايق فى حبة عاملا * وكذلك الكريم يتسع من حيث السخاء ويضيق من حيث الوفاء * و يبتذل ماله تخرجا * و يحمى دينه تحرجا * فلا يحملنى معه على خطة ان اجابنى منها الى مرادى استوحش * وان منعنى اوحش ولا تأمن السم باصفهان * اذا كان درياقه بخراسان * وفى هذا القدر ذكر لمن كان له قلب * و انائدة على من له لب * الاستاذ فلان ايده الله تعالى * قد كثرت كتبى اليه * وطال وعرض صداعى عليه * و لذلك لم اكاتبه فى هذه العلة التى عظم موقعها منى * و جل خطرها فى قلبى وعينى * و لقد اعتل بعلته الكرم * و شكا شكاية السيف و القلم * وكسفت به شمس الادب * و تزعزع له عرش العرب * فانما علة مثله تغير عالم * و فساد امم * و خراب مسالك * و اضطراب ممالك * و كرة النقص على الفضل * و دولة الجهل على العقل * ووهن على العلم و اهله * و فترة فى الكرم و حزبه * فالله تعالى يعيد بصحته الى الدنيا ضياءها * و يرد على السحب ماءها * و يجعل ما يستأنفه من عمره * ويقتبله من عيشه * مصفى من الغير * منقى من الوضر * و خالصا من كل خوف و خطر * و صافيا من كل شوب و كدر * ليكون ما مضى كفارة * وما بقى نعمة * سيدى فلان قد فطمنى عن عادته الجميلة * وارتجع ما كان

عندى

Digitized by Birzeit University Library

عندى من عطيته الجزيلة * وقطع عنى كتبه التى اذا وردت الى حسدت على لمسها يدى * وعلى لحظها عينى * واحتسب على ما زاده الله تعالى جلالة قدر * وكمل كمال بدر * ولكن تلك الزيادة يحاسب عليها الاعداء لا الاصدقاء * فاما من هو شريك فيها وآخذ بقسم منها فلا بل زيادة النعمة توجب زيادة الصدقة * وفضل المال يقتضى فضل النوال * والتواضع فى الرئاسة * احدى شبائك السياسة * فاقرأ اعزك الله تعالى سلامى عليه * وعرفه انى قد كنت رويت ابياتا والقلب غير مقسم الافكار * والحفظ غير كليل الفرار * فلما سلبنى الدهر ثوب الشباب * ومزق على ردآء الجمال و الكمال نسيتها * فلما عاملنى سيدى فلان بما ذكرته ذكرتها ولقد احسن الى * من حيث رد روايتى على * وان كان اساءنى من حيث ارتجع منى بره * وجانس فى دهره * وفديت من له اثناء كل مساءة منه مسرة * وفى ضمن كل جفوة منه مبرة * ومن اذا احسن كان احسانه خالصا من كل شوب * وصافيا من كل عيب و ريب * وان اساء كانت اساءته بالاحسان مشوبة * والى غير جهتها مقلوبة

﴿ والابيات ﴾

كفى حزنا ان لا صديق ولا اخ * يفيد غناء لا يداخله كبر
والا التوى او ظن انك دونه * وتلك التى جلت فما عندها صبر
فلا نال فوق القوت مثقال ذرة * صديق ولا اوفى على غيره اليسر
وما ذاك الا رغبة فى وصاله * والا حذارا ان يميل به الدهر

﴿ وكتب الى ابى القاسم الدوادى اول ما افتتح بمكاتبته ﴾

كتابى وعزيز على ان يجمعنى والفقيه بقعة * او تشتمل علينا جملة * والكتابة فيما بيننا دارسة الاثر * مهملة الورد و الصدر * واشد على من هذا ان افتتح ذلك بسؤال حاجة * او امزج ماءه وبهاءه بتكلف كلفة * ولقد حاسبت على هذا نفسى * وعاتبت فيه قلبى * فرأيت ان جفاء يؤدى الى البر بر * وان ذنبا ينتسب الى العذر عذر * وان حاجة حملت على طى بساط الحشمة *

Digitized by Birzeit University Library

وعمارة طريق المكاتبة والمباسطة * حاجة عظيمة البركة * محمودة التفصيل والجملة * فعذرت نفسى اعزنى الله تعالى قبل ان تعتذر * وغفرت لها قبل ان تستغفر * ونسيت قول الاول

وما حسن ان يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

حتى كان هذا البيت لم يجر بين قلبى وكتبى * ولم يسافر بين جنبى وقلبى * وحتى كأنى لم ادرسه صغيرا * ولم ادرسه الناس كبيرا * وحتى كأنى لم ار الديوان الذى هو فيه * والشعر الذى هو بعض قوافيه * والعجب انى فى هذا الفصل بينما انا اعتذر * اذ صرت افتخر * وبينما انا اضع من نفسى لجنايتها * اذ صرت اعدلها لحفظها وروايتها * وهكذا من جمع به قلبه وبنانه * واستنزله تبيينه وبيانه * بل هكذا يكون من جرى فى ميدان الكتابة وهو راجل * ورمى فى هدف البلاغة وسهمه افوق ناصل * ثم نرجع الى حديث المكاتبة * والله لو كان من الورق اعز من الوفاء * واغرب من السخاء * والقلم اغلى من الماء * فى وسط الدهناء * واقل من المغرب العنقاء * واعوز من الكمال فى النساء * ومن الصدق فى الشعراء * ومن ترك الريا فى القراء * والحبر والمداد اضيق من الانصاف فى الاصدقاء * وحسن العشرة فى الندماء * بل اضيق من امانة الشركاء * بل اضيق من خاطر ابى تمام حيث قال * قدك اتئب افرطت فى الغلواء * حتى كأنه لو لم يقع على احلى من هذا الابتداء لما كان لى عذر فى ترك مكاتبة الفقيه * وبينى وبينه ثلث الخريطة * ومسيرة سبع للقافلة * هذا فى الظاهر فاما فى الحقيقة فبيننا الف فرسخ بذراع الميل * وخطوة الفيل * فان الخطوة بين المتحابين * فراسخ كثيرة * ومراحل طويلة عريضة * ما زالت ايد الله الفقيه اورد على قول عمر بن ابى ربيعة المخزومى *

يا اهل بابل ما نفست عليكم * من عيشكم الا ثلاث خصال
ماء الفرات وطيب ظل بارد * وسماع محسنتين لابن هلال

فاقول

Digitized by Birzeit University Library

فاقول هلا حسد اهل العراق على المتصرفين * او الرافدين * او على الرطب السابرى * والتين الوزيرى * والعنب الرازقى * او على فرضتهم من ماء الساج والعاج * وطرازهم بنوع الخز والديباج * لا بل هلا حسدهم على ان فيما بينهم مشهد امير المؤمنين سيد الاوصياء * ومشهد الحسين سيد الشهداء * وهلا حسدهم على ان ارضهم واسطة العمارة فى خط الاعتدال * بين الجنوب والشمال * وهلا حسدهم على ان الرأى كوفى * والاعتزال بصرى * والخط انبارى * والحساب سوادى * والتشيع عراقى * وهلا حسدهم على قراء الكوفة * وعباد البصرة * وابدال الابلة وعلى من هاجر اليهم من الصحابة * ونبغ فيهم من التابعين وابدال الائمة * وما الذى خالف به الى ان حسدهم على ظل هو مشترك بين سائر البلدان * وعلى قينتين كسائر القيان * بكل مكان * فى كل زمان * حتى حدثت نفسى بمناقضته * وحملت خاطرى ولسانى على معارضته * فاذا انا جالس تحت قول الطائى

نقضنا للحطيئة الف بيت * كذاك الحى يغلب الف ميت

اذا ما الحى هاجى حشو قبر * فذلكم ابن زانية بزيت

وتذممت من ان اعارض بلسان خوارزمى * وعقل طبرى * وخاطر اعجمى * من لسانه عربى * وعقله قرشى * ونشوءه مكى * وظرفه مخزومى * فعدلت عن المعارضة الى المناقلة * فقلت يا اهل هراة ما حسدتكم الا على ثلاث مشهد عبد الله بن معاوية الجعبرى فيكم * وكون ابى القاسم الدوادى منكم * وحصول شراب الكشمش لكم * وان بقعة خصت بالفقيه لوافرة القسم من الاقسام * معلاة السهم من بين السهام * غير عاتبة هلى الحظوظ والايام * فلا زالت البقاع ببقائه تضئ وتزهر * والايام بجماله تتباهى وتفخر * ولا زالت الفصاحة من لسانه فى مسكن لا تريد منه بدلا * ولا تبغى عنه حولا * ولا زال العلم يأوى منه الى ركن منيع * وجناب مريع * واطال الله تعالى للمحاسن بقاه ولا سلبه زينه وبهاه * وجعل من يحسده فداه

* * *

Digitized by Birzeit University Library

وله الى تلميذ له وكتب اليه رساله وقصيدة

وصل كتابك المبشر بخبر افاقتك عن علتك * بشارة لو تصدقت لها بمالى وذبحت لها على وجه القربان اطفالى * لكان ذلك صغيرا جللا * ومباحا مبتذلا * وفى ضمنها القصيدة التى كبرت بل صغرت * وقلت بل كثرت * اما كبرها وكثرها فلجلالة قدرها * وعظم امرها * واما صغرها وقلتها * فلانها فى جريدة الشعر وحدها * لامثل لها قبلها ولا بعدها * وفهمتها وتعجبت من اعتذارك بالعلة * وما ارى هذه العلة الا زادتك رجحانا * ولا نقصتك الا نقصانا * ونقصان النقصان اول الرجحان * كثر مدحى ايدك الله تعالى لما يرد على من نثرك وشعرك * بل درك وبحرك * حتى خشيت ان يحسب انى ازف مدحى الى كل خاطب * وابدل شهادتى لكل طالب * وان يظن انى اقارضك الثنا * واصارفك الجزا * ولا والله ما لى للدنيا استحسان * الا والى جنبه احسان * وانى لضيق ذرع التزكية والثناء * قصير خطى المدح والثناء * محاسب لقلبى اذا مال * وللسانى اذا قال * لا امدح الا ممدوحا بكل لسان * ولا ارضى الا مرتضى بكل مكان * ولا اقبل مدلس الفضل * ولا اتبع مغشوش القول والفعل * ولا يستفزنى رعد كل سحاب * ولا يستخفنى طنين كل ذباب * وسرعة الشهادة طريق من طرق الخفة * وابتذال المدح والتزكية باب من ابواب الزلة والملق * والمجازفة بحساب القال * اقبح من المجازفة بحساب المال * لان الغلط فى المال سماحة وندى * والغلط فى المقال حماقة وعيا * واقصى غايات فوات المال ان يكون من صاحبه فقيرا * وادنى غايات فوات الصواب ان يكون صاحبه سخيفا حقيرا * وبين الخسرانين نفس مديد * وبون بعيد * ومن لم يعرف صرف ما بين النقصانين * لم يعرف صرف ما بين الخسرانين * ومن لم يحس بنقص ما عليه * لم يحس بفضل ما له * ومن لم يحاسب نفسه سرا * حاسبه غيره جهرا * ومن لم يكبح عنان لسانه وقلمه بيد التأمل ولسان التبين * جمحا به الى غاية اولها ندامة * وآخرها ملامة * جعلنا الله تعالى ممن اذا تكلم لم يضع زمام كلامه فى يد هواه * واذا

شهد

Digitized by Birzeit University Library

شهد. لم يلق رق شهادته فى عنق سخطه ورضاه * وحشرنا فى زمرة من اذا تكلموا كانوا غانمين * واذا سكتوا كانوا سالمين * انه ارحم الراحمين * رجعنا الى حديث الرسالة والقصيدة * نظمك ايدك الله تعالى احسن من نثرك * ونثرك احسن من شعرك * فكل واحد منهما عيار على صاحبه حسنا وجمالا * ومثال له تماما وكمالا * فالحمد لله الذى جعل بيانك متكافئ الشرف * متعادل الظرف والطرف * وجعل سماء محاسنك مقابلة لارضها * وبعض مناقبك منعوتة ببعضها * ولو انصفتك لاحببتك بقلبين * ومدحتك بلسانين * كما انك تحسن الى من حانبين * وتبرنى من اونين * ولكن الى غايته ينتهى المدد * وعند طاقته يقف المجتهد * فاما اعتذارك بالعلة * من وقوفك دون الغاية * وجريك فى بعض الحلبة * فاحسن من الحسن استزادتك منه * واجل من الجميل اعتذارك عنه * والكتاب مذ ورد يدور فى العيون والافهام * ويسافر دون الدوى والاقلام * وفهمت الفصل فى حديث المصيبة * وانما كانت نازلة طرقت ثم مرت * وشقشقة هدرت ثم فرت * واذا قابلنا بين حسنات الدهر وسيئاته * ووازنا بين طرفى ارتجاعه وهباته * خرج له علينا حاصل كثير * ولكن الانسان الى الشكاية اعجل * وطريقها عليه اسهل * ولقد اعطتنى الايام حتى صرت لا احدها اذا وهبت * واخذت منى حتى صرت لا اذمها اذا اخذت وسلبت *

وفارقت حتى ما ابالى من انتوى * وان بان جيران على كرام
فقد جعلت نفسى على النأى تنطوى * وعينى على فقد الصديق تنام

﴿ وكتب الى رئيس سرخس وقد ورد عليه ابنه يعتذر من تقصيره اليه ﴾

كتابى وقد كنت اخرج الى اخوانى من عهدة تقصيرى * واقر لهم بما فى من عيب تفريطى وتعذيرى * واعرفهم انى فى تعدهم دون مقتضى حقوقهم * واخرج مما اريده فى برهم الى عقوقهم * حتى اتفق الآن من ورود فلان * ما كشف عن غبى * وابرز من عيبى * ونادى على بانى صديق مقال *

Digitized by Birzeit University Library

لا صديق فعال * وان مودتى مجازية لا حقيقية * ولسانية لا قلبية * واقل ما يجب على وقد حضر مثله فى دارى * ان انثر عليه صك عقارى * ثم اعتذر اليه من قلة نثارى * وان اعبق على وجهد كل نسمة احتويها * واحل له كل عقدة اتصرف فيها * واصبح صائما * وابيت قائما * ثم اعتد ذلك كله فى جنب الواجب هباء منثورا * وقليلا محقورا * ولقد كنت تذكرت وروده على حتى رجوته وتمنيته * ثم خفته واتقيته * اما رجائى له فحياء للقياه * واما خوفى له فعلما بقصورى عن بلوغ رضاه * وضعفى عن اقامة شريطة ما يقتضيه حبى اياه *

وكنت كبكر تحب النكاح وتفرق من صولة الناكح

* واما ولدى فلان فقد كشفته عن جوهرة كريمة * ودرة يتيمة * وقلبته عن عقل كثير * وادب غزير * وشعر يحسده عليه الاعداء * وتغبطه به الاصدقاء * يلتقط بالابصار ويخزن فى الافكار * وقريحة اصفى من ماء السماء * واصح من الوفاء * فهو بحمد الله على قرب اسناده * وحدوث ميلاده * شيخ قدر وهيبة * وان لم يكن شيخ سن وشيبة * ووالد من حيث الذكر والفخر * وان كان ولدا من حيث العرق والنجر * ومثل والده فلان خرج فاغرب * وادب فهذب * وولد فانجب « ان الاصول عليها ينبت الشجر » وليست النجابة فى هذا البيت موروثة عن كلالة * ولا خارجة عن رسم وعادة * امتعنا الله تعالى بهذا الولد الذى سبق الاولاد * واحيا الاباء والاجداد * وارغم الاعداء والحساد * وكتب اسمه فى حسنات الايام * بل فى حسنات الانام * كما كتب شعره فى محاسن الكلام * والهمنا من شكر نعمته به علينا ما يرتهن به بقاها * ونتمنى معه بهاها * فان النعم اذا ارتبطت بالشكر اقامت وسكنت * واذا القيت بالكفران قامت فظعنت * واما ايام فلان عندنا فقد كانت اطيب من ليل المراد * ولكنها اقصر من ساعات الاعياد * ولكن * لم استتم عناقه للقائه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه * وما كان قدومه الا تهيجا للشهوة * وتطرئة للشوق والصبوة * وذكاء للقريحة التى كانت تفرقت بالصبر والسلوة * وسبحان من جعل فراقه بالمن الرازى * ولقاءه بالمن البغدادى

و

وجعل مدة غيبته مشاهرة ومعاومة * ومدة اوبته مسايهة ومياومة * ولو انصفنا الدهر لكانت مدة الفراق * فى اوزان مدة التلاق * وكان السم بازائه الترياق سألت فلانا عن جسم سيدى فى صحته وعلته * وفى ضعفه وقوته * فعرفنى ما سرنى فلا زال صحيح الخلق * كما هو صحيح الخلق * وقوى الجسم كما هو قوى الدين والعلم * وسليم الاعضاء كما هو سليم الود والوفاء * ولا زالت اوقاته تتنافس بهاء * وتتفاضل حسنا وضياء * يومها فوق امسها * ودون غدها * وقد كنت قبل لقاء فلان * رطب اللسان بانشاد *

متى يكون الذى ارجو وآمله * اما الذى كنت اخشاه فقد كانا

فلما فارقته صرت انشد

صلى الاله على امرء ودعته * واتم نعمته عليه وزادها

﴿ وكتب الى صاحب البريد بالرى كتبها من اصفهان ﴾

قد كنت احسب الفراق يسير الخطب * هين الوقع * قليل العبء والثقل * خفيف الكل والظل * حتى دهيت بفراق سيدى فعلمت من مقدر الفراق ما كنت جهلته * ووجدت من شخصه ما كنت اضللته * وعلمته من طريق المطالعة والمعرفة * وانما كنت اراه من طريق التخيل والصفة * وتذكرت قول جرير

لو كنت اعلم ان آخر عهدكم * هذا الفراق فعلت ما لم افعل

ولكنى لو علمت انى إقعد تحت اعباء الاشتياق * واتفسخ تحت ثقل الفراق * اصحبت سيدى فراشا او ركابيا * اوطباخا او شاكريا * ولو وسعت اكثر من ذلك لقلت اصحبه كاتبا اوحاجبا * اونديما اوصاحبا * اومغنيا اوضاربا * ولكننى اخشى ان يتفضل سيدى بقبولى * وينشط لحضورى * ويحملنى عند المشاهدة على شرائط المحبة * ويتقدم الى بالخروج من العهدة * ويقول ايها المبرز علينا نفسه فى معرض الدعوى العريضة * دونك فاكفف عما

Digitized by Birzeit University Library

ادعيت * اوفاكفف عما حكيت * وعد واضرب عما اظهرت وابديت * فاذا بسيدى ابى بكر اخجل من بخراء تكلمت * ومن فوهاء تبسمت * قد جلس على قافيـة الدهش والتحير * وقبح جراب الخجل والتشور * وحك لحيه خجلا * وعبث بلحيته ارتياذا وذهلا * واخذ يتشاغل بالحديث عن السدى * وعن الحسن البصرى * وعامر الشعبى وينشد

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

اللهم انا نعوذ بك من مواقف الانخذال * ومن سقطات المقال * ومن دعاوى المحال * سبحان الله ليت شعرى ما الذى جمح بى الى كل هذا الهذيان * وما الذى حملنى على ان اركض فى عرض هذا الميدان * وما الذى مال بنا من ذكر الاشواق * ومن حديث الفراق * الى كل هذا الحديث الغث * والكلام الرث * وهكذا من يركب الجواد وليس بفارس * ويكاتب وليس بكاتب * ويقرع باب صناعة لم يستوف حقوقها * ولم يسلك طريقها * ولم يختلف الى اهليها * ولم يعثر قدمه فيها * قد خرجنا الا من هذا الميدان * ورجعنا الى باب هدر البوم والغربان * وانا والله اشوق الى سيدى منه الى احراز خصل المجد * وتحصيل قصب الحمد * بل اشوق منه الى الاحسان الذى هو اخوه وشقيقه * والافضال الذى هو شريكه ورفيقه * بل اشوق منه الى اصفهان * والى فراق خراسان * بعد ما عاين من تفاوت احوالها * وسخافة رجالها * وحقارة اعمالها بل عمالها * ولو لم يرسيدى فيها من طبقات التخلف غير كاتب هذا الكتاب * لكان كافية فى هذا الباب المخلقون صانهم الله تعالى قد انفذت رسولى اليهم * وعرضت مالى وقليل جاهى عليهم * فانقبضوا ولا الومهم على ذلك بعدما رأيت من انقباض سيدى عمن كان لايخل عليه بملك خراسان * وتاج انوشروان * وصرح هامان وطرازى قاشان وخورستان * وبعدما عرض عليه ما يملك عرضا غير سابرى

و

Digitized by Birzeit University Library

وبذله بذلا غير مجازى * والانقباض فى غير مكانه توكيد للحشمة * وظلم للود والثقة * وقطع لعلائق المباسطة والخلطة * وكذلك الانبساط فى غير مكانه استهداف للهوان * واكتساب للمقت والشنان * وفتح لباب الهجران * وتعرض لقطيعة الاخوان * والسلام

﴿ وكتب الى اردهل وقد ورد عليه خبر علته ﴾

كان قد ورد على خبر علة الشيخ وبلغ منى ما لم يبلغه شى قبله * ولا يبلغه شئ بعده * واردت ان ارسل اليه فى ذلك رسولا * وافرد نحوه كتابا * ثم رأيت فى قرائته للكتاب تعب ناظره * وفى وصول الرسول شغل خاطره * فابقيت عليه بقية تحتها جفاء * وراعيت حقه مراعاة فى اثنائها تغافل واغضاء * وقد ورد الان خبر افاقته من علته * جعل الله تعالى ذلك آخر محنته * واول نعمته * فكان سرورى بالاخرى * فى وزان غمى بالاولى * لاغم الله فى الشيخ اصدقاءه * وحرس من الحوادث حوباءه * ومن الغير فناءه * ولا ارانى الزمان فيه ظفرا * فان الزمان حديد الظفر * لئيم الظفر * دقيق النظر حلو المورد * مر المصدر * معين اللئام على الكرام * والليالى على الايام * ميلا منه على الضوء للظلام * تقاطرت على كتب ثلثة وفلان يذكر ما وجده لكتابى عند الشيخ من ايجاب * ولحاجتى من اسعاف واطلاب * حتى قلم عنهم اظافير الايام * وقشع لهم ضبابة الاهتمام * واراهم من النجاح ما لم يروه فى المنام * وهذه نعمة احتاج لها الى دهر اوسع من دهرى * والى عمر انفس من عمرى * والى شكر ابلغ من شكرى * فاما هذا الدهر وهو العمر النزر * فما يسع ان اشكر فيه حرا * اللهم ارزقنى زمانا اوسع من زمانى * ولسانا افصح من لسانى وبنانا اجرى من بنانى * حتى اقضى بالشكر حقوق اخوانى * فلا بذل الا بجود ولا جود الا عن موجود * ولكن الدعاء غاية من ضاق امكانه * ولم يساعده

زمانه * وقطعت عن مسافة همته * خطوة جدته * وبه يكافى من قلت بسطته * وعجزت مقدرته * وانا اسأل الله تعالى ان يجعل الشيخ غاية لسؤال كل سائل * ومثابة لامل كل آمل * ورحلة كل راحل * وان يجعل السن اصدقائه * مشغولة بشكر آلائه * كما جعل قلوبهم مشغولة برجائه * وانفسهم مرتهنة بنعمائه * ويجعلهم بل يجعل زمانهم ببهائه * والسلام

﴿ وكتب الى يزيد صاحب سمرقند ﴾

صدر عنى الى حضرة سيدى كتابان * احدهما عامى والآخر خاصى * فلا جرم حرمت جواب الماضى * ولم ارزق جواب الثانى * وقد انتظر غير ما جاءنى به الزمان * وعارضنى به الحرمان * لان الزمان لا يستحق منى حسن ظن * ويستأهل ان اصيبه بعين * مع ذنوبه الى التى اذا ذكرتها كانت غيبة سيدى اولاها * وانقطاع اخباره عنى وسطاها * ولكن لانى كنت اظن ان سيدى يغلب بكرمه لومه * ويهزم بيمنه سومه * ويحولنى عن شكايته الى شكره * وينقلنى عن حربه الى صلحه * فالحمد لله الذى جعل سيدى كاهل زمانه * وان قدمه عليهم بفضله لاقرانه * واخرجه من وحشة الوحدة الى انس الجماعة * ونقله فى معاملته لى عن قبح البدعة * الى حسن السنة * فخلطته بهم * وشكوته شكايتى لهم * وقلت فيه قولى فيهم * فيا سبحان الله فى اى طالع ولدت * وعلى اى بخت رزقت * فحيثما اواصل ارى صدا * وايما اتوجه لا ارى سعدا * قال عبد الله بن المعتز

قولا لمكتوم يا خير البساتين * الحمد لله حتى انت تجفونى
قد كنت منتظرا هذا فجئت به * وليس خلق على غدر بمأمون

﴿ وانا اقول ﴾

قولا لمولاى فى الدنيا وفى الدين * الحمد لله حتى انت تجفونى

Digitized by Birzeit University Library

وصرت اناقض ابن المعتز فى شعره * طربا منى على مخاطبة سيدى وذكره * والطرب يرخى العنان * ويبصر العميان * ويجرئ الجبان * ويجرى اللسان والبنان * لا زال ذكر سيدى يطرب اخوانه حتى ينطقوا وهم بكم * ويعربوا وهم عجم * ويفصحوا وهم غتم * ولا زال اصدقاؤه يعاتبونه على كتاب يقطعه ويرينه * ظمأ منهم الى فائدة من فوائد كلامه * وحرصا على غريبة من غرائب لسانه واقلامه * واطال لهم بقاه وصل ام صرم * اعطى ام حرم * اهان ام كرم * انصف ام ظلم * فلا خير فى حب لا تحمل اقذاؤه ولا يشرب على الكدر ماؤه * وانما العشرة مجاملة * لا معاملة * والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف * ولا تحتمل الحساب والصرف * ولكنى انما اعاتب سيدى لاتوصل بذلك الى حلاوة اعتابه * واخاطبه بما لا ارضاه له لاتسبب به الى ما ارضاه من جوابه * وارجو ان الناس يغتفرون سواء الابتداء الحسن الجواب * ويعلمون ان الخطأ اذا سبب الصواب * فهو ضرب من الصواب * ليت شعرى ما الذى ورد على سيدى من عمله * وهل رأى صيدا ام قيدا * ووجد سعدا ام سعيدا * ويا ليت شعرى ما الذى استفاده بعدنا من الاخوان * ووجده فى سؤال المودة والخلصان * وعهدى به يلتقط الاخوان التقاط الحب * وينتقيهم انتقاء اللب * ويدخرهم بين العين والقلب * ويعدهم الكنز الذى لا عمل فيه للزمان * والركاز الذى لا نصيب فيه الى السلطان *

﴿ وكتب الى الوزير ابن عباد لما ورد باب جرجان لقتال الامير قابوس ﴾

﴿ ابن وشمكير ﴾

كتابى وانا بما يترامى الى من اخبار نعم الله تعالى على الوزير فى حله وترحاله * وسائر متصرفاته واحواله * قرير العين * قوى الظهر * شديد الازر * راض من افعال الدهر * اسمع كل يوم بشرى * واحتمل للايام نعمى * فاما احوالى

Digitized by Birzeit University Library

تا سكة ببقاء نعم الوزير على * وآثاره لدى * فان فارقتنى امطاره فاكثر غدرانه
ما نضب و الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين *
قد كانت كتبي انقطعت عن حضرة الوزير صيانة لسمعه * عن ان اقرعه بالكلام
الوسط * وشفقة على ناظره من ان اجيله فى الخط السقط * وعلما منى انى اذا
قطعته على هذه النية فقد وصلته * واذا جفوته فقد بررته * حتى ورد على
خبر حركته الى هذه الوجهة التى ركب اليها مطية الاقبال * وجذب نحوها
ازمة الآمال * واستظهر عليها بعساكر الايام والليال * فلم اجد بدا من
الاذكار بنفسى التى انما ارتبطتها لتلك الخدمة * وامسكت رمقها ببقاء تلك
النعمة * ولعمرى انى لاعرض منها ماء راكدا * ومتاعا كاسدا * ولكن الوزير
بصدد حرب * وعارض خطب * والمحارب يحتاج الى طبقات الناس فيجعل
الخاصة منهم عدة وعتادا * والعامة حشوا وسوادا * قد شمرت ايد الله
الوزير ذيل المحارب * ورفعت رجل الراكب * وفارقت خراسان عزما *
وان كنت بها جسما * واذا ورد على له اذن طفرت الى عسكره طفرة
تطوى المراحل * وتأكل المناهل * بعد ان حصلت من العتاد والعدة * ومن
الشوكة والشكة * ما ينظم شرائط اوس بن حجر الكندى * ومزرد بن
ضرار الثعلبى * قال اوس

وانى امرؤ اعددت للموت بعدما * رأيت له نابا من الشر اعضلا

و قال مزرد

* وعندى للحرب العوان مهند *

هذا غير ما عندى من العدة التى يصنعها غير الله صانع * ولم يبعها غير
الايام بائع * على ايد الله الوزير من انتماء اقبالى الى اقباله * درع لا تصدئها
الايام * ولا تنفذ فيها السهام * وعلى رأسى من واقية دولته مغفر * لا تعمل
فيه السيوف * ولا تمر بطريقه الحتوف * ويدى من صنعة يمينه وبركته *
قوس وترها الجد * وسهمها السعد * وفى عنقى من صقال نعمته سيف
يقطع الآجال * لا الاوصال * ويهزم الاقدار لا الرجال * وتحتى من نتاج

شوقى

Digitized by Birzeit University Library

شوق اليه فرس اذا سرت به طار * واذا وقفت به سار * الشوق عنانه * والايام ميدانه * والعجلة سرجه * والسوط لجامه * والعزيمة لبه وحزامه * فان اذن لى الوزير فى ورود عسكره المحفوف بجناح النصرة * المكنوف بجوانب الدولة والكرة * رأى منى بحمد الله تعالى فارسا ملئ العين * كما سمع منى عالما ملئ الاذن * فيعلم حينئذ ان اقباله خرج له تلميذا انتظم فيه فروسية اللسان * وفروسية السيف والسنان * ويكر فى معركة الطعان * كما يكر فى معركة البيان * ويثبت اسمه فى جريدة العلماء والفرسان * فان الاقبال ربما التقى طرفاه * والكمال ربما اعتدل جانباه * والاحسان ربما تكافأت يمناه ويسره * واذا كان الوزير وهو استاذ فارس الميدانين * وسابق الرهانين * وكانت يده تجيل قدحى الشجاعة والكرم * وتجمع بين السيف والقلم * وتحذق آداب العرب والعجم * ولم يكن القباء اليق به من الطيلسان * ولا الدفتر فى يده اخلق من السيف والسنان * فلا بد لنا معاشر تلاميذه من ان نرقى على درجه * ونمشى فى منهجه * واذا كانت حياته نفسها الله تعالى حياة امه * ونفسه صانها الله تعالى مقسمة من نفوس جمه * فلا بد من ان تفديه تلك النفوس بنفوسهم * وان يلقوا دونه السيوف بوجوههم بل برؤوسهم * وان يخدموه فى مواطن المنايا * كما خدموه فى مواهب العطايا * وان يبذلوا معه مجهودهم قتالا * كما بذل معهم مجهوده نوالا * وان يبتذلوا فيه للنفوس الكريمة * كما ابتذل فيهم النفايس العظيمة * هذا واجب فى قضية الكرم والمجد * لازم فى شريطة الوفاء والعهد * على انى اظن العدو اذا ظلته تلك الراية المنصورة يخطو خطوة اولها جرجان * وآخرها خراسان * تقبلا لاوليه * وجريا على وتيرة ابيه * فانه اعقل من ان يقذف امه ويخالف اباه * ومن خالف والده فقد نفاه * سيهزم من رجل طالما هزم * وينهزم ابن رجل طالما انهزم * ومن اشبه اباه فما ظلم

* *
*

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وكتب الى كثير بن احمد يعزيه عن ابنة له ﴾

نحن معاشر اولياء الشيخ ومتحملى اعباء نعمته * والمتسمين بسمة جلته * اذا صدئت قرائحنا . * وفسدت اذهاننا * جلوناها بمجالسته * وغسلنا عنها وضر التغير باتباع طريقته * وسسنا انفسنا بما نراه ونتعلمه من سياسته * لبطانته ثم لرعيته * واذا كانت الحال هذه فمن المحال ان نبيع على الشيخ ما اشتريناه منه * وان نجلب اليه ما جلبناه عنه * وان نقيم انفسنا مقام المتعلمين * وان نحمل اليه مواعظ بذله * كلامه منها ابرع * وبداية توقيعاته منها ابدع * ولكن لابد للمحب ان ينطق لسانه وقلمه * بما يترجم به عن ودائع صدره * ويعبر عن نيته وسره * ولا بد لمن شارك ربيبه فى ايام الرخا والمواهب * من ان يشاركه فى ايام الغموم والمصائب * ليكون قد خدمه فى النوبتين * وتصرف معه فى الحالتين * واثبت اسمه فى جريدة الشركاء المساهمين مرتين * وبلغنى خبر المصيبة فاغتممت بها غمين * ونفذت الى سهام الفجيعة من طريقين * اما احداهما فهى انى اغار على هذه الجنبة الكريمة * وعلى هذه الدولة المستقيمة * من ان ينفذ فيها رمية الزمان * او تتناولها يد من ايدى النقصان * واما الثانية فهى انى علمت ان الفجيعة اذا لم تحارب بجيش البكاء * ولم تقابل بالاذاعة والاشتكاء تضاعف داؤها * وزادت اعباؤها * وانما الغم سم ترياقه المبائة * والموت خرق رفوه التسلية والتعزية * قال ذو الرمة *

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد او يشفى نجى البلابل

واذا كان لا بد من عين تصيب طرفا من اطراف الكمال * ولا بد من عوذة يعوذ بها وجه الجمال * فلان تكون الواقعة فى الصغير * خير من ان تكون فى فى الكبير * ولان يقع سهم الزمان على النسوان * امثل من ان يقع على الذكران * فالحمد لله تعالى الذى جعل فى طى المحنة منحة * ومزج الترحة بفرحة * فستر عورة من حيث سلب انسا ونزهة * وكفى مؤنة من حيث جلب فجيعة * وابقى الكبير من حيث اخذ واحدة صغيرة * وجل والدا من حيث

اثكل

Digitized by Birzeit University Library

اثكل والدة وهكذا تكون مصائب المقبلين المجدودين * فان الدهر اذا ساءهم فى القليل * احسن اليهم فى الجليل * واذا كاشفهم فى الخفى المستور * صانهم فى الجلى المشهور * والمدابرون مثالنا فانما تكون محنتهم صافية صرفا * وخالصة بحتا والدهر يعلم اين الزبون * ومن المغبون * وانا اسأل الله تعالى ان يجعل المتوفاة لوالديها فرطا واجرا * وكنزا من كنوز الجنة وذخرا * وان يجمع بينها وبين البتول * السيدة فاطمة بنت الرسول * وبين خديجة الاسدية * وآسية الاسرائيلية * بنات الاكرمين * وازواج المرسلين * صلوات الله تعالى عليهم اجمعين * وان يحشرها شفيعا تقبل شفاعته * وتقضى فى والديه واهل بيته حاجته * ويعوض عنها الشيخ اخا لها سوى الخلق والخلق * شريف الفعل والعرق * ليستوفى الشيخ فى يومه اجر الصابرين * وفى غده جزاء الشاكرين * وليكون قد قضى الله تعالى حق الربوبية * من طرف العبودية * وان تكون هذه الحادثة خاتمة حوادث الزمان * وساقة عساكر النقصان * فلا يرى بعدها فى تلك الدار الشريفة * الا موهبة مستطرفة * وفائدة مستجدة مستأنفة * حتى يشتغل بالتهانى عن التعازى * وبالمدائح عن المراثى * والسلام

﴿ وكتب الى ابى محمد العلوى جوابا عن كتابه ﴾

ورد كتاب السيد مبشرا من خبر سلامته بالبشرى التى تنسى كل بشرى * وبالنعمى التى تلغى كل نعمى * وبالفائدة التى تفطم فوائد الاولى والاخرى * وفهمته ولما بلغت منه الى ذكر الاعتذار عن تأخر كتابه عنى * وشمول النعمة بامثاله للناس دونى * امتلأت عجبا * ورأيت لى فى كل جارحة قلبا * ورأيت السيد قد سلك بى من التواضع طريقا قد رفعه الله تعالى عنها * وجعله بنجوة منها * وتكلف ما لو تكلفته له لكنت سالكا طريق الافراط * وراكبا مطية الغلو والاشتطاط * وكيف به هو وانما كلامه لنا معشر شيعته كنز وذخر * وعز وفخر * ومال ووفر * وكبر وكثر * وحياة وعمر *

Digitized by Birzeit University Library

فكيف كتابه الينا * وسلامه علينا * والرئيس اذا اعطى المرؤوس فوق حقه * فقد استرجع منه * واذا باسطه بما لا يسعه قدره فقد انقض عنه * والاشياء اذا افرطت الى الرجحان * عادت الى النقصان * ذكر السيد انه لا يرضى لمكاتبتى عفو كتابته * ولا ينزل فيها على حكم بلاغته * وهذا كلام اولا انه قد جرى به بنانه * ونطق به لسانه * لقلت تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * ولقد جئتم شيئا ادا * الكتابة ايد الله تعالى السيد صناعة مجانستى لها مجانسة النور للظلام * ومناسبتى لها مناسبة الاوز للنعام * ولم اقرع بابها * ولم اعلق باسبابها ولم اعاشر اربابها واصحابها * ولا ادعيتها بقلمى ولا بلسانى * ولا ادعاها لى اصدقائى واخوانى * ولا تمنيتها اذ كان المتمنى انما يتعلق بذنب الامكان * ويمشى فى طريق الكيان * ولا احتلت بها اذ كان الانسان * انما يتوهم وهو وسنان * ما يتفكر فيه وهو يقظان * ولا دعوت الله تعالى بها لانه امرنا ان نسأله ما لا ينقض العادة * ولا يفسد التكليف والمصلحة * واو كنت اجوز على نفسى شيئا منها لجوزته من طريق اتصالى بجانب السيد * فان المواصلة ربما صارت مقاربة * والمقاربة ربما جلبت مشاركة ومناسبة * وهب ان ذلك كان فكم وكم مقدار ما يتعلق بذيل المعاير من دراهم الصيرفى * وما عسى ان يعبق بثياب الجليس من طيب العطار والصيدلانى * وكم يحضنى من الكتابة على مجالسة السيد فى كل اسبوع ساعة * وعلى روايتى له فى كل شهر كتابة اورقعة * اللهم الا ان يكون السيد اراد بما ذكره رياضتى لا تهذيب * والتعرض لى بذكر الكتابة ليكى اكاتب * فان هذا من ابواب الحث والبعث * وصنف من اصناف الرقى والنفث * قد يقول الاستاذ لتلميذه احسنت يا سيد الادباء * واصبت يا واحد العلماء * ليلحظه طعم التقدم * وليرقيه فى درجات العلم بالتعلم * فان كان ذلك هذا السيد اراد * فقد بلغ المراد * وانا هو بعد اليوم * اقرع باب الكتابة * واتسلق على حيطان البلاغة * واجمع ما اقدر عليه من رسائل السيد فاحفظها صدرا صدرا * بل سطرا سطرا * واردد كل واحدة منها خمس مرات بل عشرا * فان خرجنى

ذلك

ذلك فالحمد الله تعالى الذى رزقنى * ثم للسيد الذى حركنى * وان تكن الاخرى فبلغ نفس عذرها مثل منجح * ذكر السيد ان اعتداده بى اعتداد العلوى بالشيعى * والمعتزلى بالمعتزلى * وانا اقول مكافيا لا مباريا * ومتابعا لا موازيا * اعتدادى بما رزقنيه الله من اعتداد السيد بى * اعتداد الصحابة بالنبى عليه السلام * واعتداد الشيعة بالوصى * واعتداد المعتزلة بالحسن البصرى * واعتداد الحجازيين بالشافعى * واعتداد الزيدية بزيد بن على رضى الله تعالى عنه * واعتداد الامامية بالمهدى * لا بل اعتداد العاشق باللقا * والظمآن بالرى * لا بل هو اعتداد محمد بن العباس الطبرى * بالسيد ابن محمد العلوى * وهذا ميدان يحتمل الفرسان * وفضل يتسع للتصرف والجولان * ولكنى اكره ان اشق على السيد فى الجواب * وان اكلفه دخول هذا الباب * ذكر السيد ان انكفاءه الينا قد قرب * وان حجم الغيبة قد صغر * وذرعها قد قصر * وانا اسأل الله تعالى ان يصدق هذا المقال * ويحقق هذا الفال * ويرينى تلك الطلعة التى اذا رأيتها لم انغص بغيبة الغائبين * واذا فقدتها لم اتهنأ بحضور الحاضرين * واذا نظرت اليها فيومى سعيد * بل عيد * وفصلى مربع بل ربيع * واذا تصبحت بها تصبحت بالنظر الى النبى والوصى عليهما السلام والى البتول ابنة الرسول * والى السبطين الشهيدين * الحسن والحسين والى السجاد زين العابدين * صلوات الله تعالى عليهم اجمعين * سألنى السيد ان اسأله بعض هدايا تلك الناحية * لا والله ما اعرف نفيسة * ولا طرفة خطيرة * تعدل عندى وجهه فليهده الى * وليخلع نظرى اليه على * وليعلم انه اذا فعل ذلك فقد زف الى الدنيا فى معرض الجمال * واهدى الى السعود بين طبق ومكبة من الاقبال * ولم يدع لعين التمنى بعد ذلك مطمحا * ولا لقوس الاقتراح والتحكم بعدها منتزعا * لا يكتب الى السيد بخط غيره * لانى اذا قرأت كلامه من آثار بنانه * فقد جنيت الورد من اغصانه * وقليل لمن ادلى بمثل وسيلتى * واتسم بمثل سمتى * ان تذبعث له البنان والاقلام * وان ينتقى له الخط والكلام * وان ينزل على حكمه والسلام *

* *
*

﴿ وكتب الى كاتب ﴾

اعتذر سيدى من صغر الكتاب واختصاره * فقد اغناه الله تعالى عن تكلفه من اعتذاره * وانما الصغير ما صغر قدره * لا ما صغر جمده * فاما ما افاد * وجاوز المراد * فليس بصغير * بل اكبر من كبير * واما شكره لى على تفصيلى لكلامه * فانى من هذا بعد فى ميدان عريض مديد * وفى شوط بعيد * لم ابلغ عشر عشره * ولم اقض منه ايسر يسره * والحق انى وان اجتهدت فانى غير بالغ منه ما فى ضمن النية * ولا آت على ما فى الهمة والامنية * ولكنى ساقف عقلى انتهاء الطاقة * واحمل مجهودى اقصى الغاية * والتمادح بيننا بعد الحال التى عتقت * حتى اخلقت * وقدمت حتى هرمت * فصل لا يحتاج اليه * ولا يعرج عليه * واسأل الله تعالى ان يجعل اخوتنا متصلة فى الدنيا باخوتنا يوم الدين * فان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين *

﴿ وكتب الى صاحب الديوان بالحضرة ﴾

عظم على الشيخ ادلالى * وكثر على قلبه اشغالى * وفتح عليه كرمه من حوائجى بابا لا يسد * ولا يرد * ولكنى اذا قلبت سلعة الشكر * ونشرت طراز الاحسان والبر * لم ار غيره يشتريه * او يرغب سواه فيه * واذا عرضت جريدة الكرم * وافضت قداح المساعى والهمم * جاء اسمه صدر الجريدة * وقدحه معلى القداح السبعة * فارجع اليه وعن يمينى الرجاء يقربنى منه * وعن يسارى الحياء يطردنى عنه * وما احب ان يشرك الشيخ فى لسانى غيره * ولا ان يحتوى على قلبى الا ذكره * فانى آنف لكرم المتاع * من لؤم المبتاع * واستحيى لنفاسة هذه الملابس * من خساسة اللابس * واغضب للمركب الكريم * من الراكب اللئيم * واحب ان ازف ابكار المعانى وان اغرب فى الثناء * لمن يغرب فى السناء * وان ازوج الشيخ من صنعة لسانى كرائم

لا

لا تجتليها الا عيناه * ولا تنظمها الا يداه * قد علم الشيخ انى عقدت هذه الصنيعة * ولفقت هذه المعيشة * لتكون صونا لوجهى عن ذل السؤال * وحجابا لعرضى دون الابتذال * ولاجعل ما يدخل منهـا من الكفاف * جسرا الى الصيانة و العفاف * فاحبب نفسى الى اصدقائى * واخفف ثقلى على جلسائى * فان السائل ثقيل الطلعة * كريه الزورة * مشنوء اللحظة واللفظة * معرفته غرامة * ومنادمته ندامة * ومجانبته امان وسلامة * فمن اعانى على حفظ ما اعتقدته * وامسك على جوانب ما استفدته * فقد كفى اهل المشرق كلى * وخفف عن رقابهم ثقلى * وضرب بين لسانى وبينهم سترا ثخينا * ومد عليهم دون استبطائى وعتابى كنا كثينا * ومن اخرجنى من صيانة الدهقنة * واحوجنى الى ابتذال المسألة * فقد عرضهم لخطبين * وعرضهم لحد السيف من جهتين * لانهم بين ان يعطوا فيحتسبوا مرارة العطاء * او يبخلوا فيصطلوا بحرارة الذم والاستبطاء * وما من الخطتين صغيرة وما فيهما لمختار خيرة * على ان خروجى من خراسان الى غيرها * وضع من اهلهـا * فلو ارتبط الجواد حق ارتباطه لما عار * ولو احسن الى البازى لما طار « وان مقامى حيث خيمت محنة * تدل على فهم الكرام الاجاود » ولو ملكت اعنة الايام * وجاز حظى على الحظوظ والاقسام * لكانت مدائحى الى اهلهـا مصروفة * ومعاتباتى على غيرهم موقوفة * ولما جلست تحت قول ابى عبادة البحترى

عذلتنى فى اهلهـا واسترابت * جيئتى فى سواهم و ذهابى
ورأت فى سواهم من مديحى * مثل ما عند غيرهم من كتابى

هذا على انى ارى ريح الكرم هبت جنوبا وشمالا * وعساكر المجد قد زحفت يمينا وشمالا * وسوق الادب قد قامت * واطراف المسالك قد استقامت * وليل النقص والجهل * قد جلاه فجر الفضل والعقل * والجود قد اقبل بوجه الغالب * والبخل قد ادبر بقفا الهارب * وارى الدهر قد افتر عن يتيمته * وانجلى عن كريمته * وجاء بواحده * الذى لم يزل لسان محامده * وعنوان مراشده * والذى لم يزل يرجف به لسان الامانى *

Digitized by Birzeit University Library

وتتقاضانى فيه ايام زمانى * وهو الشيخ الاجل ريب الدولة * وغذى النعمة * وسليل الكفاية والوزارة * وفرع السياسة والرئاسة * وناشر ميت الآمال * وناقد قيم الرجال * وناشر الوية المقال والفعال * وقد علمت ان الدهر البخيل * لا يسمح الآن به الا ليكون الاحرار ركزه * وليدول للافاضل دولة * ولتهب للخير ريح طالما ركدت * وتنفق للفضل سوق طالما كسدت * ورجوت ان اكون احد من ينتصف به من محنه * وينتزع فى ايامه حقه من مخالب زمنه * فقد طال ما ضرب الزمان على رزقى وغصبتنى ايامه وليالیه حقى * اسأل الشيخ ان يعرض كتابى عليه * ويوصل كلمتى اليه * ولا يقول كيف يكون الرسول اجل ممن ارسله * وكيف يكون السفير اعظم ممن سفر له * فان الكريم يعز من حيث يهون * ويشتد بأس الرمح حين يلين * وهو ايده الله تعالى الحكيم الذى لا يوصى * والمشير الذى لا يعصى * واذا سعى فى هذه الحاجة ففى امره سعى * وعن ماله نضح ورمى * وعن عاتقه القى حملا * وطرح ثقلا * لانه ان حرم سهمى الاصابة * ولم ترزق دعوتى الاجابة * فانى ملق كل خرابى عليه * وراجع به عنه اليه * اذ كنت لا ارى الفرح الا لديه وانشد

سبيلى ان اعطى الذى تسألوننى * وحق ان يجدى على ولا اجدى

﴿ وانتقيه ﴾

اذا كنت لا انفك اغدو مطالبا * فلم انت عباد ولم انا شاعر

فلينظر الشيخ الى هذه الحاج بعين من يعلم انه فيها سهيم * ولصاحبها قسيم * وانه يكدح كدحا له بعضه * ويجلب جلبا له شطره * وانى لاعلم انى قد هتكت ستر الحشمة * وخرقت حجاب المهيبة * وان هذا الكلام ترق عنه صفحة الاحتمال * ولا تطلقه شرائط المهابة والاجلال * ولكن الثقة تطلق اللسان * وتجرى الجنان *

* * *

و

﴿ وكتب الى وزير صاحب خوارزم ﴾

وصل كتاب الشيخ وتصرفت من فصوله فى لؤلؤ منثور * وطراز منشور * واستمليت منه نسخة الود الصريح * والعهد الصحيح * والخلق السجيح * ووجدت الشيخ قد استرقنى رقا لا تحل عقدته ولا ترد عهدته * وكفانى مهما لا يكفيه الا مثله * على ان ذكرى مثله ارجاف بالزمان وفعله * وكذب على الفلك واهله * وامنية من اكاذيب الامانى * وترهات من لسانى * هيهات الدهر ابخل من ان يأتى بكريمته * ويجئ بمثل يتيمته * والكرم اقل مبتاعا * واكسد متاعا * من ان ينازع الشيخ بهاه * اويسلبه رداه *

والجود اخشن مسا يابنى مطر * من ان تبز كموه كف مستلب

اخبرنى الرسول بما عمله الشيخ من حيله الدقيقة * وفتله من اسبابه الوثيقة * فى ذلك الخال حتى اخرجه من العدم الى الوجدان * وصيره من الوهم الى العيان * فحمدت الهى الذى رزقنى صديقا يحفظ على * ما اضيعه بيدى * ويحسن بى من حيث تسئ نفسى الى * وقد كنت خاطبت الشيخ فى امر هذا المال بكمال جرأتى عليه * فصدق ثقتى بسعة ساحة احتماله * فان شكانى فقد كافانى * وان اسلفنى شكرا فعلى اداؤه * وعلى الله جزاؤه * واو انصفت الحال بيننا * والجهة الجامعة لنا * لخرجت لهذا الوافد الاثير لدى والكريم على من مالى * ولقاسمته ولدى وعيالى * ولحملت العالم اليه بين طبق ومكبه * والفلك بين دنيا وآخره * ولكنى نزلت على حكم طاقتى * وانتهيت الى غاية وجدى وجدتى * وعولت على عقدى ونيتى * ونكست راس خجل منشور * وغضضت طرف قاصر مقصر * وانشدت

لو كنت اهدى على قدرى وقدركم * لكنت اهدى لك الدنيا وما فيها

الذى طلبه الشيخ من الكتب ساحمله الى خزانته واو على رحلى * وانسخ ما ليس عندى واو على خدى * ولوددت لو كان دمى حبرا وجلدى ورقا *

Digitized by Birzeit University Library

واصابعى اقلاما * وذاك عندى يسير ينسى * وصغير يلغى * وقليل لا يسمع ولا يرى * على انه لو باسطنى الشيخ فيما عدا الكتب * من الفضة والذهب * لكان آخر امره منتظما باول امتثالى * وطرف قوله متصلا بطرف فعالى * فان الناس يتخذون الاصدقاء * ليكسبوا بهم الثرآء * وانا اكسب الثراء * لا تخذ به الاصدقاء * والصديق هو العقدة التى يحلها الدهر * والذخيرة التى لا يفسدها الخير والشر * والكنز الذى لا ينقص منه الغنى والفقر * وسائر الاعلاق تفقد من حيث توجد * وتحل كما تعقد * ويدب اليها الفناء * كما يتفق لها البقاء * ويتسلط عليها الاعداء * كما يحسد عليها الاصدقاء * وتمسها النار فتحرقها * ويصيبها الماء فيغرقها * فالذهب والفضة حجران يغنيان ان حركا * ويفسدان ان تركا * والضياع والعقار جمادات وموات لا ترحل مع صاحبها ان رحل * ولا تنزل بنزوله ان نزل * والعبيد والاماء حيوان * يتحكم فيها الحدثان * ويعمل فيها عمله الزمان * فاذا حاربته الايام سقم * واذا سالمته هرم * فهو معرض للحادثات * اما بالحياة واما بالممات * والثياب والفرش ورق يجف اذا استعمل * ويخلق اذا اهمل * والعتاد والسلاح رفيق ربما خان من حمله * واعان على من قاتله * وصار فى يد المحارب * آفة على الصاحب * والحلى والجواهر زجاج يسرع اليه الكسر * ويبطئ عنه الجبر * اظهاره خطر * واخفاؤه حذر * خفيف للحمل على من سرقه * ثقيل الوطأة على من فقده * والزرع خبز مخبوز فناؤه افتقار * وبقاؤه احتكار * من بذله عرضه للفناء * ومن بخل به عرض عرضه للهجاء * والاثاث والشوار اجسام هامدة اذا ابتذلت تمحقت وتكسرت * واذا رفعت صدئت وتغيرت * والفئ والماء * غريم كفيله الارض والسماء * وهما كفيلان لا يغرمان * ولا يلزمان * ولا يلازمان * والخيل والسوام زرع تجففه الريح والهواء * ويحكم فيه الصيف والشتاء * ويتداوله الفناء * والكتب مالك جالس على قافية السرقة * موضوع على شبكة الخيانة * يسرقه كل امين * ويتهم عليه من ليس بظنين * وقد اكثرت ايها الشيخ فى هذيانى * ووضعت عنان قلبى وبنانى بيد لسانى * فان يكن

ما

Digitized by Birzeit University Library

ما جئت به مفيدا فقد ابدعت واغربت * وان تكن الاخرى فقد اضحكت واعجبت * فلم اخل ان جئت بفائدة * ان كنت ضحكة ونزهته زائدة *

﴿ وكتب الى ابن سهل سعيد بن عبد الله الكاتب ﴾

وصل كتاب سيدى المنتظر المؤتلف * والمستبطأ المتشوف * بعد ان عاتبت الدهر على تأخره ولمته * وبعد ان ذممت فيه البخت وشتمته * وبعد ان نظرت اليه وهو غائب مثالا * ورأيته فى النوم خيالا * وبعد ان عددت له الليالى والايام عدا * وحسبت فيه الاوقات والانفاس ضربا وعقدا * وبعد ان ظننت الظنون بسيدى وبوده * وتوهمت الايام فى وفائه وعهده * وحسبت وانا استغفر الله انه قد اثبت اسمه فى جريدة الغدر * وجانس ابناء الدهر * وبعد ان انشدته فيه

لم تزل تجهل الخيانة حتى * علمتك الايام كيف تخون

فويلى ان لم يعف سيدى عنى * ولم يغفر لى ما بدر منى * ولم يجعلنى فى حل من سوء ظنى * وفهمته * ولم ازل اكرر قراءته حتى حفظته * ثم تزودت فى ذلك حتى حفظت غاية باءاته وصارت روايته تقطع على صلاتى * وتستهلك اكثر اوقاتى * ثم عرضته على اصدقائى * واصدقاء ولائى * فما منهم الا من سألنيه * ونافسنى فيه * واستعارنيه * ونيته ان لا يرد العارية * ولا يؤدى الامانة * ثم نسخوه ولو طلبته منهم لما اعادوه * ذكر سيدى من شوقى اليه ما لم يتكلم فيه الا عن لسانى * ولم يترجم الا عن شانى * ولقد طويت بعده بساط المدام * ورفعت صحيفة المؤانسة والندام * وطلقت الراح ثلاثا * وفارقت الغناء بثمانا * حتى جفت الاقداح واستخصتنى الراح * ونسى بنانى الاترج والتفاح * ولقد ترك سيدى بخروجه رسوم الطرب من اخوانه دارسه * وآثار الفرح والانس طامسه * وديار المنادمة والمجالسة مقفرة * واطلال المحادثة والمساعدة متنكرة * قد هبت عليها بغتة ريح

Digitized by Birzeit University Library

الادبار * وطلع عليها نجم البلاء والاقفار * ونفذ فيها حكم القضاء * ولمستها يد العفاء * سألنى سيدى عن ذكرى له وكيف لا يذكره من يراه * وان كان لا يلقاه * بل كيف يذكره من ليس ينساه * وكيف يسلو عنه * من لا يرى عوضا منه * وكيف يغب ذكره من لا يفتح عينيه * على اكرم منه عليه * واحب منه اليه * وقد عرفته انا هجرنا الشراب * واغلقنا هذا الباب * ثم ان شربنا فى كل فترة نبوة * او بيعة خلافة * فلا نقل الا تذكاره * ولا تحيه الا اذكاره * ولا حديث الا انسنا به كان و وحشتنا له الآن * ولا اقتراح على المغنى الا شعر فى اوله ذكر غيبته * وفى آخره تمنى اوبته * رد الله تعالى سيدى الى اخوانه الذين انا اولهم فى المحبة * وان كنت آخرهم فى الرتبة * على حالة يقع الشكر وراء حقها * وتكل مطايا التعديد والبشر فى مسافاة طرقها * والناس يقولون ردك الله سالما الى سالمين * وانا اقول ردك الله تعالى غانما الى غانمين * فان من سعد بلقياه فهو غانم كما ان من حرم النظر الى طلعته فهو غارم * وارجو ان يتقدم سيدى بوصوله عند الفطر فيجتمع لى عيدان وفطران * كما اجتمع على بغيبته صومان * على ان صوم العين * اشد من صوم البطن * فان مسافة صوم العين مجهولة الامد والعدد * مخوفة الزيادة والمدد * ومسافة صوم البطن يوم وشيك المهلة * قريب العشية من الغدوة * فحصتى من صوم هذه السنة المباركة حصتان * ويومى منه يومان * وتأبى صروف الدهر ان تأتينى الا مزدوجة فى قران * وذلك انى صمت عن النظر الى طلعة سيدى شهرى رجب وشعبان * وصمت عن الطعام والشراب شهر رمضان * وقد قال الخليع الشامى

سكران سكر هوى وسكر مدامة * فمتى يفيق فتى به سكران

﴿ وانا اقول ﴾

صومان صوم نوى وصوم عبادة * فمتى يعيش فتى له صومان

* * *

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وكتب الى ابى القسم وقد انهدمت داره عليه وسلم ﴾

بلغنى خبر الهدة فالحمد لله الذى هدم الدار * ولم يهدم المقدار * وحين ثلم المال * لم يثلم الجمال * ولما سلط الحوادث على النشب والخشب * لم يسلطها على العرض والحسب * ولا على الدين والادب * ولا بد للنعمة من عوذة * ولا بد لعين الكمال من رقيه * فلأن يكون ذلك فى دار تبنى * ومال يجنى ويفنى * خير من ان يكون فى النفس التى لا جابر لكسرها ولا شئ يفى بقدرها * وصادف ورود هذا الخبر على * رمدا فى عينى * قد حصرنى فى الظلمة * وحبسنى بين الغم والغمة * وتركنى ادرك بيدى * ما كنت ادرك بناظرى * كليل سلاح البصر * قصير خطوة النظر * قد ثكلت مصباح وجهى * وعدمت بعضى الذى هو آثر عندى من كلى * ابعد الاشخاص عنى * اقربها منى * فالبيض عندى سود * والقريب منى بعيد * قد خاط الوجع اجفانى * وقبض عن التصرف بنانى * ففراغى شغل * ونهارى ليل * وطوال لحظى قصار * وقصار اوقاتى طوال * فانا ضرير وان عددت فى البصراء * وامى وان كنت فى جملة الكتاب والقراء * قد قصرت العلة خطوتى قلمى وبنانى * وقامت بينى وبين يدى ولسانى * وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات تتماثل مبانيها * وتتكافأ مقاطعها ومباديها * فتقول العلة ذلة * والوحدة وحشة * والغلب سلب * واللحظة لفظة * والهوى هوان * والاقارب عقارب * وانا اقول المرض حرض * والرمد كمد * والعلة قلة * والقاعد مقعد *

﴿ وكتب الى ابى احمد الرازى بندر نيسابور ﴾

ورد على كتاب الشيخ بعد ما كدت اتطفل عليه بخطبته * واسبقه الى المكرمة فى الابتداء بمثله * ثم ابى الله تعالى ان يكون الفضل الا لاهله * وان ينبت الكرم الا على اصله * وفهمته وافادنى من خبر سلامته فائدة هى الغنى * بل المنى

Digitized by Birzeit University Library

بل الكنوز والقنا * بل المراد والهوى * بل السناء والعلى * بل العالم والدنيا * بل خير الآخرة والاولى * وهى السلامة التى لا يتضرر بها الشيخ عنى * ولا يختص بمزيتها دونى * اذ كانت الاحوال بيننا متقاسمة * وسائر اسباب السراء والضراء متساهمة * وسألت الله تعالى اولا * والآن اسأله ثانيا * ان يجرى على الشيخ نعمته * ويرد غربته * ويعجل اوبته * ويبصره رشده * فى الرجوع الى بلده * الذى هو بحضوره مصر مباه الامصار * وبغيبته عنه مفاوز بل قفار * كما ان اهله اذا كان فيهم ناس * واذا غاب عنهم نسناس * والله يلهمه قول النابغة

فحلى فى ديارك ان قوما * متى يدعوا ديارهم يهونوا

وان اكرم الخيل اشدها حنينا الى وطنه * واعتق الابل اكثرها نزاعا نحو عطنه * والدنيا رستاق نيسابور قصبته * وعقد نيسابور واسطته * ولو علمت انى ادفع من غيبة الشيخ الى هذا الامد البعيد * والنفس المديد * وانه اذا فارق قوما طلقهم * واذا لقى آخرين عشقهم * لاخذت من الزمان الف كفيل * ووضعت الارصاد بكل سبيل * واورده على * لوكلت بحفظه عينى بل عينى *

شددت باعناق النوى بعد هذه * مرائر ان جاذبتها لم تقطع

والآن فقد ادبنا الشيخ ببعده * فما رأيه ان يعفو عنا بقربه * فيكون قد ارانا قدرته * ثم اسبغ علينا نعمته * وجمع بين تعريفنا مقدار النعمة اذا آب * ومقدار المحنة اذا غاب * كان كتاب الشيخ الطف من عتبه * واقصر من اوقاتى بقربه * واظنه اشفق على من التعب فيه اذا طال * وظن بى الكسل والملال * فما زلت اعرفه مشفقا على * حميد الاثر لدى * وان استعفيه من هذه الصدقة * واشتهى ان لا يبرنى بهذه الشفقة * وان تكون كتبه الى * اطول من يده على * وابسط من لسانى فى شكرى حميد آثاره لدى * فانى اذا رتعت فى رياض قوله * واجلت عينى وخاطرى فى ميدان فضله وطوله * تقلبت فى روضة وغدير * وادرت يدى فى جنة وحرير * ولم اعدم معنى

يلقح

يلقح الذهن * و لفظا يمتع العين و الاذن * و فقرة استفيدها * و نكتة اقرأها ثم اعيدها * وان كان تذكر الايام الماضية لا يفرغ قلبي لاستيفاء العائد *

فلا يبعد زمان منك عشنا * بنضرته ورونقه العجاب
لياليه ليالى الوصل تمت * بايام كايام الشباب

وكأن ابا تمام لم يقل هذين البيتين الا ليقتل نفسى * ويميت نفسى * و قد استسلمت للفراق فليمض فى حكمه * لا بل فلينفذ فى سهمه * وكتاب الشيخ يزيل بعض ما بى * ويشفينى من اوصابى * فليهده الشيخ الى فان اهداء السرور به الى مثل قلبى صدقة مبرورة * وصنيعة مشكورة * وكلما قرب منى الدواء فترا * تأخر عنى الداء شبرا *

﴿ وكتب الى صاحب الديوان يوم المهرجان ﴾

لولا ما يمن الشيخ من الانقباض عند الهدايا جلت او قلت وان كان ليس مع عطاياه جليل * كما انه ليس مع تواضعه قليل * لافنيت فى هديتى اليه الاعلاق والجواهر * ولاتعبت فى حملها اليه الخف والحافر * ولسبقت فى ذلك الاولين * واتعبت فيه المتأخرين * عرف الله تعالى الشيخ بركة هذا المهرجان * وافرده بذلك عن سائر ايام الزمان * ولا زال يلبس الايام قشيبها وهو جديد * ويقطع مسافاة سعدها ونحسها وهو حديد * والسلام

﴿ وكتب الى ابى سعد احمد بن شبيب ﴾

ما اقرب ما كانت المسافة بين لقاء صاحب الجيش وبين فراقه * وما اكثر ما انشدت بيت كشاجم فى وداعه وعناقه *

لم استتم عناقه لقدومه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

كأنه كان ذلك الرجل قائما معنا * او كأنه قاله هذا البيت لنا * ولقد كانت

Digitized by Birzeit University Library

الايام بلقاء صاحب الجيش طويلة الوعد * قصيرة الرفد * فانها مطلتنى بلقائه سنين طويلة ثم اسعفتنى به ساعات قصار فبينما انا اشكو مطلها * اذ صرت اشكو بخلها * وبينا انا استدرك عليها الماضى * اذ اصبحت اطلب اليها الباقى * وبينا انا انشد

ايا ليلة الوصل لا تنقضى * ويا ليلة البعد لا تنقضى

غدوت انشد * هذا الذى قيل له اطيب ما كان فنى * ولعمرى انى موسر من الصبر * قوى بنية القلب والصدر * حيث ابيت ببلدة وصاحب الجيش باخرى وليس بينى وبينه بعد الخافقين * ولا سد ذى القرنين * ولا جبل قاف * ولا سورة الاعراف * ولقد رضيت من الشوق بالدعوى * ومن اللقاء بالمنى * وغششت فيما بعثه من الهوى * والله اسأل ان يجمع بينى وبينه على ما يثلج صدرى * ويقر عينى * وان يرينى الدهر وهو وافد من حشمه * والسعد وهو خادم من خدمه * والايام وهى رسله فى اوليائه واعدائه * والمنايا وهى سهامه فى صباحه ومسائه * والاقبال وهو خليط من خلطائه * والسرور وهو نديم من ندمائه * والعز وهو مستدرئ بافيائه * والشرف وهو مطنب بفنائه * وهذا الدعاء منى خجل قطعت به الحديث لما توجهت به المسألة على * وخرج الجواب من يدى * ولو صدقت فيما ادعيته * وكنت من الشوق على ما حكيته * قلت للشوق اذ دعانى لبيك وللحاديين كرا المطايا * ولانضيت الركاب * وفارقت الاحباب * وركبت كاهل الخطر * واعروريت ظهر السفر * حتى انيخ بحضرة طال ما حضرتها العلى * وانزل على سدة طال ما سدت زوايا الندى * وانظر الى طلعة عليها للكرم ديباجة خسروانية * وفيها للطلاقة روضة ربيعية * رجعت من حضرة الوزير بعد ان افرغ على من سجاله * واسبغ على من نواله * ما خفف ظهرى بل اثقله * وانطق لسانى بل اخرسه * وارخص شكرى بل اغلاه * وابقى مديحى بل افناه * وانى حين امدح البحر بانه غزير * والبدر بانه منير * واعلم الناس ان الدهر كبير * وان الرمل كثير * كنت كاحد عباد الله

المكلفين

Digitized by Birzeit University Library

المكلفين الذين قولهم هبا * وعلهم جفا * ابقى الله تعالى ذلك السيد لتفتضح به اللئام * وتفخر به الكرام * وتتجمل به الايام والانام * واقام به سوق الكرام * وقد اقام * وادام بسلامته عز الحمد والمجد وقد ادام * وليت المكارم كانت جواهر لا اعراضا * وخلقا لا خلاقا * فتتمكن من رؤيته العين * ويأتى عليها الوزن والكيل * فيدركها الجاهل بحاسة بصره كما يدركها العاقل بحاسة فكره * فاستريح من الدلالة على معرفتها * ومن اقامة البينة على صفتها * وصلت الجارية وددتها لانى رأيت موصلها شابا واذا اجتمع الشابان فقد اجتمعت النار والحلفاء * بل اجتمع الظمآن والماء * وهذا ميدان لابليس فيه مجال * وزاوية له فيها افعال * وان النساء لحم على وضم * وصيد فى غير حرم * الا ان تلاحظ بعين غيور * وتلازم بنفس يقظ حذور *

﴿ وكتب الى تلميذ ورد له كتاب ترتفع الفاظه عن كتابة مثله وطلب نسخة شعره ﴾

نسختك شعرى التى طالبتها يا ولدى سائرة اليك * وغير مضنون بها عليك * ولكنى اذا اعتنك بها الآن اعنتك على طول غيبتك * وصرت بعض آفات اوبتك * فارجع فديتك * وانتجز ما وعدته واسمعه ممن قاله تزدد به عجبا * فحسن الورد فى اغصانه * رأيتك ياولدى تخاطبنى فى كتابك بالفاظ ان كنت انت ابا عذرتها لقد اختصرت طريق الكلام * وصرت بعض محاسن الايام * وان كنت اخذتها من غيرك لقد سرقت سرقة لا يلزم صاحبها رد * ولا يجب عليه فيها حد * ولا يعاقبه السلطان * ولا تتبرأ منه الاقوام * واغرت غارة لا يلزمك منها قود القتلى * ولا ارش الجرحى * ولا تتبعك فيها دعوات اليتامى والايامى * وغصبت غصبا لا تطالب بتبعته ورثتك * ولا يثلم له دينك وامانتك * فيا ايها المغير النظيف الغارة * والسارق البرى الساحة اشركنا رحمك الله فى بعض ما رزقت * واجعل لنا سهما مما سرقت * واعطنا

قليلا مما اخذت * ولا تبخل علينا بما ليس من ملك يديك * ولا من ميراث ابويك *

﴿ وكتب اليه ايضا ﴾

كتبك يا ولدى عندى تحف و شمامات * و انوار وباكورات * افرح باولها * و انتظر ورود ثانيها * و اشكرك على ماضيها * و اعد الايام و الليالى على باقيها فكثر على سوادها * و وفر على اعدادها * و اعلم انى احبك حبا مستكنا وباديا *

احبك ما لو كان بين معاشر * من الناس اعداء لجر التصافيا

وانى آنس بك حاضرا * و اشتاق اليك غائبا * شوقا لو عرفته لتكبرت على الورى * و لم تقم وزنا لاهل الدنيا * و كنت لا تنظر اليهم الا بمؤخر عينيك * و لا تكلمهم الا ببعض شفتيك

﴿ وكتب الى حاجب ركن الدولة بالرى ﴾

الكتاب الذى عظم الحاجب باصداره شانى * و اعاننى به على زمانى * و اهل زمانى * ورد وثمرة الفؤاد منه بعد فى اكمامها لم تزهر فتغنم * و لم تدرك فتطعم * و اذا نجحت الشفاعة من حيث لقحت * و زكت اغراس المعونة من حيث زرعت * و لاحت على صفحات احوالى اثار الزيادة * و ظهرت فيها مخايل السعادة * اقمت رهج الحمد و الشكر * و انطقت بهما لسان الدهر * و قلت ما يتعب الراوى * و يجير السامع و الرائى * و يوقع للخواطر شغلا طويلا * وللسان الاقلام عملا ثقيلا * والى ان تيسر من ذلك ماهو فى ضمان الايام * وفى ودائع الحظوظ والاقسام * فانى اسأل الله تعالى ان يطيل بقاء الحاجب مصونا عن لحظات الغير * محروسا من عثرات القدر * اقباله وسعده مقبل * وبابه مستقبل * وبنانه بل كفه بل تراب مجلسه مقبل *

و

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وكتب الى ابى عبد الله النحوى الخطيب بالرى ﴾

ان تكلفت للشيخ ذكر ما اسلفنى له فراقه من الهلع * واهداه الى من انواع الغم والجزع * جريت معه فى ميدان الاعتداد * واستقبلت بكلامى قبله الشكر والاحماد * ورأيتنى اشكر نفسى على ان اؤدى فرضا * واحمد جوانحى على ان يجيب بعضها بعضا * وان سكت بقيت فى نفسى حاجة * واستولت على قلبى حسرة * ورأيتنى ابخل على نفسى بشكاية المضرور * وانفث عليها نفثة المصدور * فلا ادرى أأقول على ان القول كلفة * ام اسكت على ان السكوت غصة * ولكنى انشد قول المولد

واشهد الله وحسبى به * انى الى وجهك مشتاق

ما زال قلبى مقيلا لذكر لياليا تلك الطوال القصار * اللواتى كانت ظلماتها انوار * وساعاتها كلها اسحار * حاربنا فيها النعاس بجيش السمر * وسهرناها ولم نجد مس السهر * فكلما مال بنا النعاس الى شقه * وكاد يستعبدنا الملال برقه * نفضنا عنا غبار الكسل * وجلونا عن اعيننا بل انفسنا صدأ الفتور والملل * بحديث عطرز بالادب * مرصع باخبار العجم والعرب * يسكر من سمعه وان لم يشرب * ويشهد على بهجية من شهده ان لم يطرب * بالفاظ انيقة النظم وثيقة النثر * ومنطق رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر * فيعود النشاط امضى ما كان حدا * واصفى ما كان فرندا * واثقب ما كان زندا * ولو عاوضنى دهرى * واشترى جميع عمرى * وباقى عصرى * ورد الى تلك الليالى الزهر * المحجلة الغر * لكان قد احسن الى وانجحنى * وخسر على * وهيهات الدهر تاجر لا يغبن فى تجارته * واسير لا يغلب على امارته * ولكنا نقطع الدهر قالا وقيلا * ونعلل فيه قلبا عليلا * يسر الله لنا حالة يعود بها الانس فى احسن زينته * واتم بهجته * وادالنا على الفراق الذى وجدناه لئيم الظفر * قبيح المنظر والمخبر * واعادلى تلك الاوقات المسعودة المحمودة * التى سرقتها من دهرى * ورأيتها غرة عمرى * وصقلت فيها بلقاء الشيخ ذهنى وفكرى * وانشدت فيها من شعرى وشعر غيرى *

Digitized by Birzeit University Library

وفرحة الاديب بالاديب * كفرحة الطبيب بالطبيب

ولو طلبت من الشيخ عوضا لكنت قد اعنت الزمان * واستحققت بطلبتى المحال والحرمان * والفضل اليوم اقل طالبا * واعز صاحبا * واجذب جانبا * واخيب كاسبا * من ان يعظم غير الشيخ بين طرفيه * او يضم عليه كلتا يديه * سقى الله ايامنا بيد الشيخ الجليل * فانى لا اعرف سحابة تندى نداها * ولا تسقى سقياها * وانما طلبت النهاية فى الدعاء * وسموت الى اقصى مراتب الاستسقاء * وقد قال ابو الطيب المتنبى

سقى الله ايام الصبا ما يسرها * ويفعل فعل البابلى المعتق

وكأنه قال سقى الله ايام الصبى خمرا فانما فرحها ساعة * وطيبها مجاز لا حقيقة له مع بشاعة طعمها اولا * وثقل خمارها ثانيا * والذى دعونه به من السقيا يبقى ولا يفنى * ولا يشبع بل يستحلى * ويستطاب ويستمرى * بلغنى ان فلانا زعم ان سمعه لا يسع لاستماع كلامى * وانه يستعظم مايرى عليه الناس من اعظامى * والذنب للعين العشواء فى محبة الظلماء * وكراهية الضياء * وفم المريض يستثقل وقع الغذاء * ويستمر طعم الماء * والجعل يتغذى بالسرقين * ويموت من الورد والنسرين * ومن الريحان والياسمين * ومن طمس عين الشمس * فقد نطق فى الحس * ومن حارب جيش العقل * وخلع ربقة العدل * ورضى لنفسه بمجانسة الجهل * فقد كفى خصومه مؤنة عتابه وعقابه * وقد امن زيادة المحنة لتمام ما به * كتبت هذه الاحرف ولم يبق منى الحر الشديد * والسفر المديد * قلبا يدرى * ولا بنانا يجرى * فانى * قد ذبت غير حشاشة ودماء * ما بين حر هوى وحر هوآء * فاما حر الهوآء فشاهده حاضر * ودليله ظاهر * واما حر الهوى فان هواى مقصور على مولاى * وقلبى حما لا يحله غيره * ولا يعمره الا ذكره * وارجو ان لا اعدم على ما قلته من قلبه شاهدا * ومن علمى به رائدا *

* * *

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وكتب الى قاضى الرى ابى الحسن بن شادان ﴾

كتابى ايد الله تعالى القاضى من قم وانا فيها بمكة حر الاجاء * وبعمان هواء لاماء * بل كتابى وانا فى سلامة الا من الحر الذى يذيب دماغ الضب * ويشبه قلب الصب * وهذا سرقته من رسائل الوزير الجليل ابن عباد وليس باول غارة الكردى على الحاجى ولا باول اخذ الطرار * مال التجار * ولا باول تجمل المتكاتب * بكلام الكاتب * وهل عبرنا منذ عرفناه الا عن بيانه * وهل اجرينا اقلامنا الا على اثار قلمه وبنانه * وهل اغترفنا الا من بحره * وهل نطقنا الا بنظمه ونثره * وهل على الارض عار ان تطلب سقيا السماء * وهل بالفقراء نقص ان يأخذوا صدقات الاغنياء * وهل يعاب النهر ان يستمد من البحر * وهل يضع من السارى ان يستنير من البدر * لا بل كتابى عن سلامة الاين مباينة الجمال * ومن عشرة الجمال * على ان الجمال حمل وهو ينطق بلسان * وتشبه خلقته خلقة الانسان * لا بل كتابى عن سلامة الا من سبعى من كل حضرة بعد تلك الحضرة البهية * ومن كل نفس بعد تلك النفس الزكية * فانى منذ لقيتها وزنت العالم باخف صنجه * وقومت الدنيا باوكس قيمة * على انى ما خرجت منها الا طريد حياء * ووقيذ عطاء * وفدت على الوزير ابن عباد وحقائبى مملوة رجاء * وصدرت عنى وهى مملوة مدحا وثناء * ولقد غاص فى معناى على دقائق من الكرم اخترعها * ونوادر من الجود ابتدعها * لو كانت ابياتا لكانت اوابد * ولو كانت قصائد لكانت قلائد * ولو كانت الوانا لكانت غررا * ولو كانت حليا لكانت دررا * فلما رأيت ان لا ازداد فى صنائعه طبقة * ولا ارتقى فى نعمه درجة * الا ازددت عنها تبلدا * وبحقها تقاعدا * هربت لاكون اوحد فى الهزيمة من الجميل * كما انه اوحد فى بذل الجزيل * ولا غرب فى الهرب على الشعراء * كما اغرب فى العطاء على الروساء * ويجمع بيننا ظاهر اسم الاختراع وفحواه * وان فرقت بيننا حقيقته ومعناه * خلفت على القاضى من دقائق اشغالى ما اذا تفكرت فيه قرعت له سنى * وتعجبت

Digitized by Birzeit University Library

منه ومني * ورأيتني قد ابتذلت الكبير للصغير * ونطت الحقير بالخطير * ولكن الكريم اذ رأى المكارم لم يجل عن دقيقها * ولم يدق عن جليلها * وقد يتواضع الاسد لصيد الارنب * وافتراس الثعلب * وان كان يفترس الفيل * ويصطاد الزنديل * فاما انا فاني اخترت لغرس مودتي من تزكو تربته * وتحمد صحبته * وانزلت حاجتي بمن داره مفيض حوائج الاحرار * وبابه مثابة الشكر من الاقطار * ومن نظر الى ندماء الوزير واصحابه * والى حجابه وكتابه * علم انه لم يلقطهم الا برائد الفراسة * ولم يغص عليهم الا بمعونة من التوفيق والهداية * وانه طالع ما وراء العواقب * بمرآة من التجارب * وانه الرجل اذا قدح بالظن اثقب * واذا ولد بالرجاء انجب * واذا نظر الى الناس عرف النقاية فانتقاها * والنفاية فانتفاها * وعلى هذه الجملة كان اختيار القاضي فصادف صنعه مصطنعا * ووافق بدره مزدرعا * ووقع الجميل منه موقعا * ليت القاضي لا يقول هذه الحاج لا تساوي كل هذا الملق * وكل هذا السجع الملفق * فاني لم يبق في قلبي سجعة الا نشرتها * ولا في لساني فضلة الا احضرتها * والسلام

﴿ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة ﴾

كان صدر عني الى حضرة الشيخ كتاب انشأه الشوق اليه * وكثرة التلهف عليه * وكتبته يد الحمد والشكر * واملاه لسان الحديث والذكر * وعزيز على اني في هذا الفصل الذي هو شباب الزمان * ومقدمة الورد والريحان * غائب عن مجلسه الذي حضوره شرف دهر * واستئناف عمر * ورفعة قدر * لا بل عن وجهه الذي اذا لقيته لقيت به السعد طالعا * والنجح مطالعا * وفارقته ففارقت شخص البركة واليمن * وهيكل الاحسان والحسن * والدهر غريمي في استئناف . تلك الحالة القديمة * ومراجعة تلك الحضرة الكريمة * وانا اراجع * فهل الشيخ مراجع * وانا تائب * فهل رضى الشيخ الى آئب * وسالق اليه ربقتي * واوقف عليه

طاعتي

طاعتى * فان صفح فطالما انكسرت المودة ثم انجبرت * واقبلت الاحوال بعد ما ادبرت * وطالما تقدم عتاب وتأخر اعتاب * وطالما زجى الساعى بالمضرب فخاب * ورمى بين الاحرار سهمه فاصاب * وطالما كان قليل الهفوة * ويسير النبوة وعارض الجفوة * سببا لحميد الرضى * وكريم العتبى * وكثير الرحمى * لا بل الصلة خلف القطيعة ابقى * والمودة بعد النفرة اخلص وابقى * لان العتاب قد صفى ماءها * وجلا اقذاءها * وابرز عن غش مفسديها * ودل على كذب من سعى بالنمائم فيها * وان دام الشيخ على حقده * ولم ينحل عن عقده * لم يجدنى بحمد الله كاسد الشعر * رخيص المهر * قوى الجزع ضعيف الصبر * ولم اسقط عليه سقوط الذباب فى القدر * وانما الادب سلعة تنفق على الكرام والشيخ منهم * وتكسد على اللئام وهو بنجوة عنهم * ولقد خصنى من بين الازمان زمن لئيم * ووقع فى قسمى من البخوت بخت ذميم * حيث صرت الزم خراجا التزم بنو المدبر اضعافه للبحترى * واضايق فى ضيعة وهب امثالها محمد بن الهيثم الغنوى لابى تمام الطائى * حيث قال البحترى

ولم لا اغالى بالضياع وقد دنا * على مداها واستقام اعوجاجها
اذا كان لى تربيعها واغتلالها * وكان عليكم عشره وخراجها

﴿ وقال ابو تمام الطائى ﴾

فدع ذكر الضياع فبى شماس * اذا ذكرت وبى عنها نفار
ومالى ضيعة غير المطايا * وشعر لا يباع ولا يعار

فان كان اولئك رؤساء فليس رؤساؤنا برؤساء * وان كان هؤلاء شعراء فلسنا نحن شعراء * وقد عرف الشيخ انى لا اقيم على الخسف * ولا احل الا خطة النصف * فان رأى ان لا يفجع خراسان بلسانها * ولا يخليها من سيفها وسنانها * فعل

﴿ وله رحمه الله تعالى ﴾

ورد على كتاب من ورائى * من اسرتى ووكلائى * يذكرون فيه ان الشيخ

Digitized by Birzeit University Library

قد ترك لهم خراج هذه السنة * وكفر عن تلك السيئة بهذه الحسنة * ومثله من عقب الفساد بالصلاح * وعفى بالمراهم على اثار الجراح * وانا اعلم ان ما كان منه من الاولى كانت نادرة وفلتة * وان ما كان منه من الاخرى كانت قصدا وعمدا وفطرة * فان الكريم اذا اساء فعن خطية * واذا احسن فعن عمد ونية * والحر اذا جرح اسا * واذا خرق رفا * واذا ضر من جانب * نفع من جانب * وان يكن الفعل الذى ساء واحدا * فافعاله اللاتى سررن الوف * والله تعالى يطيل بقاء الشيخ لممتحن يخلصه * ولفاضل يستخلصه * وعارفة يسديها * وصنيعة يوليها * ورغبة يعطيها * ومعال يوشيها * وكريمة يجليها * ومهمة يكفيها * وملمة يداويها * وايام كايامنا هذه يداريها * ودولة سامية يليها * وجنية من جنيات الكرم يجنيها * ومسعاة من مساعى الشرف يبنيها * وذخيرة من ذخائر الشكر يقتنيها * وغاية من غايات الفضل يحتويها * ومسبق اليها اهاليها * وصفوة من المعالى يصطفيها * وحسنة يرغب فيها * وفى ذويها * اسأل الله تعالى ن يعينى على شكره * وان يزيدنى من بره *

﴿ وكتب الى الوزير ابن عباد لما فارقه ومر باصفهان وتوفيت اخت الوزير ﴾

كتابى اطال الله بقاء الوزير من حضرته الى حضرته * ومن مستقر عزه الى مستقر عزه * فانا بما تبعنى من عنايته * وشيعنى من عساكر حياطته ورعايته * ونسبت اليه من خدمته * ولاح على صفحات احوالى من مواسم نعمته * صالح الحال * بل ناعم البال * راض من الايام والليال * والحمد لله ذى الجلال * وصلى الله على محمد وآله خير آل * قد كنت احسب ايد الله تعالى الوزير انى اتوصل الى بره * واكرع من بحره * وارد شريعة نواله * واضرب عطفى بين جاهه وماله * اذا وردت حضرته البهية * وطالعت طلعته الزكية * فاذا فارقتها انحسمت على مواد المواهب * ولم تصافحنى ايدى

الرغبات

Digitized by Birzeit University Library

الرغبات والرغائب * فاذا انا بنعمته يسعى غائبا * كما تتلقاني حاضرا * وتمشي على عقبي ظاعنا * كما تنزل ربعي قاطنا * كالغيث يستقبل الطالب * ويتبع الهارب وكالشمس تطلع على المسافر * طلوعها على الحاضر * وذلك اني وردت هذه الناحية المغمورة ببركات نعمته * المكنوفة بافضاله وفضله * فرأيت بها من غرائب الاكرام والاعظام * ومن دقائق الافضال والانعام * ما ترك مطايا الشكر محسورة مبهورة * وجعل ايدي التعديد قاصرة مقصورة * وقدمت من خليفته فلان على رجل عجن من طينة الحرية * وضرب في قالب الفتوة والانسانية * وسخرت له المكارم يضرب فيها بسهام الاقتدار * ويصرفها على حكم الاختيار * اواه ثناء جميل * وآخره عطاء جزيل * وفيما بينهما ترحيب وتأهيل * وتعظيم وتبجيل * بر حتى سر * وعظم حتى افحم * وافضل حتى اخجل * وتركني اتردد بين محاسن قوله وافعاله * واجيل طرفي بين طرفي تنزيله وانزاله * واذكر به اخلاق الوزير التي ما رأيت كريما الا ذكرني بها لاستيفائه منها * ولا لئيما الا مثلها لي لتخليه عنها * يذكرنيه كل خير رأيته وشر * فما انفك منه على ذكر * وكيف اتعجب من علق الوزير انخذه * ومن سيف بنانه شحذه * ومن جواد هو ضمرة للرهان * ومن حر هو علم نسجة الحسن والاحسان * ومن تلميذ استفاد منه * وخريج صدر عنه * فهيهات ان السيوف على مقادير الاعضاء تفري * وان الخيل على حسب فرسانها تجري * وحق لنهر انشعب من بحر ان يكون غزيرا * والنجم استضاء من بدر ان يكون منيرا * على انه بالآباء تقتدي الاولاد * وعلى اعراقها تجري الجياد

والسيف ما لم يلف فيه صيقل * من سنخه لم ينتفع بصقال

وقد ذكرني ما رأيته قول من سئل عن ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رضي الله تعالى عنهم فقال له السائل اني لم استكثر منه فصفه لي فقال انظر الى اثره على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد فاذا اقول في جر هذا شراره * وفي سيف هذا اثره * وفي كريم هذا نتائج سؤدده * وآثار يده * فسبحان

من جعل نعم الوزير تكنفنى فى الحضور والغيبة * وتحيط بى من الجوانب الستة * فاذا حضرته طالعنى * واذا فارقته تبعنى *

فنى كل نجد فى البلاد وغائر * مواهب ليست منه وهى مواهبه

المصيبة التى قرعت صفاة الوزير فى المتوفاة زكى الله عملها * وحقق فى مغفرته املها * وان كانت نالت كلا من خدمه * ومتحملى اعباء نعمه * بالغم الذى لا تنجلى كربته * والجرح الذى لا تؤسى ضربته * وخصنى من بينهم بالنصيب الاوفر * والقسم الاكثر * فانى اغار لجنبة الوزير من ذكر النساء اولا * واطير لنعمته ان تجللها التعازى والمراثى ثانيا * وآنف له من ان اقيمه مقام من يوعظ وينبه ثالثا * والا فالقريحة بحمد الله تعالى متدفقة والخواطر مجيبة * والشعر ليس بعازب * والشيطان ليس بغائب * والطريق الذى نهجه الوزير لنا فى الادب عامر ومسلوك لا متروك وقد كان ابو الطيب عزى سيف الدولة عن اخت له فقال

يعلمن حين تحي حسن مبسمها * وليس يعلم الا الله بالشنب

ولو عزانى انسان عن اخت لى بمثل هذا لالحقته بها * وضربت رقبته على قبرها * ولا مجال للهم والغم بين عزاء الوزير وبهائه * ولا مرتع للبكاء والفجعة بين بقاء النعمة عليه وبقائه * وانا اكتب للزمان سجلا بانه اذا تخطأ فناه * واخطأت حوادثه حوباه * فسائر ما يأتيه صغير محتقر * ومنسى مغتفر * وباطل وهدر * وسيرد على الوزير شعر غلامه ليعلم انه لم يجهل مقتضى النعمة * ولم يخلد الى الغيبة * ولم يدخر شعره * ولم يخبئ بعد عروس عطره * ووالله ما انصفنا ولى نعمتنا * ومالك رقنا * وجالب رزقنا * فيما نشاركه فى نعمائه * ولا نشاركه فى بكائه * ونساهمه فى احوال الرخاء * ولا نقاسمه احوال البلاء * ولا نساعده على البكاء * ونتحمل اعباء منته * ولا نتحمل اعباء محنه * قضية والله سدمية * وسنة حدوية * لا زالت الحوادث عن فنائه ناكبة * والخطوب عن نفسه وانفس اعزته عازبة * وصروف الايام عن مستتر عزه مصروفة * والحاظها دون تطرف نعمته

مطروفة

Digitized by Birzeit University Library

مطروفة * ولا زال يتعرف من الله تعالى صنعا يزكو طريفه على تليده * ويقع عتيقه ورآء جديده * وارانا الله جماعة اوليائه فيه * ما تضيق ساحة رجائنا عن بغيته * ويأتى على صالح دعائنا برحمته * فلان خادم الوزير قد وقف على نفسه صانها الله * وماله عمره الله * وقلدنى نعمة صارت الى نعم الوزير مضافة اذ كان فى طريقه ذهب * وعلى قالبه ضرب * وكأن خدم الوزير كثرهم الله فى تشابه افعالهم * وتكافؤ احوالهم * حلقة مفرغة * لا يدرى ما طرفاها * وسبيكة ذهب لا يعلم اسفلها افضل ام اعلاها * وكلما فقدت منهم درهما وجدت دينارا * وكلما فقدت دينارا وجدت قنطارا * والوزير اوسع لمكافاة خدمه * فانما يتقارضون من فضلات ما عندهم ماء نعمه * ويعير بعضهم بعضا ما يتقلب فيه من بقايا مواهبه وقسمه * ثم مرجع الشكر بعد هذا اليه * ومدار الاحسان والاستحسان عليه * وما عسى اقول فى مدح الوزير ونعمه * الا ان استعير لسان طفيل الغنوى فاقول

جزى الله عنا جعفرا حين ازلقت * بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
ابوا ان يملونا ولو ان امنا * تلاقى الذى يلقون منا لملت

﴿ وكتب ايضا الى بندار نيسابور من الرى لما رجعت الوزارة الى الوزير ﴾
﴿ ابن عباد وعفا عن ندماء ابن العميد ﴾

كتابى اطال الله بقاء سيدى من حضرة الوزير عن سلامة بسلامته مشتبكة * وحال بجميع احواله متمسكة * والحمد لله تعالى على النعمة عليه اولا * وعلينا به آخرا * وقد صدر كتابى الى سيدى مشحونا بحد رجوت انه يعجبه * وهزل لم اشك انه يطربه * والجد فى غير وقته كثافة * كما ان الهزل فى غير موضعه سخافة * وخير الكلام ما انتزع من ضده الى ضده * ورتع بين هزله وجده * واستوفى صفة القائل رحمه الله تعالى « وكلام كأنه قطع الروض وفيه الصفراء والحمراء » وردت ايد الله سيدى من حضرة الوزير على رجل زادته الرفعة تواضعا * والصيانة تبذلا * حتى

كأن الايام كتبت له وثيقة بان يستبقى جميل عهدها بجميل عهده * ويستديم جزيل رفدها بجزيل رفده * وكأن صروف الدهر شارطته انها لا تفيء له حتى يفيء لاخوانه * ولا توافقه حتى يخالف اهل زمانه * وما ظن سيدى رجل نفذ توقيعه فى البر والبحر * وجاز حكمه فى اهل نجد والغور * وخدمه اعين العرب والعجم * وقبل يده ملوك الجيل والديلم * وصارت لحظة منه تغنى * ولفظة منه تفنى * وسطر من سطوره يحيى املا * ويقرب اجلا * وخلوة من خلواته تزيل نقما * وتحل نعما * وهو مع ذلك بين سكر الدولة وسكر الشبيبة * ثم هو بعد هذا كله على عهده القديم تواضعا وتقربا * وعلى سجيته المعروفة المألوفة ترددا وتحببا * يصل بشره * قبل ان يصل بيره * ويحيى القلوب بلقائه * قبل ان يميت الفقر بعطائه * اكرم الناس عليه * اكثرهم حوائج اليه * وابعدهم منه * اشدهم انقباضا عنه * حتى كأن الله تعالى لم يبلغه ما بلغه * ولم يسبغ عليه ما اسبغه * الا ليكذب الفرزدق فى قوله

قل لنصير والمرء فى دولة السلطان اعمى ما دام يدعى اميرا
فاذا زالت الولاية عنه * واستوى بالرجال عاد بصيرا

وليصدق زيادة الاعجم فى قوله

فتى زاده السلطان فى الحمد رغبة * اذا غير السلطان كل خليل

وانا من بين الجماعة قد حضت به بحر الغنى * وركضت به فى ميدان المنى * ورأيت بقظان * ما لم اكن احتلم به وسنان * وزفت لى الايام بمشاهدته من ابكار النعم ما اتقاعد عن نشره * واصغر عن قدره * واست اسمح من البياض بالمقدار الذى يسع تفصيل هذه الرغائب * ويستوى فى اقسام هذه المواهب * ولكنى اقتصر بالمكاتبة على الجملة * واكل التفصيل الى المشاهدة * فلسان العيان * انطق من لسان البيان * وشاهد الاحوال * اعدل من شاهد الاقوال * وسيكون الالتقاء قريبا فان الشاعر اذا استغنى حن الى اهله * ورجع الى اصله * واحب ان يرى عليه عنوان اليسار * ويجلو نفسه على عدوه وصديقه فى معرض الاستظهار * ويعلم الناس انه زرع رجاء * فحصد عطاء

عطاء * واسلف من الكلام عرضا زاهقا * فاخذ من المال جوهرا نافقا *
وفرح الشاعر اذا قبل شعره * ونفق سعره * كفرح التاجر * صاحب الجواهر * اذا
اشتريت يتيمة * والشيخ ابى البنت ذا خطبت كريمة * وجدت فلانا وفلانا ندماء
ابن العميد رحمه الله وقد البسهم الخذلان ثيابه * ونفض عليهم الادبار ترابه *
ونبذهم الاقبال ورآء ظهره * ونظر اليهم الزمان بمؤخر عينه * فهم ارخص
من الثمر بكرمان * واضيع من الورد فى شهر رمضان * واثقل من الفرو فى
حزيران * واكسد من ابى بكر الخوارزمى بخراسان * وكذلك تكون
مصارع البغى والعدوان * وحقائد البهت والبهتان * ولقد جلسوا على
قارعة الابصار * واعترضوا يد التحكم والاقتدار * واستهدفوا اسهام
الايام والاقدار * اولا ان امورهم افضت الى رجل عليه من التوحيد والعدل
مانع * ولديه من الحلم والحياة وسيلة وشافع * هذا وقد ولغوا
فى دمه * ورتعوا فى لحمه * وخبوا واعنقوا فى ذمه * بل فى شتمه * فلم
يبقوا فى القوس منزعا * ولم يتركوا للصلح موضعا * فلما دفع الاقبال
ربقتهم اليه * وصارت حياتهم وموتهم فى يديه * اسبل عليهم ستر العفو والمغفرة *
واسبغ فيهم حكم الصحيح بعد المقدرة * وقلم عنهم اظافير الحدثان * وقام
دونهم فى وجه الزمان * وما قتلهم الا يوم احياهم * ولا افناهم الا حيث
استبقاهم * ولو كانوا يرجعون الى نفس مرة * والى اعراق حرة * لكانوا
الى نظر عين الشمس اقوى عينا من النظر الى طلعته * ولكان المقام فى القفر
بل فى القبر اهون عليهم من المقام فى حضرته * ولئن غرهم الكرم والتكرم
وطردهم الحياء والتندم * فلعن الله تعالى من لا يعرف الالم الا فى جسمه *
ولا النقصان الا فى ماله * ومن لا يقتله العفو ولا يأسره الانطلاق ومن لا
يعد الاحفظ اللغة والاعراب * ورواية اشعار الاعراب * هذا جسم الادب
فاين روحه * وقشر الفهم فاين لبه * ولو كانت المروءة رجلا لكان كريم
الطرفين * شريف الجانبين * مهذب العرق * حسن الخلق والخلق * ولو

Digitized by Birzeit University Library

كانت المروءة امرأة لكانت غضيضة الطرف * ناصعة الظرف * وفية جميلة العشرة الاهل واو كان كفران النعمة طعاما لكان قذرا و وضرا * اوشرابا لكان عكرا كدرا * ولكن كل انسان ينمى الى عرق اوليه * وكل اناء يرشح بما فيه * وما اذكر المتوفى رحمه الله تعالى الا بخير * ولا اقابل نعمه الا بشكر ولكنى احب لرئيس مثله ان يختار ندماءه * وان يشترط على المحاسن جلساءه * وان يكون اختصاصه لهم من حيث شرائط الاختصاص والاكرام * لا من حيث حظوظ الجدود والاقسام * وان يكون افضاله عليهم * على مقدار ما يجده من الفضل اليهم * ليكون قد اصاب بمعارفه مظنة الاستحقاق * ولم يلقها على طريق الاتفاق * وليكون قد ارتاد فاحسن الارتياد * وانتقد فلم يظلم الانتقاد * فاما ان تكون الندماء يتقربون الى الملوك بهتك الاسرار من الاستار * ويأكلون خبزهم بلحوم الاحرار * فذلك مما يضيق عنه مسلك الحرية * وينطق بحضرته لسان الانسانية * ولقد كشفت الايام من حلم هذا الصدر عن غاية لم تطمح اليها عين * ولم تقرع بها اذن * ولم يعثر بها ظن * فصارت صلاته من الاجال * كصلاته من الاموال * وتصدق بعرضه على اعدائه * كما تصدق باموواله على اوليائه * ليكون الجود متكافئ الطرفين * والسؤدد متعادل الوصفين * ولئلا يبقى فى الكريم غاية الا انتهى اليها * ولا للمدح جليلة ولا دقيقة الا غاص عليها * فلان قد ابطأ على * فاية شهرى الربع قلعته * ام الارض ابتلعته * ام الافعى نهشته * ام السباع افترسته * ام الغول اغوته * ام الشياطين استهوته * ام اصابته بائقة * ام احرقته صاعقة * ام رفسته الجمال * ام اغتاله الجمال * انتكس على ظهر جمل * ام تدحرج من رأس جبل * ام وقع فى بئر * ام انهار عليه جرف شفير * ام جفت بداه * ام قعدت رجلاه * ام ضربه الجذام * ام اصابه البرسام * ام جمش غلاما فقتله الغلام * ام تاه فى البرام * اغرق فى البحر * ام مات من الحر * ام سال به سيل زاعب * ام وقع فيه سهم من سهام الاجال صائب * ام عمل عمل اوط فارسلت عليه حجارة من طين منضود * مسومة عند ربك وما هو من الظالمين ببعيد * وكأنى به وقد سمع هذا الفصل فغضب

على

على * وشتم طرفى * وما اردت بما قلته غير الشفقة * ولا نطقت الا بلسان المحبة * وانما اتبعت فيه السنة * فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة * وهذه مزحة خفيفة * وان كانت ثقيلة عليه * وظريفة وان كانت سخيفة لديه * ومحبيه الى سامعها وان كانت بغيضة اليه * وقد اعتذرت والعذر وان قل * دواء كل ذنب وان جل * والسلام

﴿ وله ألى بعض حكام الرساتيق لما رجع الى نيسابور ﴾

كتبت وقد اذن الدهر بالعتبى بعد العتب * وبالصلح بعد الحرب * ورد الله تعالى على من الاقبال * ما كان غصبنيه البخت الغائر * والحظ الغادر * ورد كيد الساعى فى نحره * وردد غصته فى صدره * والحمد لله تعالى على انعامه علينا بما ليس له عندنا شكر * ودفعه عنا ما ليس لنا عليه صبر * فما اعظم النعم على غير الشاكر * وما اعجب زوال المحنة عمن ليس بصابر * ذكر سيدى حال تلك الضيعة الضائعة * التى اول عهدى بها آخر عهدى بالوجه المصون * والعرض المخزون والخطب ايد الله تعالى سيدى فى تلك الضيعة جليل * والحديث فيها طويل * لا اسع له حتى اعقد لعجائبها حسابا * واصنف فيه كتابا * واستأجر لتفصيل ذلك وشرحه كتابا * يرتبونه بابا بابا * ويجعلون له رؤوسا واذنابا * هذا بعد ان اشترى كاغد سمرقند كله * وابرى قصب الدنيا دقه وجله * ويكون مدادى ماء البحر * وعمرى عمر النسر بل الدهر * وماظن سيدى بضيعة الزمتنى الجزية بعد ان كنت الزمها الصغير والكبير * واستأديها الرعية والامير * واخرجتنى من عز السلاطين الى ذل الدهاقين * وجمعت على فتون الاغنياء وغم المساكين * وشغلنى صداعها عن اشغال الدنيا والدين * يستغل الناس الغلة * وانا استغل القلة والذلة * ويزرعون فى الارض حبا * فيحصدون حبوبا * وانا ازرع فى قلبى كربا * واحصد كروبا * وقد صرت من اجلها اخدم قوما كنت أستخدمهم * واسلم على اناس كنت اذا كلمونى لا اكلمهم * ويحجبنى من لو حضر

Digitized by Birzeit University Library

بابى من قبل حجبته ويعرض عنى من لو سألنى فيما مضى ما اجبته * قد كنت ابغض الهوان اذا مر ببابى * فاليوم قد ادخلته دارى وبين ثيابى * والى من يشكو المفعول به وهو الفاعل * ومن يطلب بالقتيل وهو القاتل * والسلام

﴿ وكتب اليه ايضا ﴾

كان الحاكم قدم فى امر ضياعى وانا حاضر ما قوى حسن ظنى به وانا غائب وحفظ الصديق حاضرا ود * وحفظه غائبا عهد * ومن احسن مشاهدة فقد حفظ الاخاء * ومن حفظ على ظهر الغيب فقد رعى الوفاء * فلما غبت عن الناحية اصابت تلك الناحية عين الغير * ودب الى الحاكم حوادث البشر * ووقع فى تلك الضيعة من الصنيعة * وفى تلك الغلة من القلة * ما بغض الى المال * وحبب الى الفقر والاختلال * وتركنى كلما سمعت بذكر ضيعة قرأت المعوذتين * وانهزمت فرسخين * واقت ديدبانين على مرقبين * وانما يكره الفقر لما فيه من الهوان * ويستحب الغنى لما فيه من الصوان * فاذا نبغ الغم من تربة الغنى فالغنى هو الفقر * واليسر هو العسر * لا بل الفقر على هذه الصفة والحالة والقضية اجل من الغنى حالا * واقل منه اشتغالا * لان الفقير خفيف الظهر من كل حق * منفك الرقبة من كل رق * لا يلزمه اداء الزكاة * ولا تتوجه اليه غوائل النائبات * ولا يستبطئه اخوانه * ولا تطمع فيه جيرانه * ولا ينتظر فى الفطر صدقته * ولا فى النحر اضحيته * ولا فى شهر رمضان مائدته * ولا فى الربيع باكورته * ولا فى الخريف فاكهته * ولا فى وقت الغلة شعيره وبره * ولا فى وقت الجباية خراجه وعشره * فانما هو مسجد يحمل اليه * ولا يحمل عليه * وعلوى يؤخذ بيديه ولا يؤخذ من يديه * يتجنبه الشرطى بالنهار * ويتوقاه العسس بالليل وفى الاسحار * فهو اما غانم او سالم والغنى انما هو كالغنم غنيمة كل يد سالبه * وصيد كل نفس طالبه * وطبق موضوع على شارعة النوائب * ومنصوب على مدرجة المطالب * تطمع فيه الاخوان * ويأخذ منه السلطان * ويتطرق اليه الحدثان * ويتحيف ماله النقصان * فاذا كانت

حاله

Digitized by Birzeit University Library

حاله حالى فوقع عليه اسم الاغنيآء * واصابه من الضرر ما يلحق بالفقرآء * فقد نظم له بين المحنتين * وخرج عليه الزمان من كمينين * لان حقوق الاغنياء ترهقه من جانب * وتبذل الفقراء ومهانتهم تلحقه من جوانب * فلا هو غنى فيتسلى بوفره * ولا هو فقير فيستريح الى فقره * فهو كمؤدى الخراج وليس له غلة * وكالراهب المعذب نفسه بالعبادة والخلوة وليست له ملة * وقد جمع المشقة والمضرة الحاضرة * وخسر الدنيا والآخرة * ولولا ان تضييع المال * ضرب من العجز والاخلال * وخصلة من خصال النساء لا الرجال * لكنت اترك تلك الضيعة نسيا منسيا * واجعل حديثها بساطا مطويا * ولكنى لا اغبن عن الصغير * كما لا ابخل بالكبير * ولا اغالط فى القليل من حيث لا اضايق فى الجليل * ولقد كسدت بخراسان لانى بها موجود والموجود مملول * كما ان المعدوم مسئول * وما ارخص الماء اذا وجد * واغلاه اذا فقد * وربما غلا الشئ الرخيص والله تعالى اسأل ان يهب ريح الكرم * ويطلع نجم الهمم * ويجلو عن خلقه صدأ هذه الاخلاق والشيم * بمنه وكرمه *

﴿ واله الى فقيه بلاد قومس وقد ورد عليه ابنه للقراءة ﴾

ورد على كتاب الفقيه بعد نزاع كان اليه * وحرص كان عليه * وبعد ان اقترحته على الدهر * وخلعت فيه ربقة العزاء والصبر * ولم ادر بايهما انا اشد سرورا بالكتاب وهو ايسر واصل * ام بحامله وهو اجل حامل * فلان ولدى قد اقتطعت له من فراغى فلذة على اننى لو درسته حتى تحفى الاقلام * ويفنى الكلام * وتحصر الافهام والاوهام * ثم لقمته العلم لقمة * وسبكت له الادب فقرة * والهمته جوامع الكلم وافرغت فى خاطره اداب العرب والعجم * وخرجت له من حد الافهام * الى حد الالهام * لكنت فيه عن قضاء حق من حقوق الفقيه قاصرا * ولكان وقوعى دون ادنى مواجبه على ظاهرا * ولكن الاقرار عذر قوى * كما ان الانكار ذنب طوى * وقد كان هذا الولد اديبا مجملا *

Digitized by Birzeit University Library

فصار بحمد الله تعالى اديبا مفصلا * وكان اغر فصار اغر محجلا * وارجو ان الله تعالى يحيي به ماثر سلفه الصالحين * ويعلى به منازل آبائه الاولين * وان يكون اولهم علما وادبا * وان كان آخرهم ميلادا ونسبا *

﴿ وله الى خلف بن احمد ﴾

ورد كتاب الامير متضمنا المواعظ التى تفلق الصخر * والحكم التى تشرح الصدر * يأمرنى فيه التأدب بادب الله تعالى والتنجز لموعوده ويشير على بان اتدرع درعا من التماسك * ترد عنى داعية التهالك * وفهمته ولعمرى ان الرزيئة بفلان رحمه الله تعالى وان كانت عظيمة تنسى العظائم * وتوهى العزائم * فان عظة الامير مما يهون الخطب * ويكشف الكرب * ويدوای القلب ولقد ضربنى الزمان بحد حسامه * ورمانى بانفذ سهامه * فان اجر على سبيلى الاولى فى الجزع * وادرع داعية الوجد والهلع * فلعظم خطب الرزية * ولثقل وطأة البلية * ونفوذ السهام النبلية * ولئن استسلمت للقضاء * واستقبلت قبلة الصبر والعزاء * فلبلاغة العظة * وللزوم الحجة * ولما وفق الامير له من مداواة القرحة * ورد ضالة السلوة * على انى اوثر الآخرة على الاولى * واحمل التأسى على الاسى * لاكتسب بذلك من رضى الله تعالى فى الآجل ذخرا * ومن طاعة الامير فى العاجل فخرا * فاكون قد نسقت بين الطاعتين * واستوجبت بهما الثواب فى الدارين * ولاكون قد اصبت بمصيبة احاط بها اجران * وابتليت بعسر اكتنفه يسران * فاذا المحنة فرادا * واذا النعمة مثنى * والله تعالى يرحم الماضى رحمة تضئ قبره * وتحط وزره * وتضاعف اجره * وتلحقه بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وعترته * وبموالیه وشيعته * ليرتع معه فى روضه * ويشرب بيده من حوضه * ويحشر فى اعلام اهل دينه * ويعطى كتابه بيمينه * ويطيل عمر الامير حتى تصير خدمه من ابنائه * ويعز نصره حتى يكون خدمه وحشمه

Digitized by Birzeit University Library

وحشمه من اولاد اعدائه * ان رأى الامير فى هذه المخاطبة لفظة ينبو عن قبولها طبعه * ويتجافى عن استماعها سمعه * صرف ذلك الى دهش الروعة * وشغل القلب بالفجعة * على انا ان اصبنا فبدولته * وان اخطأنا فلم بيته *

﴿ وكتب الى ابى قاسم بن ابى الفرج كاتب ركن الدولة لما عزل ﴾

انا اهنئ الدنيا يوم عزلك * كما كنت عزيتها يوم ولايتك * فلئن عد اقبالك فى مثالبها * لقد ذكر ادبارك فى مناقبها * ولئن كانت عوتبت يوم رفعتك * لقد اعتبت يوم وضعتك * وانت والله الجليل يسر بفراقه * والخليل هنئ بطلاقه * ولقد كان معرض النعمة قبيحا عليك * مستغيثا من يديك * كأنك ابا القاسم لم تتول الا لتصديق الاول

وكل ولاية لابد يوما * مغيرة الصديق على الصديق

ولم تعزل الا لتترجم عن قول الآخر

ستعزل ان عزلت ولا يساوى * صنيعك فى صديقك نصف فلس

لا بل كأنك ما قلدت الا ليشتد غيظ الاحرار * ويقوى طمع الاشرار * وتصل زيادة فى ذنوب الايام الى الكرام * وحجة عليها للئام * ولقد خالفت قول الحجاف

نحن الذين اذا علوا لم يفخروا * يوم الهياج وان علوا لم يضجروا

فلقد ظفرت فلم تضبط نفسك نشاطا * ونكبت فلم تملك استك ضراطا * فضقت عن احتمال الفرحة * كما عجزت عن احتمال الترحة * فلم توجد يوم سعدك شاكرا * ولا يوم نحسك صابرا * فالحمد لله الذى جعل امسك لنا عبرة ويومك لنا نعمة * ولا عدمنا فلكا دار بردك الى قيمتك * وصير حالتك فى وزان آلتك * فلا زلت بعدها غضيض الطرف * راغم الانف * صديقك يرحمك *

Digitized by Birzeit University Library

وعدوك يظلمك ويتهضمك * اقرب الناس اليك * اكثرهم بكاء عليك * وادناهم منك * اشدهم هربا عنك * والسلام على من قال آمين

﴿ وكتب الى ابى على البلعمى بعد ابيات استبطأ جوابها ﴾

قد حملت الى حضرة الشيخ ابياتا عاتبته بها * بل اعتبته فيها * وهى عروس كسوتها القوافى * وحليتها المعانى * ولعمرى لقد زففتها الى كفوء كريم * وعرضتها من كرمه على قيم عظيم * فان كانت حظيت ورضيت فبالرفاء والبنين * مائة سنة على مئين * وان كانت الاخرى فقد يصبر الكريم على من لا يحبه * ولا يميل اليه قلبه * والعاقل اذا ابغض انصف * واذا احب الطف * وعلى كل حال ان وجد الشيخ حرة فليسق الى مهرها * وان لم تكن حرة فليوفر على خدرها * وليعلم اننى غريمه فيها * وخصمه عنها * والسلام

﴿ وكتب الى تلميذ له من فقهاء نيسابور لما هرب من محمد بن ابراهيم ﴾

قد كنت ايها الفقيه عزمت ان اواتر عليك كتبى * وانبئك فيها بخبرى * وافضى اليك بعجرى وبجرى * واستأمنك فى جل احوالى ودقها * وفى باطل اشغالى وحقها * ولكنى عورضت من المحن بما لم يترك لى قلبا يعقل * ولا بنانا يعمل * واقل ما لحقنى غضب الامير على وهذه حالة يفقد بها العقل * ويشيب لها الطفل * ويتوقع معها الموت بل القتل * ولقد نشبت بين اظفار الخوف * وعقلت بحبالة الخيف * فلا انا لما ورآى آمن * ولا لما امامى آمل وما كنت احسب انى انظر الى قبرى * قبل انقضاء عمرى * ولا انى ارى شخص ملك الموت فى حياتى * قبل ان يجئ وقت وفاتى * ولعمرى لقد رأى الحاسد ما كفاه وشفاه * واضحكه منى مثل ما ابكاه * فلئن كان وشى بى الواشى لقد ابلغ * ولئن كان قد تعنى فى افناء اجلى لقد افرغ * ولقد كنت ارجو ان يسعنى

Digitized by Birzeit University Library

ما يسع الاحمر و الاسود * ويشملنى ما شمل الادنى و الابعد * ولقد اعتذرت فان عذرت * فاليوم قبرت ثم نشرت * وان تكن الاخرى فهذه غدرة الا تكن نفعت * فان صاحبها قد تاه فى البلد فالى اين المهرب من الفلك الدوار * ومن القدر الجبار * ومن خطر الليل الذى هو مدركى * وان خلت ان المنتأى عنه واسع * ومن المجير من رجل الانام داخل تحت ملكه * والايام منخرطة فى سلكه * وهل الهارب من المجدود الا كالهارب اليه * وهل الصادر عنه الا كالوارد عليه ومن ذا يزاحم ركن الزمان * ومن ذا يبيت على وساد الثعبان * ومن ذا يرجو الدواء و الموت داؤه * و يثق بالاصدقاء و الايام اعداؤه * فلان قد احسن المحضر * و حارب عنى القضاء و القدر * وليس الكرم عن مثله ببديع * ولا الجميل من اهل بيته ببزيع * فانما يجرى على عرق جاذب * ويعمل على قياس واجب * وانى لاتلهف عليه تلهف آدم على الجنة * واحبه حب الصحابة للسنة * واشتاق اليه شوقه الى وجه سؤاله * واعشقه عشقه لبذل نواله * والسلام

﴿ وكتب الى ابى على البلعمى لما بلغ منه عتبه وخرج توقيعه بالتقريع واللؤم ﴾

ذكر الشيخ انى تنقلت بعرضه المصون * وتمندلت بقدره المكنون المخزون * وقد كنت احسب الشيخ امتع على السعاة جانبا من ان يقرعوا صفاة حلمه * ويخرقوا باباطيلهم طريق عزمه و حزمه * ولقد هدم على الوشاة * حصنا كنت اعددته * وحلوا عقدا وثيقا كنت عقدته * وسلبونى علقا نفيسا اشتريته بنفسى لا بمالى * وحاربونى بعدة كنت احسبها انها لى * ولقد كنت ارى البعيد به قريبا منى واسرى فى الظلماء بضوء رضاه عنى *

فمن لى بالعين التى كنت مرة * الى بها فى سالف الدهر تنظر

وهاانا هارب من نفسى فانها ان غضب الشيخ على * كانت اقرب اعدائى الى *

Digitized by Birzeit University Library

و متهم لاعضائى فانها عيونه وجواسيسه لدى * ومن عاداه الشيخ حاربته نفسه *
وزحف اليه نحسه * وصار خير يومه امسه

ولا وساد على سم الاساود لى * ولا قرار على زأر من الاسد

لعن الله من يفسد ذات البين * ويسعى بالنميمة بين المحبين * فلقد حارب
بسلاح كليل الا انه قطع * وضرب بعضد واهية الا انه اوجع * وانما التمائم
من سلاح النساء * ومن حصون الضعفاء

﴿ وكتب اليه لما طال عتابه وكثرت رقاعه اليه ﴾

او بغير الماء حلقى شرقا * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

كيف يقدر ابقى الله الشيخ على الدواء * من لا يهتدى الى وجه الداء * وكيف
يدارى اعداءه من لا يعرف الاصدقاء من الاعداء * وكيف يعالج علة القرحة
العمياء * ام كيف يسرى بلا دليل فى الظلماء * ام يخرج الهارب من بين
الارض والسماء * الكريم ايد الله تعالى الشيخ اذا قدر غفر واذا اوثق اطلق *
واذا اسر اعتق * ولقد هربت من الشيخ اليه * وتسلحت بعفوه عليه *
والقيت ربقة حياتى ومماتى بيديه * فليذقنى حلاوة رضاه عنى * كما اذاقنى مرارة
انتقامه منى * ولتلح على حالى غرة عفوه * كما لاحت عليها مواسب غضبه
وسطوه * وليعلم ان الحر * كريم الظفر * اذا نال اقال * وان العبد لئيم الظفر
اذا نال استطال * وليغتم التجاوز عن عثرات الاحرار * ولينتهز فرص الاقدار *
وليحمد الله تعالى الذى اقامه مقام من يرجى ويخشى * وركب نصابه فى رتبة
شاب الزمان ومجدها فتى * واخلق العالم وذكرها طرى * فجعله فى البلاد
كريمها وسليلها * وفى الرتبة قدوتها وجليلها * وليعتقد انه قد هابه من استتر *
ولم يذنب اليه من اعتذر * وان من رد عليه عذره فقد خرج الى الشجاعة
بعد الجبن * واخرج ذنبه الى صحن اليقين من ستره الظن * وفق الله تعالى الشيخ

Digitized by Birzeit University Library

لما يحفظ عليه قلوب اوليائه * وعصمه بما يزيد به فى جماجم اعدائه * وليس
بين الموالاة والمعاداة الا لقية بشعه * او لفظة قذعه *

﴿ وكتب الى ابن سمكة القمى وقد اهدى اليه مع كتابه هدية ﴾

لما وردت الناحية تسالبونى تسالب الطرفة * وتهادونى تهادى السمامة
ووزنونى بمعيار الامتحان * واجرونى فى ميدان الرجحان و النقصان * فوجدونى
بحمد الله تعالى جوادا يجرى ما وجد مذهبا * وهزوا سيفا يقطع ماصادف
مضربا * ولقد عاينوا رجلا هون عليهم من قبله * وبغض اليهم من بعده *
واجلت الغبرة عن المزور وهو حامد * وعن الزائر وهو شاكر * حملت الى سيدى كذا
غير طامع فى قضاء حق من حقوقه على * ولا شق غبار حسنة من حسناته لدى
ولو اهديت اليه تاج كسرى * وخراج الدنيا * وخاتم سليمان * وذخيرة
الهرمزان * وصدقة البصرة * وجوهر الشمسرة * وكسوة الكعبة * مع الدرة
اليتيمة * مع جواهر الخلافة * نعم ولو اتحفته بمال قارون الاسرائيلى * وكنز
اللطف بن حير التميمى * وملك عمرو بن حريث المخزومى * ولو كسوته البردة
النبوية * واعطيته الشطرنج الكسروية * ولو غرست شجرة طوبى فى داره *
واجريت نهر الكوثر على بابه * وجعلت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى
البلاد فى قبضته * ولو قلت فيه ماقال حسان بن ثابت فى آل جفنة * ومدحته
بما مدح به زهير هرم بن سنان بن ابى حارثه * وشهدت له بما شهدت به
الخنساء لاخويها صخر و معوية * وصنفت فيه ما صنفه الجاحظ فى
محاسن احمد بن ابى داود الايادى * واغرقت اغراق الامامية فى المهدى *
وفضلته تفضيل الشيعة للوصى عليه السلام واعتقدت فيه اعتقاد النصارى
فى المسيح اولا * واعتقاد المانوية فى مانى ثانيا * وانقطعت اليه انقطاع
الاخطل الى بنى مروان * واعتذرت اليه فى تقصيرى عن مدحته اعتذار
النابغة الى النعمان * ثم لم ادع بيتا نادرا * ولا مثلا سائرا * الا جعلته سلكا
انظم به محاسنه * وقيدا اقيد به مناقبه * حتى افنى فى ذلك بياض سمرقند

Digitized by Birzeit University Library

واحفى اقلام مصر وواسط واشغل فيه وراقى الكوفة و كتاب السواد فانهم منبع هذه الصنعة * ومعدن هذه الحرفة * لا بل لو تجردت لمدحه تجرد السيف الحميرى للطالبين * وتجرد هروان بن ابى حفصة للعباسيين * واتعبت فى ذلك الكرام الكاتبين * حتى تركتهم محسودين لاعبين * لما كنت الا مقصرا ولكنى اذا قررت عذرى * واقررت بتقصير سيرى * وقصور قدرى * فقد جاوزت عقب الاستزادة وسيدى اعلم بخفايا عقدى * واعرف بحاله عندى * والسلام

﴿ وكتب الى تلميذ له لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم ﴾

كتابى وقد خرجت من البلآء * خروج السيف من الجلاء * وبروز البدر من الظلمآء * وقد فارقتنى المحنة وهى مفارق لا يشتاق اليه * وودعتنى وهى مودع لا يبكى عليه * والحمد لله تعالى على محنة يجليها * ونعمة يذيلها ويوليها * كنت اتوقع امس كتاب الشيخ بالتسلية * واليوم بالتهنئة * فلم يكاتبنى فى ايام البرحآء بانها غمته * ولا فى ايام الرخآء بانها سرته * وقد اعتذرت عنه الى نفسى * وجادلت عنه قلبى * فقلت اما اخلاله بالاولى فلأنه شغله الاهتمام بها عن الكلام فيها * واما تغافله عن الاخرى * فلأنه احب ان يوفر على مرتبة السابق الى الابتدآء * ويقتصر بنفسه على محل الاقتدآء * لتكون نعم الله تعالى موقوفة من كل جهة * ومحتوفة من كل رتبة * فان كنت احسنت الاعتذار عن سيدى فليعرف لى حق الاحسان * وليكتب الى بالاستحسان وان كنت اسأت فليخبرنى بعذره * فانه اعرف منى بسره * وليرض منى بانى حاربت عنه قلبى * واعتذرت عن ذنبه حتى كأنه ذنبى * وقلت يا نفس اعذرى اخاك * وخذى منه ما اعطاك * فمع اليوم غد * والعود احمد *

﴿ وكتب الى احمد بن شبيب ﴾

ورد كتاب صاحب الجيش مكتوبا بيد خلقت للسيف والقلم * بل خلقت لبذل الدينار

Digitized by Birzeit University Library

الدينار والدرهم * بل خلقت لامساك العنان والعلم * بل خلقت للنعم والنقم * بل خلقت لجميع آداب العرب والعجم * فرويته لما رأيته * وحفظته لما لحظته * ولو انصفته لجعلت الفلك صحيفته * والدهر راويته * ولما اجلت فكرى فيه * واحطت علما بمعانيه * ورتعت بطرفى وخاطرى فى مقاطعه ومباديه * وتفكرت فى رتبة صاحب الجيش فى الرتب * وفى رتبة كتابه فى الكتب * انشدت

ولما رأيت الناس دون محله * تيقنت ان الناس للناس ناقد

ولو انصفت هذا الكتاب لما فرغت منه * الى الجواب عنه * ولكن بعض الاجوبة خدمه * كما ان بعض الابتداآت نعمه *

﴿ وكتب اليه لما خرج من حبس محمد بن ابراهيم ﴾

كتبت ايد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال * خروج المشرق من الصقال * لا بل خروج البدر من خلل السحاب * وحالى الآن بين الرجا والقناعة متماسكة والحمد لله * وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله * وعلى آله صفوة الله * وصل كتاب صاحب الجيش و افادنى من خبر سلامته ما غفرت له ذنوب الايام الى * وجناياته على * وفهمته فوجدت صاحب الجيش فى غضبه على * رقيق صفحة الاحتمال * قريب غور الصفح والاجمال * مضايقا من حيث تتوسع الكرام * مخالفا لما توجبه الاحلام * يفطن للذنب الخفى * ويتغاضى عن العذر الجلى * لا يزل فى المكافاة الا على حكم الاعداء * ولا يستقبل بالمعاملة الا قبلة الاستيفاء * ولا يعلم ان للعبيد على الموالى ذمة وان كان عليهم حق * وان للمماليك من طريق العشرة احرار وان لزمهم رق * هذه حالة المملوك فكيف بالحر الذى يأخذ مثل ما اعطى * و يستوفى على قدر ما اوفى * واما انا فانما ادللت على صاحب الجيش لاطرق له على الى الاحتمال * ولاوفر له نصيبه من الفضل والادلال * على انه يحمل التواضع على الكبر * ويميل مع المحاباة

على القدر * فاذا اخذ بنا فى طريق المؤاخذة * وعاشرنا على المكايلة والموازنة * فما له عندى الا السكوت حتى يرضى * والسكوت بعد الرضى حتى يرضى الدهر فانى اظن ان الدهر لا يرضى عن ذلى الا بقتلى * ولا يتوفر من اعناتى * الا عند وفاتى * وهلا حاربنى الدهر بسلاح غير صاحب الجيش فيعلم كيف قراعى للاقران * وكيف صبرى عند الضراب و الطعان * ولقد رمانى الادبار بسهم على انى لم البس له جنة * ولم اعد لوقعه عدة * فانى والله لست بالصبور على مس العتاب * ولا بالقلب على وحشة الاحباب * ولانى لست على هجرك جلد القوى ولا على عتبك شاكى السلاح ومن غرائب القضاء * ونوادر اخبار السماء * انى ما قرأت لصاحب الجيش كتابا اطول من هذا طولا * ولا اضفى منه ذيولا * فليت شعرى لم طول هذا التطويل * وجاء بهذا الكلام العريض الطويل * الا انه لم يشف قلبه الا بلوغ النهاية فى الشكاية ام لانه ما وضعنى تحت القلم الا درت على اخلاف كتابته * وانهارت قوافى اجراف خطابته * ام لانه اراد ان يعرفنى انه طويل امد العربدة * مديد نفس المذمة و المحمدة * اذا شاء قال * واذا قال اطال * واذا غضب كان عقابه جليلا * واذا رضى كان ثوابه جزيلا * ولم يبق لى الآن شئ اعلل به قلبى العليل * واداوى به همى الدخيل * الا فرحى بما اسمعه من خبر سلامته فى نفسه نفس الله تعالى مدتها * وفى اسبابها حرس الله تعالى جنبتها * ولقد رضيت بالقليل ونزلت على الربح الطفيف ولكن كل اللباس يلبس العريان * وكل الطعام يأكل الغرثان * واستغفر الله ليس لى سلامة صاحب الجيش بالطفيف * ولا تؤذن الموهبة فيه بالخفيف * ولكن خوفى غضبه قد حيرنى حتى سلبنى عقلى * وحتى صيرنى لا املك قياد قولى * وما اعتذر من هيبتى فى مثل هذا المقام الهائل * ولا الام على دهشتى لهذا الخطب النازل * والشجاعة فى غير مكانها خرق * والجلادة على ما لا يقتضى الحال حمق *

* * *

و

﴿ وكتب الى كاتب خوارزمشاه وقد تخلص من المصادرة يشتكى اليه وزير صاحبه ﴾

قرأت كتاب الشيخ فكاد سروري بسلامته * لا يفى بندامتى على مفارقته * وذكر الشيخ ما فتحه الله تعالى عليه من ابواب المنن * واغلقه عليه من ابواب المحن * فسبحان من اذا اغلق بابا * فتح ابوابا * واذا قطع سببا اوصل اسبابا * واذا بخل عباده فخزائنه مفتوحة * واذا قبضوا ايديهم بالرزق فيده مبسوطة * وانا الى الشيخ مشتاق شوقا لو قسم على القلوب لملأها صبوة * ولم يدع فيها سلوة * وما اشكر نفسى على ان تشتاق الى من لا ترى منه بديلا * ولا تجد الى السلو عنه سبيلا * ويحسب الشيخ ان طرفى بطرفه معقود * وان باب نسيانه وتناسيه على مسدود * وانى ان اصدرت كتابى اليه بالسلامة مع ان قلبى غير سليم من الالم * ولا صحيح من الوان السقم * فانما اريد بذلك التفاؤل للكتاب * واتباع رسوم الكتاب * فلان قد بلغنى اطنابه فى ذكرى * وتفضيله لى على ابناء عصرى * وهذا سلف اسلفنيه * وانا بمعونة الله تعالى اؤديه * وما ازين نفسى بالضجة التى بها يزننى * ولا ازينها بالفضل الذى به يزينى * فان كان كما قال فلعل الفضل دب الى * وخرج من الكمين على * لانى عاشرته فاعدانى فضلا * وهذبنى قولا وفعلا * وانا فى ذلك جنيته ان قبلنى جنيه * وخليفته ان قبلنى خليفه * ولقد اغرب ذلك الحر على اهل دهره * وخالف طريقة غيره * حين ذكرنا ونحن اصدقاء العسرة * واخوان الفترة * فلم يغيره السلطان * ولم يطغه الشيطان * ولقد شهد له وحده بانه كريم * ومن اللؤم واللوم سليم * على قضية قول ابى تمام

وان اولى البرايا ان تؤاسيه * عند السرور لمن آساك فى الحزن
ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وشهادة ابى تمام فى الكرم * تقوم مقام شهادة امة بل امم * ولئن كان خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين عند الانبياء والحكام * فان ابا تمام ذو الشهادتين

Digitized by Birzeit University Library

عند الاحرار والكرام * ولى على ذلك الولد حق الابوة * كما ان له على حق البنوة * والآباء ابوان ابو ولادة * وابو افادة * فالاول سبب الحياة الجسمانية والآخر سبب الحياة الروحانية * والسلام

﴿ وله الى وزير خوارزم مشاه اما نكب ﴾

قد امتدت مدة هذا البلاء * واوهمتنا ان الدار دار البقاء * لا دار الفنا * وصار الخطب فيها سببا من اسباب سوء الظن بالانام * وداعية الى قلة الاستنامة الى الايام * ونصرة لفعال اللئام على الكرام * ولقد عجبت من ذلك الامير كيف استبدل العبيد بالاحرار * وكيف تحول من ظهر الفرس الى ظهر الحمار * كأنه لم يسمع فى الخبر * بدل الاعور * اريد بذلك قول الشاعر

افنيت مذ قلنا غداة اتيتنا * بدل لعمرك من يزيد الاعور

ولما سمعت ايد الله الشيخ بهذه النادرة التى تضحك الثكلى * وتترك العقول حيرى * قلت لا اله الا الله وما اعرف لها فائدة الا انها انطقت الناس بالتوحيد * وان كان على وجه التعجب لا على وجه التهليل والتحميد * اللهم اجعلنا ممن يتعجب اذا رأى العجائب * ويتغرب اذا سمع الغرائب * فانه اذا كثر العجب زال التعجب كما قيل

على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

فاما الآن فقد كان ما كان فانى ارى للشيخ ان يلبس للدهر ثوبا من الصبى ثخينا * ويولى حوادثه ركنا من التماسك ركينا * وان تجده الايام حرا * وان تصفيه الحوادث اذا اذاقته مرا * وان يدارى مع ذلك سلطانه * ويصغر بلسانه اساءته * ويكبر احشاءه ويروض لسانه فى الخلق على شكره * لئلا يجمح به فى الجلوة الى غيره * فانما ايام المحنة موج من تطأطأ له تخطاه * ومن وقف على طريقه ارداه * ومن قابل ايام الادبار بوجهه صدمته * ومن قاتل عساكر الاقبال فى ايام كرها هزمته * ومن طالب السلطان بالنصفة طلب

عسيرا

عسيرا * ومن حاسب على قليل من العتب لقى كسيرا * وآفة الناصح آلته * وعيب الكامل فى وقت المحنة دالته * لانه يطالب بثمن نصيحته * ويدل على صاحبه بكفايته * ويعتقد ان طول الخدمة * آكد حرمة * وان تأكد الحرمة عنده قرابة ولحمة * ولعمرى ان ذلك كذلك ولكن الغضب ينسى الحرمات * ويدفن الحسنات * ويخلق للبرى جنايات *

وان امير المؤمنين وفعله * لكا لدهر لا عار بما فعل الدهر

﴿ وكتب الى ابى محمد العلوى ﴾

اولا انى لا احب ان افتح كتابى الى السيد بعتاب * وان اكلفه الى تكلف حجة وجواب * اوجد سهامى فى الملام مسددة * وسيوفى فى التقريع محددة * وعلم انى اذا ضربت بلسانى لم تقم ضريبتى * واذا رميت لم تنج رميتى * ورد كتاب الشريف ايده الله تعالى وهو الكتاب الشريف كاتبا * السعيد حاملا * المغبوط ناسخا * المحسود راويا * وفيه الكلام الذى لا يبليه الزمان * ولا يمجه الآذان * وقد افرد السيد فيه كل واحد من اوليائه وشيعته بلطف وتناوله من البر والتحفى بطرف غيرى وما كنت اعلم انى سكبت الحلبة * ولا انى ساقة الكتيبة * ولا ان اسمى آخر الجريدة * ولعمرى ان شيعة السيد الكبار ولكنى لا اصغر عنهم وانهم لكثير ولكن مثلى لا يضيع فيهم واعوذ بالله تعالى من الكساد * فانه اخو الفساد * واستجيره من اكون محبا غير محبوب فان المحبة شجرة لا تثمر الا على عرقين * وسقف لا يبقى الا على عمادين * وصفقة لا تتم الا ببيعتين * وان قوما انا صغيرهم لكبار * وان امة ابو ذر شرها لخيار * خرج السيد فخبا نجم العلم وافلت شمس الادب وانهدم ركن السحاب وفل سيف العطاء وغارت عين الاريحية * وانثلم جانب الانسانية * وانهزمت عساكر الكرم * واغبر وجه السيف والقلم * ونضب ماء الحياء * وركدت ريح البهاء * وخرب بنيان العقل * وتضعضع جبل التوحيد والعدل * واخلقت ثياب الافضال والفضل * وتهافت نظم القول والفعل * وذلك

Digitized by Birzeit University Library

جبل السخـاء والبذل * وانشد كل من وجد من فقـده * ونظر الى ثكل المكارم من بعده * ما حال من كان له واحد * يؤخذ منه ذلك الواحد * وانا من بين الجماعة كالواله الثكلى * وكالفاقد الحرى * اقلب طرفى لا ارى من احبه * وفى الدار ممن لا احب كثير * اذا نظرت الى عرصات المكارم والمجد خاليه * والى ربوع الفضل عافيه * والى سدة الشرف وقد خلا جنابها * واصطفقت ابوابها * انشدت

واصبح بطن مكة مقشعرا * كأن الارض ليس بها هشام

وقد رحل السيد الى حضرة رجل هو للكرام انشى نفسـا * وللفضل امثل شخصا * اذا ناظره العربى صار اعجميا * واذا ناظره الاعجمى صار عربيا * واذا رآه المعجب بنفسه طلق كبره * وفارق فخره * فهو رفيق الجود وخليله * وزميل الكرم ونزيله * وغرة الدهر وتحجيله * حضرته حضرة الآجال والاموال * لا بل حضرة الاقوال والافعـال * لا بل حضرة الرجال والكمال * تنصب اليها مواد الرغبات * وتنشد فيها خيول الطلبات * من تأمله علم ان الله تعالى فرق المحاسن على اهل كل زمان * وجمعها فى زماننا هذا فى انسان * فسبحان من اذا شاء خص بعض عباده بالفضل * ورفع بعض بلاده على بعض بالاهل * من غير ان يكون ظلم احدا او حابى احدا وصف عراقى خراسان فقال * نسوانها كرجالنـا * ورجالها كجبالنـا * ورايت انا اصفهان فقلت * صبيها كرجلنا * ورجلها ككهلنا * وكهلنا كشيخنا * وشيخها كنبينا * ولم لا تخرج اهل تلك البلدة فى قالب الكمال * ولا يستوفون شرائط الرجال * ولا ينظمون فى طرفى القول والفعال * وهم يرون كل يوم واردا * ويشهدون وافدا * ويسمعون نغمه * ويطالعون نعمه * لان فيهم مثـابة الجود * وقرارة الوفود * وكعبة الآمال * ومحط رحال الرجال * وهم يلتقون على باب الوزير مع كل كاتب وحاسب * ويجلسون فى سدته مع كل ناثر وشاعر * ولا يعدمهم ان ينظروا الى ذى صنـاعة معاشية او معادية * والى ذى آلة رياضية او عقلية * فترق السنتهم وتصفو اذهانهم * وتتنزه ابصارهم * وتدق افكارهم * لاقتباسهم علم كل مكان * واستماعهم

تبيان

Digitized by Birzeit University Library

تبيان كل لسان * ولتردده بين اللغات المختلفة * و بين الاخلاق المتمايزة * فهم يبصرون ويستبصرون * و يرون فيروون * ويسمعون فيحفظون * واين بهم عن ذلك وهم يترددون فى مغيض العلم و الادب * ويتزلون فى موسم العجم والعرب * وهذا الى ما يسمعونه من كلام الوزير الذى لو سمعته الوحش لانست * ولو خوطبت به الخرس لنطقت * او استدعيت به الطير لنزلت * ومن جالس صاحب صناعة حذقها * ومن طال استماعه الحكيم نطقها ونعم المعلم الجوار * و نعم الرسول الاسماع و الابصار * كتاب كذا يجب ان يجعل المنع منه صوانه * و العين بل القلب مكانه * فان الغيرة على الكتب من المكارم * لا بل هى اخت الغيرة على المحارم * و البخل بالعلم على غير اهله * قضاء لحقه ومعرفة لفضله * وانى لاحسد على الورقة من لا احسده على البدرة * وانافس فى حرف او حرفين * ما لا انافس فى دينار او الفين * واغار على الادب الكريم * من المتأدب اللئيم *

وارثى له من موقف السوء عنده * كمرثيتى للطرف و العلج راكبه

ولوددت لو ان يكون الادب فى جبهة الاسد * ولو اصبحت الدفاتر فى انياب الاساود ووددت لو ان كتب ورقة بدينار * او كتب دفتر بقنطار * فلا يتأدب الا شجاع كمى * ولا يحرز الدفاتر الا جواد سخى * طولت على السيد واكثرت * وهذيت فيما حررت و اضجرت * ولسان الهذر * ناطق بالضجر * والسلام

﴿ وكتب الى ابى العباس كاتب محمد بن ابراهيم وقد طلب منه نسخة رسائله ﴾

قد اسلفت الشيخ من شكرى * ما اوجب عليه صلاح امرى * و السفارة بينى وبين دهرى * و السلف فى الدراهم محظور مستقبح * وفى الشكر مباح مستملح * وحاجتى هذه من صغار الحوائج ولكن كرم الشيخ بسع جلائل الامور ودقائقها وكنت طويت مسألة الشيخ فى ادراج المتاركة * ودخلت فى باب المساكتة * ثم ردنى اليه * انى لم ار معبر الكرم الا عليه * ولا ارى منبع الارزاق الا من يديه * طلب الشيخ شيئا من رسائلى فرحبا بالحبح طالب *

Digitized by Birzeit University Library

واكرم خاطب * ومن سعادة الصهر كرم اختانه * ومن اقبال الكاتب والشاعر شرف من نظر فى ديوانه * ولو قدرت جلعت الورق من جلدى * بل من ضحن خدى * والقلم من بنانى * والمداد من اجفانى * ولاملين هذه النسخة على السفرة البررة ليكتبوه بيد العصمة * ويجلدوه فى بيت الحكمة * بل لو علمت ان مثل الشيخ بطلبه * وان مثل يد الشيخ بسطها الله تعالى بالخيران تكتبه * لحاسبت عليه قلبى ولسانى ادق حساب * وطالبت شيطانى بتنقيحه وتهذيبه اشد طلاب * ولقلت لخاطرى دقق طرزك * وجود بزك * فان المبتاع كريم * والثمن عظيم * وقد قيل الراوية احد الشاعرين * وانا اقول الراوية احد الشعرين

﴿ وكتب الى ابى الحسن عبد العزيز صاحب ديوان الرسائل ﴾

كتابى عن سلامة لا انهنأ بها الا بسلامة الشيخ والحمد لله تعالى على سلامته * وعلى سلامتى فى جلته * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد النبى وعلى عترته * لما وردت هذه الناحية وجدت النجاح تقدمنى اليها * وانتظرنى لديها * فنزلت منه فى اوسع منزل * وعلى اكرم منزل * اكرمنى الشيخ نازلا * وشيعنى راحلا * وقضى حقى عاجلا وآجلا * وفى الجملة ان الشيخ وجد امرى ميتا فاحياه * ورأى النجاح منى بعيدا فادناه * وصادف اقبالى مريضا فداواه * ولقد اراحنى الشيخ ببره * بل اتعبنى بشكره * وفرغنى بصادق قيامه * لا بل شغلنى بتعديد احسانه وانعامه * وخفف ظهرى من ثقل المحن * لا بل اثقله باعباء المنن * واحيانى بتحقيق الرجاء * لا بل اماتنى بفرط الحياء * فانا له بعد اليوم عتيق * واسير بل طليق * ومن انقذ انسانا من الفقر * وانتاشه من مخالب الدهر * وفكه من اسار العصر * فقد اعتقه من الرق الاكبر * ونجاه من الموت الاحمر * والرق رقان * رق الملك ورق الهوان * والاسر اسران * اسر العدو واسر الزمان * ولست ارضى لشكر السيد لسانى ولا بنانى * ولا استصلح لذكر مآثره وآثاره كلامى * فانى

ولا

Digitized by Birzeit University Library

ولا كفران لله كليل شفرة الكلام * سليم وقع الاقلام * قصير رشاء اللسان * قريب غور البيان * ولكنى استعين فى ذلك بالسنة اصدقائى * واقلام معارفى واودائى * فنجتمع عليه * ونهدى ما نلفقه بيننا اليه * لا زال الشيخ للاحرار عضدا * ولسانا ويدا * وعمادا معتمدا * ولا زالت الالسن عليه بالثناء ناطقة * والقلوب على مودته متطابقة * والشهادات بالفضل له متناسقة * ولا زالت اولياؤه مستدرين بافيائه * منيخين بافنائه وعفائه * مستعلين به على اعدائه * وجعلنى الله فداه ان كنت اصلح لفدائه * واحسن عنى جزاه اذ كان اوسع لجزائه * واطال بقاءه اذ كان بقاء المكارم فى بقائه *

﴿ وكتب الى ابى سعيد المتوفى بناحية محمد بن ابراهيم من هراة ﴾

وردت الناحية بعد ما قاسيت السير والسرى * وخضت غمار المهالك والردى * ونظرت الى الآخرة وانا فى الدنيا واول ما مر بى سوء الدخول على ظهر الحمار ومعاشرة الحمار * على ان الحمار ايضا حمار * الا انه قصير الاذنين * يمشى على رجلين * وكأنى كنت بين حمارين * الا انى كنت بين جنسين غير انى ادركت المراد * وحمدت المراد * وساعدنى الزمان وما كاد * ومن تعلق بذيل المقبل اقبل * ومن جعل مثل الشيخ سلما فقد وصل * فها انا ذا للشيخ صنيعه ولامره تابع وجنيبه وظيفتى * فى الملأ شكره * وفى الخلاء ذكره * والسلام

﴿ وله اليه ﴾

قضيت بهذه الناحية حاجتى * وعمرت بعد الخراب حالتى * اذ سرت اليها ممتطيا عناية الشيخ بى * ومرافقا نظره لى * ولولا سكون قلبى الى حفظه على ما ورائى * وقيامه دونى فى وجوه اعدائى * لما تقدمت الا وقلبى

Digitized by Birzeit University Library

متأخر ولا اقبلت الى مقصدى الا وعزمى متذبذب * فان القلب اذا اشتغل بما ورآءه لم ينفذ رأيه فيما امامه * والرجل اذا قيدها عقال الوجل * لم تنطلق نحو مظنة الامل * فسبحان من ذخر لى كنزا * ووهب لى من جانبه شرفا وعزا * وجعلنى اطير بجناحيه * واتناول ما اريد من يديه * واذا مات ملكى احياه * واذا تبلد بختى امضاه * واذا سخط على دهرى ارضاه * فلا جرم لقد ملكنى ملكا لا تنحل عقدته * ولا تخاف عهدته * لا سلبنى الله تعالى النعمة ببقائه * ولا نزع عنى ثوب الجمال ببهائه *

﴿ وكتب الى فقيه هراة بعد ان خرج منها عليلا ﴾

تأخرت كتبى عن حضرة الفقيه لاشواغل كثيرة القلة صغراها * والعقلة وسطاها * والغيبة كبراها * وما لى عذر فى واحدة منهن * ولا منهن كلهن * ولكن المحجوج بكل شئ ينطق * والغريق بكل حبل يتعلق * ولقد عققت الود * وظلمت العهد * ونصبت جنبى للملام * واستهدفت لسهام الكلام وكأنى بعساكر العتاب وقد زحفت الى * وحملت على * والتقريع على مقدمته * والتوبيخ على ساقته * والهجر الصرف على مجنبته * فارقت تلك الناحية والحمى رفيقى وزميلى * والنافض عديلى ونزيلى * وقد ودعت الدنيا * وحصلت فى مخالب ابى يحيى * حمى اليأس والوسواس * ميت النفس والانفاس * لا تطاوعنى يدى ورجلى * ولا يساعدنى لسانى وعقلى * ابعد شئ عنى الحياة * واقرب شئ الى الوفاة * ولا اظن عمرى الا حسوة طائر * او لفتة ناظر * ثم ساق الله تعالى الى عافية اخرجت من الكمين * ولم تحبس لى فى الظنون * فجاءه اسمى من جريدة الموتى * ورجعت الى الاولى من الاخرى * وعاش الامل * ومات الوجل * ولولا انى معتزلى لقلت تأخر الاجل * فالحمد لله تعالى الذى قرب الاجل ثم اخره * واورده حوض المنية ثم اصدره * لا بل اماته ثم انشره * وحقيق ان يشكر ربا اذا ابتلى عوض الاجر * واذا غفر عرض للزيادة بالشكر * حمدا يتصل امداده * ولا يفنى اعداده *

و

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وكتب الى تلميذ له وزد عليه كتابه بانه عليل ﴾

وصل كتابك ياسيدى فسرنى نظرى اليه * ثم غمنى اطلاعى عليه * لما تضمنه من ذكر علتك * جعل الله تعالى اولها كفارة وآخرها عافية * ولا اعدمك على الاولى اجرا * وعلى الاخرى شكرا * وبودى لو قرب على متناول عيادتك * فاحتملت عنك بالتعهد والمساعدة بعض اعباء علتك * فلقد خصنى من هذه العلة قسم كقسمك * ومرض قلبى امرض جسمك * واظن انى لو لقيتك عليلا لانصرفت عنك وانا اعل منك فانى بحمد الله تعالى جلد على اوجاع اعضائى * غير جلد على اوجاع اصدقائى * ينبوعنى سهم الدهر اذا رمانى * وينفذ فى اذا رمى اخوانى * فاقرب سهامه منى * ابعد سهامه عنى * كما ان ابعدها عنى * اقربها منى * شفاك الله وعافاك * وكفانى فيك المحذور وكفاك * ورفع جنبك * وغفر ذنبك * وشرح قلبك * واعلى كعبك *

﴿ وكتب اليه وقد ورد كتابه بافاقته وحمل اليه تفاحا ﴾

وصل التفاح فى طيب نشرك * وحلاوة نظمك ونثرك * وحسن ذكرك * وكان اعبق من كل طيب غير خلقك * واحسن من كل حسن غير خلقك * وعدتنى سرعة انكفائك * وذكرت افراقك من دائك * فما ادرى على اى الخبرين كان شكرى لله تعالى اكثر عددا * واكثف مددا * وباية البشارتين كانت نفسى اسر * وعينى اقر * صدق الله هذه البشرى * واتم عليك هذه النعمى * وها انا قد مددت الى الطريق عينى * واخذت اعد الخطى بينك وبينى * احسب كل انسان رسولا * وكل شخص كتابا الى محمولا * فجعل الله تعالى اتحافنا بنفسك * ولا احرمنا حظنا من انسك *

* * *

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وكتب الى كاتب من كتاب الحضرة ﴾

تأخر عنى كتاب شيخى حتى نسيت ايام المراسلة * وصرت ارى فى المنام اوقات المكاتبة والمواصلة * وحتى ظننت ان الاقلام قد حفيت * وان القراطيس قد فنيت * وان الكتابة قد نسيت * وان المطالعة والمفاوضة قد طويت * وان المداد قد صار فى جبهة الاسد * او يجلب من السويس الابعد * وان الدواة قد اصبحت تامية * وان الدولة قد عادت اعجمية * ثم راجعت فناظرت نفسى * فوجدت الذنب مقسوما بينه وبينى * فتحملت حصته منه * وانفردت بجميعه عنه * وذلك انى خرجت وسافرت هذه السفرة * فوقعت فى الخال فترة * والغائب ملقى وملقى * ومنسى اومتناسى * فلان كان افقر من الانبياء * فان فقرآءهم اكثر من الاغنياء * واعرى من الحية * وانقى كيسا من الراحة * يده صفر * ومنزله قفر * وغدآوه الحوى * وعشاؤه الطوى * ووطآؤه الارض * وغطآؤه السماء * وادامه التشهى * وطعامه التمنى * وراحته زوجته * ورجله مطيته * لا يرى الدرهم الا فى المنام * ولا يحس الدينار الا بالاوهام * ولا يشبع الا فى اضغاث احلام * بابه مجلس الغرمآء * وذيله متعلق الخصمآء * قد ضرب عليه الخذلان رواقا * وبنى فوقه الادبار طاقا * ونشز عليه الرزق * وحرمه الخالق والخلق * واسع المنى * ضيق الغنى * افرغ دارا من فؤاد ام موسى عليه السلام لومرت به الريح لاخذ منها * ولوزار الذباب لطمع فيها * خصيب العين * جديب البطن * لان العين تشبع بنظاره * ولا يشبع البطن الا عن حقيقه * كأن الارزاق قسمت ورزقه غائب * وكأن البخوت وضعت وبخته هارب * وكأن الفلك يعاديه * والدهر يناويه * وكأنه اشكل الرزق ولدا * اوكسر له رجلا ويدا * فعمدت اليه فجبرت كسره * وطردت عنه فقره * وحاربت دهره * وزففته زف الهدى الى منى * وعللته تعليل الصبى بالمنى * ورأيت حاله قد انحرفت انحرافا لا يتدارك * وانحلت انحلالا لا يتماسك * فلم ازل ارفو خرقها * وارتق فتقها * واجلو عنها صدأ الادبار * واغسل عن اطرافها وضر العسر والاقتار

Digitized by Birzeit University Library

والاقتار * فما هو الا ان رأى بيده الدرهم والدينار * وطوى مراحل العسر الى اليسار * حتى نسى نفسه * وجحد أمسه * وتطاول بيد قصيرة * وتعظم بنفس حقيرة * وقلب على مجن غادر * وصافح نعمتى عليه يد كافر * وقبح لقاءه لى وكان حسنا * وخشن مسه على وكان لينا * فلما رأيت سوء جواره لنعمة الله تعالى وتركه التأدب بادب الله تبارك وجهله حق رزق الله تقدس رددته الى قيمته * وجعلت نقمته فى وزن نعمته * ونزعت عنه قميص عافية اساء لبسه واستعماله * ولم يعرف له بهاءه وجماله * وتعلقت بذيل ذلك المال وقد كاد يفوت * ورددت اليه روحه وقد ابتدأ يموت * فمن رآنى فليتهم على الدرهم يديه * وليوكل به عينيه * وليجعل وكيله نفسه * وقهرمانه كيسه * وشريكه فعله * وحارسه عقله * وخادمه خاتمه * وصديقه صناديقه * وليعلم ان درهمه اذا فارقه لم يرجع اليه * واذا صالح يد غيره لم يصالح يديه * واذا اعطى اباه او اخاه فقد زاد فى عدد اعدائه * كما نقص من عدد اصدقائه * ومن اراد ان يشترى الاعداء بماله * وان يحارب يمينه بشماله * فليخالف طريقى * ولا يقبل نصيحتى *

﴿ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة ﴾

كتابى الى الشيخ من الديوان * وانا فيه ملتحف بالحرمان * مشتمل بالذل والهوان * قاعد بين النقصان والخسران * عن يمينى مستخرجان * وعن يسارى وكيلان * والحمد لله على تصاريف الدهر واحواله * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله * قد احفيت قلمى ويدى فى كتبى الى الشيخ اخطب نظره لى * وانشد ما اضللته من عنايته بى * فلم يعطف على عطفه * ولم يشغل نجابتى طرفه * واذا ادبارى مصمت لا يسمع الدعوى * ولا يقبل الرقى * وما اشكو الا نحسى * ولا اهجو الا نفسى * وما خصمى غير حرمانى * ولا قرنى الا زمانى * ورد علينا فلان * ونحن نيام نوم الامنة * وسكارى سكر الثروة * ومتكئون على فراش العدل والنصفة * فما زال يفتح

علينا ابواب المظالم * ويحتلب فينا ضرعى الدنانير والدراهم * ويسير فى بلادنا سيرة لا يسيرها السنور فى الغار * ولا يستخيرها المسلمون فى الكفار * حتى افتقر الاغنياء * وانكشف الفقراء * وحتى ترك الدهقان ضيعته * وجحد صاحب الغلة غلته * وحتى اخرب البلاد * بل اخرب العباد * وحتى شوق الى الآخرة اهل الدنيا * وحبب الفقر الى اهل الغنى * وحتى نشف الزرع والضرع * واهلك الحرث والنسل * وحتى لقب بالجراد * وكنى ابا الفساد * وصار الدرهم فى اياه * اقل من الصدق فى كلامه * وصار الامن فى اعماله * اعز من السداد فى افعاله * فليته اذ اوحش الرجال * حصل المال * وليته اذ ضيع المال * ارضى الرجال * ولكنه حرم الاثنين * فافلس من الجهتين * والله ما الذئب فى الغنم بالقياس اليه الا من المصلحين * ولا السوس فى الخز فى الصيف عنده الا من المحسنين * ولا الحجاج بن يوسف الثقفى فى اهل العراق الا اول العادلين * ولا يحسب الاثيم فى اهل فارس بالاضافة اليه الا من النبيين والصديقين * ولا فرعون فى بنى اسرائيل اذا قابلته به الا من الملائكة المقربين * فان كنا به معاقبين فقد تقضى مدة العقاب * وتختم صفحة العذاب * وان كان الفلك غلط به * والزمان اخطأ فيه * فقد يراجع الغالط حسه * ويحاسب المخطئ نفسه * فيجبر ماكسر * ويتلافى ما بدر * والسلام

﴿ وكتب الى ابى الوفا صاحب جيش عضد الدولة ﴾

كتابى وانا بما يبلغنى من صالح اعمال الشيخ مغتبط ومسرور * وبما يعرفه الزمان واهله من اعتضادى به مصون وموفور * والله تعالى على الاولى محمود وعلى الاخرى مشكور * التطفل وان كان محظورا فى غير مواطنه * فانه مباح فى اماكنه * وان كان فى بعض الاحوال يجمع عارا ووزرا * فانه فى بعضها يجمع فخرا وذخرا * ورب فعل يصاب به وقته فيكون سنة * وهو فى غير وقته بدعة * وقد تطفلت على الشيخ بهذه الاحرف اخطب بها مودتى

مودتى عليه واسأله ان يرسم لى فى لسانى وقلبى رسما * ويختم عليهما ختما *
وصرت وكيله فيهما فهما على غيره حمى لا يقرب * وبحيرة لا تحلب ولا تركب *
ولما نظرت الى آثار الشيخ على الاحرار * ونشرت طراز محاسنه فى ايدى
القاصدين والزوار * واقيمت له عندى بالفضل شهادة الاخبار والاشعار *
وهما شاهدا عدل * بكل نقص وفضل * ثم لما رأيت نفسى غفلا من سمة
مودته * وعطلا من جمال عشرته * خيت لها من ان يحمى عليها ورد
مورود * ويحسر عنها ظل على الجميع ممدود * وعجبت من سحاب اخطأنى
جوده وهو صيب وبحر عدانى سيله وهو مفعم

وبدر اضاء الافق شرقا ومغربا * وموضع رجلى منه اسود مظلم

﴿ وله الى ابى الحارث من ولد هاشم بن ماسجور وهو ملك الجبل وقد ﴾
﴿ ارسله يستدعى كتابه ﴾

مكاتبة مثلى للامير سوء ادب ودعة * وقلة حياء ومسكة * وتركى مكاتبته
بعد ما امكنتنى وقرب متناولها منى تضييع لفرصة من فرص العز * وذهزه
من نهز الفوز * والعاقل يختار خير الشرين * ويميل مع اعدل الشقين *
لم ازل ايد الله تعالى الامير اقترح على دهرى ان يسعدنى * وعلى عمرى ان
يسعفنى * فاتعلق من تلك الخدمة بطرف * واتوصل الى تلك الحضرة بسبب
ويأبى الدهر الا ان يحلئنى عن ورد احوم عليه برجائى * ويغلق على بابا
استفتحه بدعائى * فلما غلبنى الدهر على مرادى * وخالف بين طريق
اصدارى وايرادى * رضيت من المائدة باللقمة * ومن الفضل بالبلغة *
وسلكت مع بختى طريق المصانعة * اذ كان قد سد على طريق المصادرة *
وقلت لا اقل من ان ادس اسمى فى اسماء خدم تلك الحضرة الجليلة * واترب
يدى بغبار تلك الصنائع الجميلة * واخدم ذلك السيد قولا * وان كنت لم ارزق
خدمته فعلا * واكاتبه غائبا * اذ كنت لا اصل اليه حاضرا * فكتبت هذه

Digitized by Birzeit University Library

الاحرف اصل حبلى بحبله * واعرض بها نفسى لفضله * وانا اخرج الى الامير من عهدة هذه السلعة * واشهد "نى وسط فى هـذه الصنعة * فان الهيبة تحصر بنان الكاتب * وتعقل لسان الخاطب * فكيف حالها مع المتكاتب * وانا شاكر للامير وان كنت لم ارد بحره * ولم احتلب دره * لما سمعته من شكر الشاكرين لفضله * ومن اطباق الجميع على ذكر محاسن قوله وفعله * لا بل شكرى له عن غيرى اعظم * والحق لى فيه الزم * لانى لو شكرته عن نفسى شكرته عن انسان * واحتجت فى ذلك الى لسان * واذا شكرته عن الناس شكرته عن امة * واحتجت الى السنة جمة * على اننى اطرى الحسام اذا مضى * وان كان يوم الروع غيرى حامله * جزى الله تعالى الامير عن الجود خيرا فقد اقام له سوقا كانت كاسده * واهب منه ريحا كانت راكده * واحيى منه ارضا كانت هامده * ولقد سلك الامير من الكرم طريقا يستوحش فيها اقلة سالكها * وعمر للمعروف دارا لا يستأنس بها لعدم ساكنها * وبيته فى قفارها * لدروس آثارها * وانهدام منارها * اعانه الله تعالى على صعوبة الطريق * وقلة الرفيق * والهمه صبرا يهون عليه احتمال المغارم * ويقرب عليه مصاغاة المكارم * فبالصبر تنال العلى * وعند الصباح يحمد القوم السرى *.

﴿ وكتب الى حسين صاحب ديوان الحضرة ﴾

تأخر كتابى عنك يا ولدى لانى كرهت ان اكاتبك عن فكر متشعب * وقلب متقلب * واردت ان اخلى خاطرى لجوابك * وان اقضى بذلك حق كتابك * فمن صيانة صاحب الكتاب * ان لا يتجوز له فى الجواب * على ان مصون كلامى عند مثلك غير مبتذل * ومدخر برى عندك ليس بمستعمل * ولا لوم على الفقير * اذا حمل ما عنده من اليسير الى المياسير * وقد بذل جهده * وانى اقصى ما عنده *

* * *

وله

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وله الى كاتب بعض الامرآء وقد ورد عليه كتابه يشكو فيه الجرب ﴾

وقفت على ما شكاه سيدى من العلة شفاه الله تعالى منها * وعوضه الصحة عنها * وودت لو قبلتنى العلة فدآه * وامكننى ان اقرض سيدى شفآه * فكنت انقل اليه الصحة نقلا * وابذل له ما عندى من العافية بذلا * الجرب حكة عافى الله تعالى سيدى منها مادتها يبوسة وحرارة ووقود والتهاب * زندهما الذى يقتبسان منه طعام وشراب * وفضلة فدفتها الطبيعة الى الظاهر * ودفع الله تعالى شرها عن الباطن * وعسكر من عساكر البلآء * تمده القذارة وتهدمه الطهارة * وتنقص منه البرودة والرطوبة * كما تزيد فيه اليبوسة والحرارة * ومن داوى ظاهره * وترك باطنه * فانما يبل حائطا ورآءه النار الموقدة * ويرش على سطح بيت فيه الشرار المبثوثة * ويقعد تحت قول الاول

خليلى داويتما ظاهرا * فمن ذا يداوى جوى باطنا

وكيف تقطع مادة نار تطفى عن ظاهر الجسد * وهى تتوقد فى باطن الكبد * وكيف يزول دآء سمه مكايله * وترياقه موازنه * وكيف يصح جسم حميته دوآؤه * وغذآؤه دآؤه * وكيف يقوم قليل الترياق بكثير السم * اويفى صغير البناء بكبير الهدم * وكيف يرجو الشفآء من لا يضبط شهوته * ولا يملك يده * ولا يهاجر حبيبه * وطعامه وشرابه * حتى لا يراهما الا خلسة * ولا يذوق منهما الا بلغة * ارى لسيدى ان يصبر على الجوع مع مرارته * وعلى العطش مع حرارته * وان يقتصر من الطعام على ما يكون فى اوسط طبقات الرطوبة * وفى اعدل موازين البرودة * ولا بد من هجر اللحم والفاكهة ولا سبيل الى اطرافه فاما البقول فيجب ان لا ترى ولو فى المنام * ولا تمس ولو بالاوهام * والسمك وما ناسبه بلية * واللبن وما خرج منه منية * حتى اذا حس فى معدته بالخلآء * ووقف من طبيعته على الصفآء * ومن اخلاط جسمه بالاعتدال والاستوآء * استخار الله تعالى وشرب شربة قوية تكنس فضول السوداء * وتخرج خبايا الصفرآء * وتقمع سلطان البلغم *

Digitized by Birzeit University Library

وتصفى كدورة الدم * فاذا انجلى عنه خمار ضعفها * وتقشعت غيابة سكرها * امدها بفصاد يخص به الاكحل فانه نهر العروق * والطريق الذى يفضى منه الى كل طريق * تصعد اليه السفلى * وتنزل عليه العليا * وتلقى عليه الاولى والاخرى * فاذا فرغ منه * وخرج باذن الله تعالى سليما عنه * وعلم انه لم يبق من العارض الا هباؤه * ومن الخوف الا زبده وجفاؤه * يعالج حينئذ باللطوخ التى تغسل ظاهر الجسم * ويجلو صدأ السقم * ولا ينسين الاستكثار من الغسل والاغتسال * ومباشرة الماء الحار على كل حال * فان الجرب فى حيز الحرارة * كما ان الماء فى حيز البرودة * والبارد اذا لقى الحار اطفى بعضه * وان لم يقطع اصله * والضد اذا زاحم الضد وهن سلطانه * وان لم يهدم اركانه * وملاك الامر الحمية فانه لا يكون قوى الحمية الا من كان قوى الحمية * ومن غلبت شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية * وانخلع عن ربقة الانسانية * وحق على العاقل ان يأكل ليعيش * لا يعيش ليأكل * وكفى بالمرء عارا ان يكون صريع مأكله * وقتيل انامله * وان يجنى ببعضه على كله * ويعين فرعه على اصله * فكم من لقمة اتلفت نفس حر * وكم من اكلة منعت اكلات دهر * وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت * وكم من عذوبة خلفها بشاعة الفوت * وكم من شهوة ذهبت بنفس لا تقوى لها العساكر * وقطعت جسدا كانت تنبو عنه السيوف البواتر * وهدمت عمرا هدمت به اعمار * وخربت بخرابه بيوت بل امصار * والعلل كلها وان لم يشملها اسم * ويجمعها حكم * فهى متباينة الاقدار * متمايزة المقدار * متخالفة الطبقات فى باب النقيصة والعيار * فعلة العشق دليل على لطف الغريزة والترحم عن الرقة الروحانية * وعن النفس الخاصة الانسانية * وعلة النفرس على التنعم والقعود * وعلى قلة تجشم الهبوط والصعود * وعلى ان صاحبها مخدوم مكفى * او ملك حظى * وعلة الجرب دليل على تضييع واجب النفس من التعهد * وعلى التفريط فى العلاج والتفقد * تنطق بان صاحبها ضعيف المنة فى التوقى * اسير فى يد الحرص والتشهى * غاش لنفسه * قليل البقيا

على

على روحه * وكيف يحفظ اصدقآءه * من لا يحفظ اعضآءه * وكيف يبقى
على غيره * من لا يبقى على نفسه * وكيف يؤتمن على من لا يتمالن عنه *
من لا يؤتمن على بعض منه * وهذه علة تكسب صاحبها خزيا وحيآء *
وتورثه خجلا واسترخآء * ينظر الى الناس بعين المريب * ويتستر عنهم كتستر
المعيب * تنفر عنه الطباع وتستقذره النفوس * وتنبو عن مواكلته العيون * واقل
ما يصيبه انه يحرم آلة المطاعم وهى يداه * والة اللقاء والزيارة وهى رجلاه
ولو لم يكن من دقائق آفاتها * ومن عجيب هباتها * الا انها تشيخ الفتيان *
وتمسخ الانسان * وتجعله اميا بعد ان كان غيرامى * واعجميا وليس
باعجمى * تنفر عن نفسه نفسه * وتهرب من فراشه عرسه * ويتباعد عنه
اقرب الناس منه لقد كانت جديرة ان يحتشد لدوائها * وتبذل الرغائب فى اقتنائها
ثم هى ربع من ارباع الخذلان * وقسم من اقسام الحرمان * قال الشاعر

اعاذك الله من اشياء اربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وما ظن سيدى بداء قد سارت به الامثال * وقيلت فيه دون تساير الادواء
الاقوال * قال رؤبة وقد ذكر علة * هى اعدى من الجرب * عند العرب *

﴿ وقال ابو تمام ﴾

لما رأت اختها بالامس قد خربت * كان الخراب لها اعدى من الجرب

﴿ وقال لبيد ﴾

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

فجعله رأس الادوآء * ووصفه بانه غاية البلاء * وانما ذكرت فيه ما ذكرت
لازيد سيدى فيه فى الهرب منه رغبة * وفى الصبر عليه زهادة * من الله تعالى
على سيدنا بالشفاء * وجعل عهده بهذا الدآء * آخر عهده بالادواء * انه
طبيب الاطبآء * وخالق الدآء والدوآء * وكاشف البلآء *

* * *

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وله الى قاضى الرى ابى الحسن الهمدانى ﴾

قد ملأت مسمع قاضى القضاة ايده الله تعالى بكتبى اليه فى الحاجات وانى لاعلم انى قد دللت عليه حتى املات * واوجفت حتى اجحفت * ولكنى اتطير بنعمة الله تعالى عليه من ان اعرضها لليأس منها * وانسى جوابها ابرد الناس عنها * والسلام

﴿ وله الى ابى المعالى وزير صاحب الجبل ﴾

وصل كتاب الشيخ بعد ان احتلمت به وسنان * وهذيت بذكره يقظان * فلما رأيته خررت له ساجدا * وشكرت الله تعالى باديا وعائدا * والحمد لله تعالى الذى ارانى محنة الشيخ قد ادبرت بقفا مبتور * ودولته قد اقبلت بوجه مسرور * وادال ايام سعده على ايام نحسه * وابعد ما بين الحوادث وبين نفسه وجعل يومه خيرا من امسه * وشر من المحنة كثرة الشامتين * وخير من انكشافها كثرة الشاكرين * فان الذى يشمت بالناس فى وقت الرحمة لئيم * وان الذى يثبت الناس على وده بعد العزل لكريم * والشيخ يحمد الله تعالى ومنه لما امتحن انطق الله تعالى بالدعاء له السنا * وابكى بالشفقة عليه اعينا * لا زال البكاء بعد هذا مقصورا على عيون اعدآءه فان اعدآء * الفاضل اعدآء فضله واضداده اضداد فعله * وكل امرئ صديق امثاله وشكله *

﴿ وله الى سعيد بن سمكة ﴾

نظرت الى ذنبى الذى استحققت به الهجران * وتقصيت طرق افعالى لاقف منها على الفعل الذى اوجب الحرمان * فوجدت نفسى قد كلفت الشيخ حوائج وحملت اليه بالغرائر الرسائل والسفاتج * ولو تركت مكاتبتى الى الشيخ نقية

الاطراف

Digitized by Birzeit University Library

الاطراف من وضر السؤال * خفيفة الاكناف من ثقل الادلال * لماتجلى على بالمقال * من لا يبخل على بالمال * وضايقنى فى العرض اليسير * من لايضايق فى الجوهر الكثير * ليزلنى الشيخ ايده الله تعالى من قلبه * حيث انزلتنى الثقة به وليضعنى من نفسه بحيث وضعنى الود منه * وليعلم انى سيفه الذى لايفله طول الضرب * ولا يمله مراس الحرب * واسانه الذى يذب عنه فى الملا * ويدعو له فى الخلا * واخوه الذى ان لم تصرفه اخوة الولاد * صرفته اخوة الوداد * ويجاوز ذلك الى المازجة والاتحاد * فلان قداستشارنى فى مشايخ تلك الحضرة فعرفته انهم بساط الشيخ صدره * وافق هو بدره * وان ماتفرق فيهم من الفضل ففيه متجمع * وعنه متفرع *

﴿ وله الى ابى نصر الميكالى يشكره على اصطناعه فقيها من تلامذته ﴾

ابلغ قتادة غير سائله * جزل العطاء وعاجل الشكم
انى شكرتك للعشيرة اذ * جائت اليك برقة العظم

المحمدة اطال الله تعالى بقاء الشيخ لذاتها حسنة * كما ان المذمة لنفسها قبيحة منقصة * والمحسن الى الناس كلهم حبيب * ومن القلوب كلها قريب * يمدحونه وان لم يحسن اليهم * ويشكرونه وان لم يفضل عليهم * كما ان المسئ فى النفوس صغير وان كثر مالا وحالا * وقبيح وان حسن زينا وجمالا * على هذا اسست البنية * وعليه وضعت الفطرة * وفيه اتفقت الخاصة والعامة * ثم ان الاحسان وان كان كله حسنا على طبقات * كما ان الاساءة سيئة وان كانت كلها على درجات * فمن اصاب بالاحسان بقعة لا يخلف شجرها * ولا يعرى ثمرها * واسداه الى كريم يرب الصنيعة بلسانه * ويخرج الاحسان فى موضع استحسانه فقد سددت رميته * واصبت رميته * وزكا صنعه * ونما ربعه * وما اعرف اهل بيت احسن لموضع الصنائع ارتيادا * واجود لاهلها انتقادا * واصوب

Digitized by Birzeit University Library

لها اصدارا وايرادا * من اهل بيت الشيخ ابقى الله تعالى مشايخهم وشبانهم
وجل بهم مكانهم وزمانهم * والشيخ بحمد الله تعالى على سبيلهم نهج
وعلى منوالهم نسج * فصنائعه فى قوالب الحمد والشكر * وعلى طريق الاجر
والذخر * لا يقع الا بين الشرف والثواب * ولا يوجد الا بين العلوم
والآداب * فهو ككافل الكريمة لا يزوجها حتى يستكرم صهرا * او يحكم
مهرا * او كبائع الجوهرة النفيسة لا يبرزها حتى يرى ثمنا * او يأمن غبنا *
والجواد محتكر بر * لا محتكر بر * والكريم تاجر جمان * وان لم يكن تاجر
مال * والحر وقاية الحر من قفره * وسلاحه على دهره * ولله تعالى بقايا
من عباده * فى بلاده * خلقهم ليعيش بهم العاسر * ويشد بازرهم الفاقر *
ويحيى بحياتهم المعالى والمآثر * فهم ملح الارض اذا فسدت * وعمارة الدنيا
اذا خربت * ومعرض الايام والليالى اذا حشدت * بلغنى ما صنعه الشيخ مع
فلان فما استكثرته قياسا على قدره العظيم * وبره الجسيم * ولم اتعجب من ولد
تقبل قبلة الوالد * ومن طريف نازع التالد * ومن غصن من اغصان
الشرف * نما على عرقه فى السلف * ومن نفس رضعت ثدى المكارم * وربيت فى
حجر الاكارم * فجرت على سنن اوائلها * واحيت فضائلهم بفضائلها * وانما
تعجبت من حسن ما تحرى الشيخ لمعروفه وارتاد * ومن صواب ما عزا واراد
فما اكثر من اخطأ بصنعه طريق المصنع * وخالف بزرعه موضع المزرع * وما
اكثر من يلد معروفه فلا ينجب مما ولد * ولا يبلغ به صاحب المقصد * وهذا
الفقيه بين نفس مقبلة * ودولة مقتبلة * يرمى به كماله ورآه ميلاده * ويسبق
فضله غايات آبائه وجداده * وللدهر فيه مقاصد * وللايام فيه مواعد *
ولله تعالى لطائف سيبلغ الكتاب منها اجله * ويكمل الاقبال فى تمامها عمله *
والحمد لله تعالى الذى جعل الشيخ ممن ابى عذره اصطناعه * واول من بسطت
يده ومد باعه * والحمد لله تعالى الذى جعل همم الشبان مصروفة الى افتراع
ابكار الجوارى * وهمة الشيخ مقصورة على افتراع ابكار المعالى * فالمصطنع
فى الرؤساء والامرآء * كالمصطنع فى العلماء والفقهاء * فسبحان من وفق بين
الشكلين * وزاوج بين المثلين * وجعل الصنيعة غضة طرية من جانبين *

و

Digitized by Birzeit University Library

وصيرها شابة من النشأتين هذا وقد نسج الشيخ الفقيه من شكر الشيخ طرازا لايبلى * واوقد من ذكره شهابا لايخفى * فملأ بقوله الاسماع والنواظر * بل القلوب والخواطر * بل الكتب والدفاتر * حتى لم يبق رئيس الا تمنى لو انه كان الصطنع * كما لم يبق فقيه الا تمنى انه كان المصطنع * وحتى قلنا

ما لقينا من احمد بن على * ترك الناس كلهم فقهاء
اونسينا ما لقينا من جود فضل بن يحيى * ترك الناس كلهم شعراء

لا زال الشيخ يستولى على امد كل غاية بفعله وقوله * وينفرد بحمى كل مكرمة بفضله وطوله * ولا زال يستبضع اليه الشكر من البلدان * فيشتريه باغلى الاثمان *

﴿ وكتب الى حاكم سرخس وقد اهدى اليه كتابا طلبه منه ﴾

تأخرت حاجة الحاكم وختم الله تعالى دولة الحمد بقضائها * ونبت عن طالبها فى اقتضائها * فكنت الخصم والحاكم * والمحاكم والمحاكم * وما ابطأ من اجدى * ولا اسرع من اكدى * وارتدت نسخة مقروءة قد عمل فيها القلم والبنان * واثر فيها التبيين و البيان * وسودت حواشيها * ولاحت مياسم التصفح فيها * ولم تكن فى حسن خط كاتبها * ولا جودة تجليد صاحبها * ولا استقامة حروفها * ولا تساوى جوانبها و حروفها * بعد ان سلمت من التحريف والتصحيف * ومن سقم الاشكال والحروف * فانما الكتاب الحسن ظاهرا السقيم باطنا مثل المرأة الحسناء العاهرة يسرك خلقها * ويسوءك خلقها * ومثل الروضة الغناء الوبيئة تحمدها العين ويذمها البطن وكانت تقع بيدى النسخة الاولى التى هى مائدة منقوشة ليس عليها دسم * وكيس مصرر ليس فيه درهم * وتقع الثانية خلافها كالعجوز المنتقبة * وكالقفل على الخربه * فانما هى كسوة عامى غبى * او مقبرة يهودى غنى * وتقع فى يدى الثالثة وهى اسم ولا جسم * ودعوى ولا علم * قد قرئت على متعالم غير عالم لا يدرى * ولا يدرى انه لا يدرى * فراؤها زاء * وميمها حاء * وطاؤها

Digitized by Birzeit University Library

ظاء * والنظر فيها يعمى * والاستدلال بها يعمى * ومن آفة العلم خيانه
الوراقين * وتخلف المعلمين * كما ان من آفات الدين * فسق المتكلمين وجهل
المتعبدين * وكما ان من آفات الدنيا كثرة العامه * وقلة الخاصه * وكما ان
من آفات الكرم ان الجود ضد المنع * والبخل سبب الجمع * وان المال فى ايدى
البخلاء * دون ايدى الاسخياء * وكما ان من آفات الحلم ان الحليم مأمون
الجنبه * وان السفيه منيع الحوزه * قاعد فى خفارة البذاء والسفاهة وكما ان من
آفات المال اذا صنته فقد عرضته للفساد * واذا ابرزته عرضته للنفاد * وكما ان
من آفات الشكر انك اذا قصرت عن غايته ذممت من اصطنعك * واذا بلغتها وابلغت
فيه اوهمت من سمعك * وكما ان من آفات الشراب انك اذا اقللت منه حاربت
شهوتك * ولم تقض نهمتك * واذا استكثرت اعترضت للاثم والعار * وابرزت
صفحتك للالم والخمار * وكما ان من آفات المماليك انك اذا باسطتهم افسدت
آدابهم واذهانهم * واذا قبضتهم افسدت وجوههم والوانهم * وكما ان من
آفات الاصدقاء انك اذا استكثرت منهم لزمتك مواجبهم * وثقلت عليك نوائبهم
وكسبت الاعداء من الاصدقاء * كما يكتسب الداء من الغذاء * وكما ان من آفات
المغنين ان الوسط منهم يميت الطرب * والحاذق ينسى الادب * وكما ان من آفات
النساء انهن اذا اكرمن قبح خلقهن * واذا اهن فسد خلقهن * فلما تمادت
مدة الاكداء * ولم اصل الى ما ينظم طرفى مرادى بهبة ولاشراء * نزلت على
حكم الامكان * وجريت فى التجوز على رسم الزمان * وحملت نسخة ان لم تكن
بتلك السليمه * فليست بتلك السقيمه * وانا اعتذر اليوم منها قولا * وغدا
فعلا * واحصل اخرى ولو بروحى ومهجتى * وبدنياى وآخرتى *

﴿ وكتب الى ابى بكر بن سمرد ﴾

انا مترجح بين ان اقر للشيخ بذنبى * واخبره بعيبى * وبين ان اسكت سكتة متجاهل
واصفح صفحة متغافل * وان كنت اعلم ان العفو الى المقر * اسرع منه الى
المصر * وان وضر الذنوب لايغسله الا الاقرار * ولايزيله الا الاعتذار * وقد

كان

Digitized by Birzeit University Library

كان فى حكم ما اولانيه من نعمه التى يفنى الابد ولاتفنى * ويخفى الصباح ولاتخفى ويبلى الجديدان ولا تبلى * وينسى القوم ولاتنسى * ان يكون لى عنده كل يوم فتح قاصد * بل رسول وارد * لابل كان ينبغى ان اجعل رسولى اليه الريح فانها اسرع * واكتب اليه فى الفلك فانه اوسع * ولا تطلع شمس الا وجنبها منى اليه كتاب * اما ابتداء و اما جواب * و لكن ابن آدم للنعمة كفور * وبالعهد غدور غافل عن غده ناس لامسه مرتهن بيومه و انى لاحسد كتابى اذا ورد ذلك الباب * ونزل ذلك الجناب * واود لوكنت سطرا فيه * او حاشية من حواشيه * والايام عندى اذا وصلتنى بالشيخ نعمة لا اسع عنهـا الثواب * ولها على اذا ابعدتنى جناية لا اقدر على كفائها من العقاب * وقـد كنت اعيب من الشعراء من مدح انسانا ثم هجاه * وانسبه الى ضعف المسكة والى وهن العزيمة وانحلال العقدة حتى بليت الآن بهجاء الدهر و طالما مدحته * ودفعت الى حربه و طالما صالحته * قد تعرفت للشيخ عوارف حيرتنى بين طيها و نشرها ورجحت بين تركها و ذكرها * فان ذكرتها قصر عنان الطاقة عن مقتضى حكم النية و ان تركت ذكرها لاحت على فعلى سمة الكفران * وعرفت بسوء مجازاة الاحسان * وحرمت نفسى ثمرة اللسان * فقد اسكت الشيخ لسانى من حيث انطقه * وحصر بنانى من حيث اطلقه * وعلى ذلك فقد اسمعت شكرى كل من له اذن * و اريت اثر صنيعته كل من له عين * حتى لقـد حسدنى عليه الاقارب * و تعرف الى فيه الاجانب * و هـابنى و رجانى منذ عرفته الحاضر و الغـائب * ثم لم يرض ان أحسن بى * حتى احسن الى من يرسل اليه بكتبى * فاضاف النعمة الاخرى الى الاولى * و عقب الصنيعة الكبرى بالصغرى * على ان اصغر صنائعه كبير * كما ان اكبر شكرى له صغير * ولكن الكبير من الكبير يصغر * كما ان الصغير من الصغير يكبر * فكيف اهلنى الشيخ لاحسانه ثانيا * ولم اقض حق احسانه باديا * وكيف حملنى النفل و قد تقاعدت عن اداء الفرض * و جمع على الكل و قد ضعفت عن البعض * و كيف نبع على بره من كل منبع و طلع الى السعد به من كل مطلع * و دب الى احسانه من كل مكمن وكان سبيلى

Digitized by Birzeit University Library

ان يستوفى على قبل ان اوفى وان احاسب على الحاصل الاول قبل ان يثنى
وان اعامل على قول الاول

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غرما على غرم

﴿ وكتب الى تلميذ له عن كتاب وقصيدة ﴾

وردت القصيدة الغراء * بل الدرة العذراء * بل الهدية العظيمة * بل الشمسة الكريمة * بل الياقوتة اليتيمة * بل فريدة الدر * بل غرة الغر * بل شمس الكرام * وغريبة الايام * بل الخطاب الجزل * والمنطق الفصل * بل الحسن والاحسان * بل التبيين والبيان * بل واحدة القصائد * وخاتمة القلائد * وآبدة الاوابد * بل اميرة النظم والنثر * بل ملكة الرجز والشعر * بل حسنة الالسن * ونزهة القلوب والاعين * بل بستان الافكار * وجلاء الابصار * بل روح المعانى والمبانى * وهيكل الاوزان والقوافى * بل عقيلة الدهر * ونادرة العصر * وغرة العمر * وبيضة العقر * وترياق القلب بل ملبسى تاج الفخر * ومورثى كنز الذخر * لا بل ليلة القدر * فانها خير من الف شهر * وهذه خير من الف بيت شعر * ولم اعن بيت الموزون * انما اردت البيت المسكون * فقتحت كتابها عن النور المنشور * وعن الديباج المنشور * وفليت معانيها عن روح البديع وقلبه * ومبانيها والفاظها عن حب الفصيح ولبه * ورددت طرفى منها فى روضة سقاها اللسان وعلها البنان * ونافس عليها زمانها الازمان * ولم يبق فيها بيت الا رويته * ولا فصل الا حكيته * ولا لفظ الا كررته وثنيته * ووددت لو كانت اعضائى كلها للنظر اجفانا * ولاستماعها آذانا * ولتناولها وجسها ايديا وبنانا * بل لو كان الحرف منها سطرا * والكلمة من كلماتها عشرا * فيمتد نفس استيفائها روية ورويه * ويعظم حجم استقصائها فهما ودرايه * وغرت عليها من هذا الزمان الذى لا يستحق ان يكون له ولد نجيب * ولا يقتضى ان ينبغ فيه عالم ولا اديب * ثم رجعت الى الحقائق فعلمت ان الانسان ابن امه وابيه * لا ابن ايامه
وليالية

Digitized by Birzeit University Library

وليالیه * وان قول الناس ابناء الدهر لفظ مجازی * ومعنی اصطلاحی * وقد نجانی فیها من هذا الفضل ما ان طولبت بجدواه * لم اخرج من عهدة دعواه * فان تکن تلك شهادة منك استفتیها * وسلعة جازفت لی فیها * فقد یسامح الکریم اخاه * ویحابی الحر من بایعه وشاراه * وان کنت تظن فی هذا الفضل فاسأل الله تعالی ان لایجمع بیننا فانك ان شاهدتنی رجعت عن ظنك * ورددت بعینك حکم اذنك * وانا المعیدی وان لم یکن لی فی العرب نسب * ولا بینی وبین معد قرابة ولا سبب *

﴿ وکتب الی ابی الفرج خلیفة الوزیر بنیسابور ﴾

فهمت ما ذکره الشیخ فی کتابه * وجعلت قبولی عظته بدلا من جوابه * ذکر الشیخ انی لو اقتصرت علی خدمة الامیر * وعلی منادمة الوزیر * لمالت الصروف عن جانبی ناکبه * وولت الخطوب عنی هاربه * ولو لم انتجع غیر نیسابور بلدا * ولا غیر من بها احدا * لعشت معهم عیشة رغدا * وجواب الشیخ تحت قول الاول *

فبالخیر لا بالشر فاطلب مودتی * وای فتی یقتال منه الترهب

مثلی ایده الله تعالی الشیخ لایحمل علی الخدمة بالتقریع والتثریب * ولا بالتهدید والترهیب * ولاتحتلب اخلاف مودته بالاذلال * ولایدرك مصون ما عنده بالامتهان والابتذال * وانما یحبس مثلی بالرغبه * ویقید بقید من الذهب والفضه ویرضی منه بالحیاء والوفاء کفیلین * وبالشکر والتذمم ضمینین * وانما الحر زجاج رقیق ثمین اذا رفق به واستعمل فی موضع مثله زین المجالس * وامتع المجالس * وکان مالا الا انه جمال * وجمالا الا انه مال * واذا خرق به انکسر فعقر الکاسر * واتعب الجابر * وغم السامع والناظر * وکان ینبغی لاصحابنا ان یقتصونی بحبالة الاحسان والبر * ویرتبطونی بحبال الحفاظ والشکر * ویعلموا ان البازی العتیق لا یصبر علی الاضاعه * ولایقیم فی بیت المجاعه * ومن اصطنع

اليوم شكر غدا * ومن وجد الاحسان قيدا تقيد * ولكن كيف يصون الادب مغرم * ولم يؤد عنه الى المؤدب درهم * وكيف يخالف الانسان مقتضى نسبته * ويطيب الثمر مع خبث تربته * هيهات ان الفرس الجواد يجرى على عتقه * وان الفرع ينزع الى عرقه *

وان مقامى حيث خيمت محنة * تدل على فهم الكرام الاجاود

ولكن جزى الله اصحابنا عن تعليمهم خيرا * فقد تحولت شكايتى لهم شكرا * وذلك انهم عرفونى بمقادير الكرام * وقاموا فى تأديبى مقام تصاريف الايام * ودبغتنى بهم التجارب * وراضتنى بايديهم النوائب * ولاحت لى ببركاتهم الغيوب والعواقب * فانا تلميذهم فى اتمام الايام * وخريجهم فى معرفة احوال الانام * والمستفيد فيهم وبهم معرفة سياقة ما بين الفعل والكلام فكيف لا اشكر قوما افادونى عقلا * وان لم يفيدونى نيلا * وزادونى ادبا * وان لم يزيدونى نشبا * وعهدى وانا بالعراق مفيد * فاصبحت وانا بخراسان مستفيد * وهذه الزيادة من عطايا هذه الحضرة وهذه النادرة التى توجهت الى من بركات هذه الدولة والسلام

﴿ وكتب الى كثير بن احمد لما هرب الى الرى ﴾

ورد على كتاب الشيخ وفهمته * والمواعيد التى اراد الشيخ ان يسحرنى برقاها * ويخدعنى عن بواطن عيوبها بظواهر حلاها * فقد طلبت عنها ثوابا * ولها جوابا * فلم اجد غير قول عبيد

لا اعرفنك بعد الموت تندبنى * وفى حياتى ما زودتنى زادا

انا ايد الله الشيخ رجل قد اخترت نيسابور دارا * واخترت سلطانها من الملوك جارا * حتى جعلتها بيتا اعمره * والدنيا جسرا اعبره * لآمن بها على مالى وولدى بعد مماتى * ولا اخاف بها على روحى وعرضى فى حياتى * ولو علمت انى اسام خدمة من ليس له اثر على * واصادر على نعمة لم تصل الى * لفارقت

دار

دار الهوان * ولكان جناحى وافر الطيران * ذكر انه تلطف بالامير حتى سل منه السخيمه * وحمله على ان اغتفر الجريمه * وما عرفت لى جرما يحتمل معذره * او ذنبا يستوجب مغفره * فان كان الامير غفر لى ما سأجنيه من السيئات * فهلا شكرنى على ماساتيه من الحسنات * وكيف استخار السلف فيما يتعلق بالعقوبه * ولم يستخره فيما يتعلق بالمثوبه * فان كان مراده ان اقر على نفسى بذنب ما اتيته والتزم بشكر جميل ما اوتيته * فهذه صدقة قد سامنيها والصدقة لاتحل من الفقراء الى الاغنياء * ولا يحسن بالامراء قبولها من الشعراء * وان كان يريد ان يتوصل بهذا الى اجتناء ثمرات اللسان * ويحب ان يسير ذكره فى اثناء هذه المعانى الحسان *

فالناس اكيس من ان يحمدوا رجلا * ما لم يروا عنده آثار احسان

وانما لسانى خادم من خدم فؤادى * ومتصرف من متصرفى مرادى * فكيف يفتات على بشكر غيره * وكيف يجود بما هو متصرف فيه لغيره * وانما لسان الشاعر روضة لاتسلف الزهر * حتى تستسلف المطر * ولاتضحك فى وجه السماء * الا بعد ان تستوفى حقها من الانداء * وان كان الشيخ يرضى بعد هذا كله بظاهر اعتذارى * فقد خرجت اليه من عهدة اضمارى * وانا اقر بذنوب العالمين * حتى بذنب ابليس فى الاولين * وحتى بذنب هاروت وماروت فى المتقدمين * والتزم كل المعايب حتى معايب بنى اميه * ومعايب بغلة ابى دلامه واقول قد ادبنى الليل والنهار * وثقفتنى الاحوال والاطوار * فابصرت قصدى * وتبينت رشدى * فليلبسنى الامير برضاه عنى ثوب العزه * كما البسنى بغضبه على ثوب الذله * وليجعلنى عبدا اعوج فقوم * وجهل فعلم * فلما عرف نفسه * وتلافى يومه امسه * رد عليه مكانه * ورجع اليه زمانه * فادعى ان النابغة الذبيانى ما اعتذر الاعنى * ولم يك لسانه الا بضعة منى * وانتحل قول على بن الجهم

ليس عندى وان تغضبت الا * طاعة حرة وقلب سليم
وانتظار الرضا فان رضا السيا * دات عفو وعتبهم تقويم

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وكتب الى رئيس قم ﴾

بسطنى الشيخ ثم انقبض عنى * ودعانى ثم هرب منى * وكان وليس له مثل
الاكن خطب الى حر كريمته فلما زفها اليه اغلق عنها بابه * وارخى دونها
حجابه * فعرض الصهر للهجنه * والعروس للتهمه * ولعلى اتيت منى *
واصبت الشيخ بعينى * لما رأيته قد احيا مواتا من الود * وسبق الى باكورة
من كرم العهد * وقد ثبت من ان انظر الى اصدقائى بعين العجب بهم *
وارمقهم بما يدعونى الى الحب لهم * لابل سأتعامى عن محاسنهم ان رأيتها *
واتغابى عنها وان دريتها * ان شاء الله تعالى

﴿ وكتب الى مؤدب امير خوزستان ﴾

ذكر الشيخ من غمه بغيبتى فيما كان * وفرحه باوبتى الآن * ما قلبى عليه
شاهد * وعلى الشهادة زائد * لانه لا يمين على شاهد * وانا احلف على
هذه الشهاده * فاكون قد وفيت بما وعدته من الزياده * ولقد رأيت الاخوان
غير شيخى ومودتهم خلق يبيعونه ممن اشتراه * ويعرضونه على كل من رآه *
ومهر هذه الحال قلبى فقد احتوى عليه * وودى فقد تمسك بطرفيه *
والاحرار تستعبد بالاحسان * من حيث تستعبد المماليك باغلى الاثمان *
على ان المملوك يعتق بلفظه * ويباع فى صفقة ويزول عنه الرق فى لحظه *
والحر لا تزيده الايام الا رقا لمن اصطنعه * وتواضعا لمن رفعه * ولقد عجبت
من محاسبة الشيخ نفسه عن اصدقائه * ومؤاخذته قلبه بشرائط وفائه * مع
انه فى زمان قد مرجت فيه عهود الاخوان * واعطوا واخذوا اموالهم
بالميزان * ومالوا مع الرجحان على النقصان * ورضوا من القلب باللسان *
ومن الغيب بالعيان * واذا تبين التاجر كساد السلعه * تجوز فى الصنعه *
واذا قل المتاع * فتر البياع * والحمد لله الذى رزقنى من شيخى صديقا
يتجمل بقربه * ويوثق بغيبه * ولا يخاف الغير من لسانه ويده * فلا سلبت

هذه

Digitized by Birzeit University Library

هذه النعمى * و لا حوسبت على هذه الموهبة العظمى * فان الايام قلما رأت يدى علقا نفيسا الا سلبتنى * و قلما اعطتنى مما احب شيئا الا حاسبتنى * حتى انى او صادفت الهوآء لجعلته حمى لا يطال جانبه * و لو اختصصت بالماء لصيرته منبعا لا يروى شاربه * فاما الناس فما احصى فيهم عددا ممن ابتعته فباعنى * و حفظته فاضاعنى * و استعنت به على الزمان فاعانه على * و استظهرت بمكانه على الاعداء فكان مقدمهم الى * اللهم نفق سوق الوفاء فقد كسدت * و اصلح قلوب الناس فقد فسدت * و لا تمتنى حتى يبور الجهل * كما بار العقل * و يموت النقص كما مات الفضل *

﴿ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى ﴾

بشرنى كتاب الشيخ من سلامته ببشارة صغرت عندى البشائر * و فاتت النظائر * و ملأت المسامع و النواظر * فلا زالت امداد صنع الله تعالى له متناسقة * و الايام له بما يهوى موافقة * و جعل الله تعالى تلك العثرة غلطة تاب الدهر منها * و خطيئة انكرها و رجع عنها * فان الشيخ يحسن فى لباس النعمة * و يقبح فى زى المحنة * و ان غيره اذا لبس النعمة كانت عليه اجنبية و يعلم انه اخذها عارية اليسير الذى رسم لى الشيخ به حملت اليه جملته و لو اخذنى فيما اخذه منى لاستقلاته له و استصغرته دونه والذى ارجع اليه فهو مقسوم بينه و بينى * فان اذن فهوله دونى * حملت الى الخزانة نسخة رسائلى فنصفها مصحف * و نصفها محرف * و الكلام الوسط بالخط الوسط كالعجوز السوداء تجلى على العيون فينضاف قبح الجلوة * الى قبح الكسوة * و تغطى على ظلمة الدواء * ظلمة الوعاء * و تتضاعف السماجة ضعفين * و تقذى العين من لونين * فيصير القلب اسير العين * بلغنى ان الشيخ قد اغتم لما ندب العمل يصغر فيه و يكبر عنه فانكرت ذلك من فعله * و كتبته فى هفوات عقله * العمل ايد الله تعالى الشيخ ثوب يحسن بصاحبه * و مركب يجل براكبه * فالصغير منه بالكبير كبير * و الكبير منه بالصغير صغير * وكأنى بالتمييز وقد

Digitized by Birzeit University Library

نبع منه نابع * و بدولة الانتقاد و قد طلع من سعودها طالع * و برجالات الحضرة و قد تذاكروا مظان الآجال * و مساقط الرجال * فعثروا باسم الشيخ فردوا عليه رتبته * و قوموه قيمته * و جاء الدهر يعترف بما اقترف * ويأتنف خلاف ما سلف * و انما خدمة السلطان نار * بينما هى شرار * اذ ملأت دارا * و احرقت اوقارا * و صيرت الليل نهارا * و لا صغير من الولاية كما لا كبير من العطلة و السلام

﴿وكتب الى جماعة الشيعة بنيسابور لما قصدهم محمد بن ابراهيم واليها﴾

سمعت ارشد الله سعيكم * و جمع على التقوى امركم * ما تكلم به السلطان الذى لا يتحامل الا على العدل * و لا يميل الا على جانب الفضل * و لا يبالى بان يمزق دينه اذا رفا دنياه * و لا يفكر فى ان لا يقدم رضا الله اذا وجد رضاه و انتم و نحن اصلحنا الله و اياكم عصابة لم يرض الله لنا الدنيا فذخرنا للدار الاخرى و رغب بنا عن ثواب العاجل * فاعد لنا ثواب الآجل * و قسمنا قسمين قسما مات شهيدا * وقسما عاش شريدا * فالحى يحسد الميت على ما صار اليه * و لا يرغب بنفسه عما جرى اليه * قال امير المؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام المحن الى شيعتنا اسرع من الماء الى الحدور و هذه مقالة اسست على المحن * وولد اهلها فى طالع الهزاهز و الفتن * فحياة اهلها نغص * و قلوبهم حشوها غصص * و الايام عليهم متحاملة * و الدنيا عنهم مائلة * فاذا كنا شيعة ائمتنا فى الفرائض و السنن * ومتبعى آثارهم فى كل قبيح وحسن فينبغى ان نتبع آثارهم فى المحن * غصبت سيدتنا فاطمة صلوات الله عليها و على آلها ميراث ابيها صلوات الله عليه و على آله يوم السقيفة وآخر امير المؤمنين عن الخلافة و سم الحسن رضى الله عنه سرا * و قتل اخوه كرم الله وجهه جهرا * وصلب زيد بن على بالكناسة و قطع رأس زيد بن على فى المعركة و قتل ابناه محمد و ابراهيم على يد عيسى بن موسى العباسى و مات موسى ابن جعفر فى حبس هرون وسم على بن موسى بيد المأمون و هزم ادريس بفخ

حتى

Digitized by Birzeit University Library

حتى وقع الى الاندلس فريدا * ومات عيسى بن زيد طريدا شريدا * وقتل يحيى بن عبد الله بعد الامان والايمان * وبعد تاكيد العهود والضمان * هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان * وغير قتل محمد بن زيد والحسن ابن القاسم الداعى على ايدى آل ساسان * وغير ما صنعه ابو الساج (كذا) فى علوية المدينة حملهم بلاغطاء ولا وطاء من الحجاز الى سامرا وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلى لابن عمر بن على حين اخذه بأبويه وقد ستر نفسه * ووارى شخصه * يصانع عن حياته * ويدافع عن وفاته * ولا كما فعله الحسين بن اسمعيل الصعبى بيحيى بن عمر الزيدى خاصة * وما فعله مزاحم بن خاقان بعلوية الكوفة كافة * وبحسبكم انه ليست فى بيضة الاسلام بلدة الا وفيها لقتيل طالبى ترة تشارك فى قتلهم الاموى والعباسى * واطبق عليهم العدنانى والقحطانى *

فليس حى من الاحياء نعرفه * من ذى يمان ولا بكر ولا مضر
الا وهم شركاء فى دمائهم * كما تشارك ايسار على جزر

فادتهم الحمية الى المنية * وكرهوا عيش الذلة فاثروا موت العزة * ووثقوا بمالهم فى الدار الباقية * فسخت نفوسهم عن هذه الفانية * ثم لم يشربوا كاسا من الموت الا شربها شيعتهم واولياؤهم * ولا قاسوا لونا من الشدائد الا قاساه انصارهم واتباعهم * داس عثمان بن عفان بطن عمار بن ياسر بالمدينة ونفى ابا ذر الغفارى الى الربذة واشخص عامر بن عبد قيس التميمى * وغرب الاشتر النخعى * وعدى ابن حاتم الطائى * وسير عمر بن زرارة الى الشام ونفى كميل بن زياد الى العراق وجفا ابى بن كعب واقصاه * وعادى محمد بن حذيفة وناواه * وعمل فى دم محمد ابن سالم ما عمل * وفعل مع كعب ذى الخطبة ما فعل * واتبعه فى سيرته بنو امية يقتلون من حاربهم * ويغدرون بمن سالمهم * لا يحفلون المهاجرى * ولا يصونون الانصارى * ولا يخافون الله ولا يحتشمون الناس قد اتخذوا عباد الله خولا * ومال الله دولا * يهدمون الكعبة * ويستعبدون الصحابة * ويعطلون الصلاة الموقوتة ويختمون اعناق الاحرار * ويسيرون فى حرم المسلمين سيرتهم فى حرم الكفار * واذا فسق الاموى فلم يأت بالضلالة * عن كلالة * قتل معاوية حجر بن عدى الكندى * وعمرو بن الحمق الخزاعى بعد

Digitized by Birzeit University Library

الايمان المؤكدة والمواثيق المغلظة و قتل زياد بن سمية الالوف من شيعة الكوفة و شيعة البصرة صبرا * و اوسعهم حبسا و اسرا * حتى قبض الله معاوية على اسوأ اعماله * وختم عمره بشر احواله * فاتبعه ابنه يجهز على جرحاه و يقتل ابناء قتلاه * الى ان قتل هانئ بن عروة المرادى و مسلم بن عقيل الهاشمى اولا وعقب بالحرث بن زياد الرياحى * و بابى موسى عمرو بن فرطة الانصارى * و حبيب بن مظهر الاسدى * وسعيد بن عبد الله الحنفى * و نافع بن هلال الجملى * و حنظلة بن اسعد الشامى * و عابس بن ابى شبيب الشاكرى * فى نيف و سبعين من جماعة شيعة و امر بالحسين عليه السلام يوم كربلا ثانيا ثم سلط عليهم الدعى ابن الدعى عبيد الله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل * و يقتلهم الوان القتل * حتى اجتث الله دابره ثقيل الظهر بدمائهم التى سفك * عظيم التبعة بحريمهم الذى انتهك * فانتبهت لنصرة اهل البيت طائفة اراد الله ان يخرجهم من عهدة ما صنعوا و يغسل عنهم و ضر ما اجترحوا فصمدوا صمد الفئة الباغية * و طلبوا بدم الشهيد الدعى ابن الزانية * لا يزيدهم قلة عددهم * وانقطاع مددهم * وكثرة سواد اهل الكوفة بازائهم الا اقداما على القتل و القتال * و سخاء بالنفوس و الاموال * حتى قتل سلمان بن صرد الخزاعى والمسيب بن نجبة الفزارى و عبد الله بن وال التيمى فى رجال من خيار المؤمنين * و علية التابعين * و مصابيح الانام * و فرسان الاسلام * ثم تسلط ابن الزبير على الحجاز و العراق فقتل المختار * بعد ان شفى الاوتار * و ادرك الثار * و افنى الاشرار * وطلب بدم المظلوم الغريب فقتل قاتله * و نفى خاذله * و اتبعوه ابا عمر بن كيسان و احمر بن شميط و رفاعة بن يزيد و السائب بن مالك و عبد الله بن كامل و تلقطوا بقايا الشيعة يمثلون بهم كل مثلة * و يقتلونهم شر قتلة * حتى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد * و اراح من اخيه مصعب العباد * فقتلهما عبد الملك بن مروان كذلك تولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون بعد ما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية واراد احراقه * و نفى عبد الله بن العباس و اكثر ارهاقه * فلما خلت البلاد لآل مروان سلطوا الحجاج على الحجازيين * ثم على العراقيين *

فتلعب

Digitized by Birzeit University Library

فتلعب بالهاشميين و اخاف الفاطميين * و قتل شيعة على و محا آثار بيت النبى وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعى * واتصل البلاء مدة ملك المروانية الى الايام العباسية حتى اذا اراد الله ان يختم مدتهم بأكثر آثامهم * و يجعل اعظم ذنوبهم فى آخر ايامهم * بعث على بقية الحق المهمل * و الدين المعطل * زيد ابن على فخذله منافقوا اهل العراق و قتله احزاب اهل الشام و قتل معه من شيعته نصر بن خزيمة الاسدى * و معاوية بن اسحق الانصارى * و جماعة من شايعه و تابعه وحتى من زوجه و اداناه وحتى من كله و ماشاه * فلما انتهكوا ذلك الحريم * و اقترفوا ذلك الاثم العظيم * غضب الله عليهم * و انتزع الملك منهم * فبعث عليهم ابا مجرم * لا ابا مسلم * فنظر لا نظر الله اليه الى صلابة العلوية و الى لين العباسية فترك تقاه * واتبع هواه * و باع آخرته بدنياه * و افتتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب و سلط طواغيت خراسان * و خوارج سجستان * و اكراد اصفهان على آل ابى طالب يقتلهم تحت كل حجر و مدر و يطلبهم فى كل سهل و جبل حتى سلط عليه * احب الناس اليه * فقتله كما قتل الناس فى طاعته * واخذه بما اخذ الناس فى بيعته * و لم ينفعه ان اسخط الله برضاه * و ان ركب مالا يهواه * و خلت من الدوانيق الدنيا فخبط فيها عسفا * و تقضى فيها جورا و حيفا * الى ان مات وقد امتلأت سجونه باهل بيت الرسالة و معدن الطيب و الطهارة قد تتبع غائبهم و تلقط حاضرهم * حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبدالله الحسنى بالسند على يد عمر بن هشام بن عمر التغلبى فا ظنك بمن قرب متناوله عليه * ولان مسه على يديه * و هذا قليل فى جنب ما قتله هرون منهم * و فعله موسى قبله بهم * فقد عرفتم ما توجه على الحسن بن على بفخ من موسى و ما اتفق على على بن الافطس الحسنى من هارون و ما جرى على احمد بن على الزيدى و على القاسم بن على الحسنى من حبسه و على ابن غسان حاضر الخزاعى حين اخذ من قبله و الجملة ان هرون مات وقد حصد شجرة النبوة و اقتلع غرس الامامة و انتم اصلحكم الله اعظم نصيبا فى الدين من الاعمش فقد شتموه * و من شريك فقد عزلوه *

Digitized by Birzeit University Library

و من هشام بن الحكم فقد اخافوه * و من على بن يقطين فقد اتهموه * فاما
فى الصدر الاول فقد قتل زيد بن صرحان العبدى * و عوقب عثمان بن حنيف
الانصارى * و خفى حارثة بن قدامة السعدى * و جندب بن زهير الازدى *
و شريح بن هانئ المرادى * و مالك بن كعب الارحبى * و معقل بن قيس
الرياحى * و الحرث الاعور الهمدانى * و ابو الطفيل الكنانى * و ما فيهم
الا من خر على وجهه قتيلا * او عاش فى بيته ذليلا * يسمع شتمة الوصى فلا
ينكر * و يرى قتلة الاوصياء و اولادهم فلا يغير * و لايخفى عليكم حرج عامتهم
و حيرتهم بجابر الجعفى * وكرشيد الهجرى و كزرارة بن اعين و كفلان و ابى فلان
ليس الا انهم رحمهم الله كانوا يتولون اولياء الله * و يتبرؤن من اعداء الله *
و كفى به جرما عظيما عندهم * و عيبا كبيرا بينهم * و قل فى بنى العباس فانك
ستجد بحمد الله تعالى مقالا * و جل فى عجائبهم فانك ترى ما شئت مجالا * يجبى
فيؤهم فيفرق على الديلمى و التركى * و يحمل الى المغربى و الفرغانى * و يموت
امام من ائمة الهدى و سيد من سادات بيت المصطفى فلا تتبع جنازته * و لا
تخصص مقبرته * و يموت ضراط لهم او لاعب * او مسخرة او ضارب * فتحضر
جنازاته العدول و القضاء * و يعمر مسجد التعزية عنه القواد و الولاه * و يسلم فيهم
من يعرفونه دهريا او سوفسطائيا و لايتعرضون لمن يدرس كتابا فلسفيا و مانويا
و يقتلون من عرفوه شيعيا * و يسفكون دم من سمى ابنه عليا * و لو لم
يقتل من شيعة اهل البيت غير المعلى بن حنيش قتيل داود بن على و لو لم يحبس
فيهم غير ابى تراب المروزى لكان ذلك جرحا لا يبرأ * و نائرة لا تطفأ *
و صدعا لايلتئم * و جرحا لايلتحم * و كفاهم ان شعراء قريش قالوا فى الجاهلية
اشعارا يهجون بها امير المؤمنين عليه السلام و يعارضون فيها اشعار المسلمين
فحملت اشعارهم * ودونت اخبارهم * و رواها الرواة مثل الواقدى ووهب بن منبه
التميمى و مثل الكلبى و الشرقى بن القطامى و الهيثم بن عدى وداب بن الكنانى
و ان بعض شعراء الشيعة يتكلم فى ذكر مناقب الوصى بل فى ذكر معجزات
النبى صلى الله عليه و سلم فيقطع لسانه * و يمزق ديوانه * كما فعل بعبد
الله بن عمار البرقى * و كما اريد بالكميت بن زيد الاسدى * و كما نبش
قبر منصور بن الزبرقان النمرى * و كما دمر على دعبل بن على الخزاعى * مع

رفقتهم

رفقتهم من مروان بن ابى حفصة اليمامى ومن على بن الجهم الشامى
ليس الا لغلوهما فى النصب * واستيجابهما مقت الرب * حتى ان هرون ابن
الخيزران * وجعفرا المتوكل على الشيطان لا على الرحمن * كانا لا يعطيان مالا
ولا يبذلان نوالا * الا لمن شتم آل ابى طالب * ونصر مذهب النواصب * مثل
عبدالله بن مصعب الزبيرى ووهب بن وهب البخترى ومن الشعراء مثل
مروان بن ابى حفصة الاموى ومن الادباء مثل عبد الملك بن قريب الاصمعى
فاما فى ايام جعفر فمثل بكار بن عبد الله الزبيرى وابى السمط بن ابى الجون
الاموى وابن ابى الشوارب العيشمى ونحن ارشدكم الله قد تمسكنا بالعروة
الوثقى وآثرنا الدين على الدنيا وليس يزيدنا بصيرة زيادة من زاد فينا * وان يحل
لنا عقيدة نقصان من نقص منا * فان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ
كلمة من الله * ووصية من رسول الله * يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين ومع اليوم غد * وبعد السبت احد * قال عمار بن ياسر رضى الله عنه
يوم صفين لو ضربونا حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل
ولقد هزم رسول الله صلوات الله عليه ثم هزم * ولقد تأخر امر الاسلام ثم تقدم *
ألم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولولا محنة المؤمنين
وفتنهم * ودولة الكافرين وكثرتهم * لما امتلأت جهنم حتى تقول هل
من مزيد ولما قال الله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون ولما تبين الجزوع من
الصبور * ولا عرف الشكور من الكفور * ولما استحق المطيع الاجر *
ولا احتقب العاصى الوزر * فان اصابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه * وان رجعت
لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه * وعندنا بحمدالله تعالى لكل حالة آلة * ولكل
مقامة مقالة * فعند المحن الصبر * وعند النعم الشكر * ولقد شتم امير المؤمنين
عليه السلام على المنابر الف شهر * فما شككنا فى وصيته * وكذب محمد صلى
الله عليه وسلم بضع عشرة سنة فما اتهمناه فى نبوته * وعاش ابليس مدة تزيد على
المدد فلم نرتب فى لعنته * وابتلينا بفترة الحق ونحن مستيقنون بدولته * ودفعنا
الى قتل الامام بعد الامام والرضا بعد الرضا ولا مرية عندنا فى صحة امامته * وكان
وعد الله مفعولا * وكان امر الله قدرا مقدورا * كلا سوف تعلمون * ثم كلا

Digitized by Birzeit University Library

سوف تعلمون * و سيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون * و لتعلمن نبأه بعد حين
اعلموا رحمكم الله ان بنى امية الشجرة الملعونة فى القرآن * و اتباع الطاغوت
و الشيطان * جهدوا فى دفن محاسن الوصى و استأجروا من كذب فى الاحاديث
على النبى صلى الله عليه وسلم و حولوا الجوار الى بيت المقدس عن المدينة
و الخلافة زعموا الى دمشق عن الكوفة و بذلوا فى طمس هذا الامر الاموال *
و قلدوا عليه الاعمال * و اصطنعوا فيه الرجال * فما قدروا على دفن حديث
من احاديث رسول الله صلى الله عليه و على آله و لا على تحريف آية من كتاب
الله تعالى و لا على دس احد من اعداء الله فى اولياء الله و لقد كان ينادى على
رؤسهم بفضائل العترة و يبكت بعضهم بعضا بالدليل و الحجة لا تنفع فى ذلك
هيبة * و لا يمنع منه رغبة و لا رهبة * و الحق عزيز و ان استذل اهله *
و كثير و ان قل حزبه * و الباطل ذليل و ان رصع بالشبهة و قبيح و ان غطى
وجهه بكل مليح قال عبد الرحمن بن الحكم و هو من انفس بنى امية

سمية امسى نسلها عدد الحصا * و بنت رسول الله ليس لها نسل

﴿ غيره ﴾

لعن الله من يسب عليا * و حسينا من سوقة و امام

و قال ابو دهبل الجمحى فى حق سلطان بنى امية و ولاية آل بنى سفيان

تبيت السكارى من امية نوما * و بالطف قتلى ما ينام حميها

﴿ و قال سليمان بن قتة ﴾

و ان قتيل الطف من آل هاشم * اذل رقاب المسلمين فذلت

و قال الكميت بن زيد و هو جار خالد بن عبد الله القسرى

فقل لبنى امية حيث حلوا * و ان خفت المهند و القطيعا
اجاع الله من اشبعتموه * و اشبع من بجوركم اجيعا

و ما هذا باعجب من صياح شعراء بنى العباس على رؤسهم بالحق و ان كرهوه
و بتفضيل من نقصوه و قتلوه قال المنصور بن الزبرقان على بساط هرون

آل

آل النبى ومن يحبهم * يتطامنون مخافة القتل
ومن النصارى واليهود وهم * من امة التوحيد فى ازل

وقال دعبل بن على وهو صنيعة بنى العباس وشاعرهم

ألم ترانى مذ ثمانين حجة * اروح واغدو دائم الحسرات
ارى فيأهم فى غيرهم متقسما * وايديهم من فيئهم صفرات

وقال على بن العباس الرومى وهو مولى المعتصم

تأليت ان لا يبرح المرء منكم * يتل على حر الجبين فيعفج
كذالك بنو العباس تصبر منكم * ويصبر للسيف الكمى المدجج
لكل اوان للنبى محمد * قتيل زكى بالدماء مضرج

وقال ابراهيم بن العباس الصولى وهو كاتب القوم وعاملهم فى الرضا لما قربه المأمون

يمن عليكم باموالكم * وتعطون من مائة واحدا

وكيف لاينتقصون قوما يقتلون بنى عمهم جوعا وسغبا * ويملأون ديار الترك والديلم فضة وذهبا * يستنصرون المغربى والفرغانى * ويجفون المهاجرى والانصارى * ويولون انبساط السواد وزارتهم * وقلف العجم والظماطم قيادتهم * ويمنعون آل ابى طالب ميراث امهم وفئ جدهم يشتهى العلوى الاكلة فيحرمها * ويقترح على الايام الشهوة فلا يطعمها * وخراج مصر والاهواز * وصدقات الحرمين والحجاز * تصرف الى ابن ابى مريم المدينى والى ابراهيم الموصلى وابن جامع السهمى والى زلزل الضارب وبرصوما الزامر واقطاع بختيشوع النصرانى قوت اهل بلد وجارى بغا التركى والافشين الاشروسنى كفاية امة ذات عدد والمتوكل زعموا يتسرى باثنى عشر الف سرية * والسيد من سادات اهل البيت يتعفف بزنجية اوسندية * وصفوة مال الخراج مقصور على ارزاق الصفاعنة * وعلى موائد المخانثة * وعلى طعمة الكلابين * ورسوم القرادين * وعلى مخارق وعلوية المغنى وعلى زرزر وعمر بن بانة الملهى ويبخلون على الفاطمى باكلة اوشربة * ويصارفونه

Digitized by Birzeit University Library

على دانق و حبة * و يشترون العوادة بالبدر * و يجرون لها ما يفى برزق عسكر * و القوم الذين احل لهم الخمس و حرمت عليهم الصدقة و فرضت لهم الكرامة و المحبة يتكففون ضرا * و يهلكون فقرا * و يرهن احدهم سيفه * و يبيع ثوبه * و ينظر الى فيئه بعين مريضة * و يتشدد على دهره بنفس ضعيفة * ليس له ذنب الا ان جده النبى و ابوه الوصى و امه فاطمة و جدته خديجة و مذهبه الايمان * و امامه القرآن * و حقوقه مصروفة الى القهرمانة و المضرطة * و الى المغمزة و الى المزررة * و خمسه مقسوم على نقار الديكة الدمية و القردة * و على عرس اللعبة و اللعبة * و على مريه الرحلة * و ماذا اقول فى قوم حملوا الوحوش على النساء المسلمات * و اجروا لعباده و ذويه الجرايات * و خرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان * و نفوا زواره الى البلدان * و ما اصف من قوم هم نطف السكارى فى ارحام القيان * و ماذا يقال فى اهل بيت منهم نبغ البغا و فيهم راح التخنيث و غدا و بهم عرف اللواط كان ابراهيم بن المهدى مغنيا و كان المتوكل مؤنثا موضعا و كان المعتز مخنثا و كان ابن زبيدة معتوها مفركا و قتل المأمون اخاه * و قتل المنتصر اباه * و سم موسى ابن المهدى امه * و سم المعتضد عمه * و لقد كانت فى بنى امية مخازى تذكر * و معايب تؤثر * كان معاوية قاتل الصحابة و التابعين * و امه آكلة اكباد الشهداء الطاهرين * و ابنه يزيد القرود * مربى الفهود * و هادم الكعبة و منهب المدينة و قاتل العترة * و صاحب يوم الحرة * و كان مروان الوزغ ابن الوزغ لعن النبى صلى الله عليه و على آله اباه و هو فى صلبه * فلحقته لعنة الله ربه * و كان عبد الملك صاحب الخطيئة التى طبقت الارض و شملت * و هى توليته الحجاج بن يوسف الثقفى فاتك العباد * و قاتل العباد * و مبيد الاوتاد * و مخرب البلاد * و خبيث امة محمد الذى جاءت به النذر * و ورد فيه الاثر * و كان الوليد جبار بنى اميه و ولى الحجاج على المشرق و قرة بن شريك على المغرب و كان سليمان صاحب البطن الذى قتله بطنه كظه و مات بشما وتخمة و كان يزيد صاحب سلامة وحبابه الذى نسخ الجهاد بالحمر * و قصير ايام خلافته على العود و الزمر * و اول من اغلى سعر المغنيات * و اعلن

بالفاحشات

بالفاحشات * وماذا اقول فيمن اعرق فيه مروان من جانب * ويزيد بن معاوية من جانب * فهو ملعون بين ملعونين * وعريق فى الكفر بين كافرين * وكان هشام قاتل زيد بن على مولى يوسف بن عمر الثقفى وكان الوليد بن يزيد خليع بنى مروان * الكافر بالرحمن * الممزق بالسهام القرآن * واول من قال الشعر فى نفى الايمان * وجاهر بالفسوق والعصيان * والذى غشى امهات اولاد ابيه * وقذف بغشيان اخيه * وهذه المثالب مع عظمها وكثرتها * ومع قبحها وشنعتها * صغيرة وقليلة فى جنب مثالب بنى العباس الذين بنوا مدينة الجبارين وفرقوا فى الملاهى والمعاصى اموال المسلمين * هؤلاء ارشدكم الله الائمة المهديون الراشدون * الذين قضوا بالحق وبه يعدلون * بذلك يقف خطيب جمعتهم * وبذلك تقوم صلاة جماعتهم * فان كسد التشيع بخراسان فقد نفق بالحجاز والحرمين * والشام والعراقين * وبالجزيرة والثغرين * وبالجبل والبغارين * وان تحامل علينا وزير او امير فانا نتوكل على الامير الذى لايعزل * وعلى القاضى الذى لم يزل يعدل * وعلى الحكم الذى لايقبل رشوة ولايطلب سجلا ولاشهادة واياه تعالى نحمد على طهارة المولد * وطيب المحتد * ونسأله ان لايكلنا الى انفسنا * ولايحاسبنا على مقتضى عملنا * وان يعيذنا من رعونة الحشوية * ومن لجاج الحرورية * وشك الواقفية * وارجاء الحنفية * وتخالف اقوال الشافعية * ومكابرة البكرية * ونصب المالكية * واجبار الجهمية والنجارية وكسل الراوندية * وروايات الكيسانية * وجحد العثمانية * وتشبيه الحنبلية وكذب الغلاة الخطابية * وان لا يحشرنا على نصب اصفهانى ولا على بغض لاهل البيت طوسى اوشاشى ولا على ارجاء كوفى ولا على تشبيه قمى ولا على جهل شامى ولا على تحنبل بغدادى ولا على قول بالباطن مغربى ولا على عشق لابى حنيفة بلخى ولا على تناقض فى القول جازى ولا على مروق سجزى ولا غلو فى التشيع كرخى وان يحشرنا فى زمرة من احببناه * ويرزقنا شفاعة من توليناه * اذا دعا كل اناس بامامهم * وساق كل فريق تحت لوائهم * انه سميع قريب * يسمع ويستجيب *

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وكتب الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته ﴾

فهمت ماذ كره الشيخ من توبة الدهر اليه من ذنبه * و خطبته لسلمه بعد حربه * وما لا يزال يتعرفه مذ انقشعت ضبابة المحنة * و انجلت غمرة الكربة * من صنع جديد فى ظل يوم جديد لم نحتسبه * و عز مؤتنف فى كل ساعة لم نحسبه * حتى لقد اشتم روائح عود الحال الى مائها الناضب * و رجوع الدولة الى رسمها الذاهب * و هكذا تكون احوال المقبلين * فان الايام اذا غلطت فجنت عليهم * رجعت فاعتذرت اليهم * و الزمان اذا حاربهم خطأ سالمهم عمدا فيستوفون فى الحالين اجر المحنة * و زيادة بشكر النعمة * ثم يختم لهم بما هو بحالهم اليق و بمقاديرهم اوفق * والمحنة اذا كانت بعرض زوال فليست بمحنة * كما ان النعمة اذا انتظر بها التغير فليست بنعمة * و انما الانسان من دهره فى يومه فاما امسه فافل * و اما غده فامل * و كل غم سبب السرور فهو سرور * و كل ظلمة كانت طريقا الى النور فهى نور * ومن محاسن ايام المحن ان الانسان يعرف بها غش الاصدقاء * و يقف منها على اوزان الثقات و الاولياء * و يميز بين من هو صديق البلاء * و صديق الرخاء * و من فوائدها انها تعلم المرء مقدار العافية و تعرفه اخراج زكاة الجاه والدولة و تحلى فى فمه ما يجده بعدها من طعم السلامة و من منافعها انها تطلع الناس على مقادير قوم لولا المحنة لم يطلعوا عليها * و تظهر كفاية اناس لولا غيبتهم و حضور البدل منهم لم يهتدوا اليها والآن عرف الشيخ بحقيقته * و وزن بزنته * و وقف السلطان و الرعية على تفصيله و جملته * بحضور غيره و غيبته * و انما يعرف حق الافاضل * من دفع بعدهم الى عشرة الاراذل * و يشد يده بالخاصة * من ابتلى بعده بالعامة و ما اغلى الماء على من فقده * و ارخصه عند من وجده * هذا و قد صقلت هذه الفترة خلائق الشيخ بالتجارب * و وضعت فى يده مرآة النظر فى العواقب * و هذبت افعاله من كل شوب * و غسلت عنه وضر كل عيب * على انه لم يزل مبرأ من كل رذيلة * و مخصوصا بكل فضيلة * ولكن الايام عملها فى التعليم * و خاصتها فى باب التنبيه و التقويم * فالحمد لله الذى رد الى ذلك الامير جماله

و بهاءه

وبهاءه * وعمر بابه وفناءه * وسر شيعته واوليائه * وغم حسدته واعدائه ولم يفجعه بالعلق النفيس الذى لايشترى بالاثمان * ولا يوزن بالميزان * ولا يكال بالقفزان * ولا يرى مثله فى هذا الزمان * كما لم ير فى سائر الازمان * ثم الحمد لله الذى حول كتبى من التعزية الى التهنئة واخرج القاضى من ميدان الصبر * الى ميدان الشكر * وجعلنى رطب اللسان بالحمد لله * بعدما كنت رطب اللسان بانا لله * ثم الحمد لله الذى استجاب دعائى * ورحم بكائى وعلمنى كيف تطلب الحاجات * ومتى تستجاب الدعوات * وعرفنى ان الدهر غريم ربما يفى بما يعد * وحبلى ربما تتم فيما تلد * ثم الحمد لله الذى ارانى اهل خوارزم وقد عرفوا رجحان من فقدوه بمن وجدوه * كما عرفوا نقصان من وجدوه بمن كانوا فقدوه * وانشدوا قول حنظلة بن عرادة التميمى

عتبت على سلم فلما فقدته * وعاشرت اقواما رجعت الى سلم

وقول دعبل

وترجعنى اليك وان تنائت * ديارى عنك تجربة الرجال

﴿ وكتب الى رئيس سمرقند ﴾

وصل كتاب سيدى بعد ان كنت ظننت لتأخره ظنونا اعيذه بل اعيذنى بالله من ان تصدق بها فراستى * او تحقق مخيلتى * وظن المحب متوزع * والشفيق بسوء الظن متولع * الكتاب الذى ذكر سيدى لم يصل * ولقد كان الكاغد للجواب عنه موجودا * والكاتب مشهودا * والوقت بحمد الله تعالى ومنه طويلا ممدودا * افهم غير المفهوم وليت شعرى كيف سلط على كتبنا حتى اقتطعها دوننا سليك بن السلكة السعدى واوفى بن مطر المازنى وعمر بن بداقة الهمدانى والشنفرى الازدى وتأبط شرا الفهمى والسمهرى العكلى ومالك ابن الريب المزنى وشطاط وبرجان وكعب حدر ومالك بن خزيم وعمر الكلب الهذلى * وجحدر البكرى والمنتشر بن وهيب الباهلى * وابو

Digitized by Birzeit University Library

النشناش الحنظلى * والقتال الكلابى * وابو حردبة والحطيم التيمى * واكتل ورزام الخريان * واسكاب والغداف القاطعان * وطهمان ومن مثل طهمان وعبد العزيز وعرقل التيميان وووبرة الغفارى وحاجر بن عمرو الازدى هؤلاء لصوص العرب وصعاليكها الذين كانوا يسلبون الناس سلبا * ويأخذون كل سفينة غصبا * واما بعد اليوم اذا كتبت الى سيدى كتابا قرأت عليه المعوذتين * وعلقت فى جيده تميمتين * واخذت من حامله كفيلين * احدهما ذو الجناحين * والآخر ذو النورين * حاجتى فى كذا قضيت بسيدى لا زال قيامه بالحوائج يحل ما يعقد * ويسهل ما يشدد * ولا زالت عنايته تفك اسيرا * وتيسر عسيرا * لا جرم لقد كتب على سجل رق * وقلد رقبتى له حقا يوفى على كل حق * وان رجلا نقل هذا الدهر اللئيم من المذمة الى المحمدة * وعلمه انجاز الموعدة * لرجل يحسن ان يغير الشيم * وان يعلم اللئيم الكرم * فلا زلت اتحمل لسيدى عارفة تضاف الى سائر عوارفه * وآنف صنيع ينضم الى سالفه * حتى تسود حواشى جريدة نعمه على * وايادية الى * فاعمل جريدة غيرها * واضيف اليها مثلها *

﴿ وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب جوابا عن كتاب له ورد عليه ﴾

﴿ يبشره فيه بخلاص وزير خوارزم شاه من المحنة ﴾

كان كتاب صاحب الجيش ورد مشحونا ببشارتين * اوردتا فرحتين * واوجبتا شكرين * احداهما وهى كبراهما خبر سلامته * وسلامة احواله ونعمة الله تعالى عليه فى جملته * والثانية خبر ما اتاح الله تعالى للوزير ابى فلان من الفرج الذى وافى بغتة * وورد على القلوب والاسماع فلتة * فما ادرى باية النعمتين كنت اكبر اعتدادا * واكثر بها لمحاسن الايام تعدادا * وبأية البشارتين كان سرورى اكبر حجما * واعظم جرما * ولاية الفرحتين كان قلبى اطرب * ولسانى بشكر الله تعالى ارطب * على ان سلامة صاحب الجيش وان كانت

البشارة

Digitized by Birzeit University Library

البشارة التى توفى على البشائر * و النعمة التى تربى على النعم البواطن و الظواهر * فانها جرت مجرى الثيب اذا كانت متطلعة متشوفة * و متوقعة متوكفة * وردت على شيخ ينتظر موردها * و على قلب يتنجز موعدها * و خبر نعمة الله تعالى على ذلك الوزير و قد جرى مجرى بيضة العقر * و قام سماعه مقام افتراع البكر * ورد و القلوب فيه غير طامعة * و النفوس اليه غير منازعة * و اليأس قد ارتج باب الرجاء * و البلاء قد نسخ آيات الرخاء * و طول ايام الفترة * قد هزم بجيش الهم جيش المسرة * و كان نعمة خرجت من بيت نقمة * و فرحة نبتت فى ارض غمة * و خبرا سارا مر على اذن طالما قرعها خبر البلاء * و على عين طالما باتت على السهر و اصبحت على البكاء * و السرور اذا خرج من الكمين كان انفس للزينة * و الضحك اذا وجد فى ساعة البكاء كان اغرب فى السماع و الرؤية * و الحمد لله الذى جعل صاحب الجيش يهدى البشائر الى مضاعفة * و ينعم على النعم متراكمة متزادفة * و يورد على خبر سلامته فى نفسه التى هى اعز النفوس على * ممزوجا بخبر سلامة احب الناس بعده الى * لتكون ريح المسرة قد هبت على جنوبا و شمالا * و جناح الانس و الطرب قد رفرف حولى يمينا و شمالا * كأن الخيرات لا تعرف طريقا الى الا من بابه * و كأن البشائر لا تحسن ان تطلع على الا من كتابه و خطابه * و فهمته و عظم اعتدادى بمورده لصاحب الجيش على انى لو انصفته لشكرته بلسانين * و احببته بقلبين * و كتبت بيدى بقلمين * و واليت ايامه و دولته بنفسين * كما انه يحسن الى من جهتين * و يبشرنى من جانبين * و يهدى الى الهدية ذات الطرفين * فاما ان نعمته على مثنى مثنى * و مكافاتى له عنها فرادى * فتلك اذن قسمة ضيزى و لكن متى استوفى فعل محسن و حال شاكر * و متى ربح رئيس على شاعر * و متى استوى من يطلب سائلا * و من يطلب نائلا * لا عدمت صاحب الجيش سيدا و سندا * و مددا و عضدا * و ركنا مؤيدا * و سنانا محددا * و سهما مسددا * و سيفا مجردا مهندا * و جندا مجندا * و عزا مؤبدا سرمدا * و لا خلوت منه ابدا *

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وكتب الى خوارزم شاه ﴾

ورد على كتاب الامير مع فلان فلا ادرى ايهما كان اشد أسرورى بالرسول * ام سرورى بالمحمول * و فهمته و لما عرضته على اصدقائى * صار يحسدنى عليه اعدائى * فلما اجتلوا محاسن الكلام بقلوبهم * و محاسن الخط بعيونهم علموا ان بخوارزم قوما من النجار الافضل * و من الطراز الاول * اذا اخذوا الاقلام كتبوا * و اذا اخذوا السيوف ضربوا * و ان كان الامير رأس الجريدة و فارس الكتيبة و نكتة المسئلة و طراز الكسوة و وجد الرزمة و صدر الدست * و اول التخت * و خال الخد و دق الدق و لب اللب و يحسب الامير ان هذا الكتاب وافانى ليلا فاحببت له الليل حب كثير عزة و عشقته عشق جميل بثينة و ابغضت له النهار بغض العاشق الفراق * و بغض العروس الطلاق * و لقد تركت الاسماع به مشحونة * و القلوب مفتونة * و اتانى خلال ذلك فرح لا يسعنى جلدى منه فرحا * و لا تحملنى اعواد سرجى مرحا * فانشدت

واذا نظرت الى اميرى زادنى * ضنا به نظرى الى الامراء

و لقد قال لى من لا يدع فضلا الا تنقصه * و لا جميلا الا غصه * هذه كتابة الوزير * لا كتابة الامير * فقلت له ما زدت على ان جعلت الفضل خادمه * و الكمال تابعه * و من خدمه الفضلاء فقد خدمه الفضل * و من تصرف فى عمله العقلاء فقد تصرف له العقل * و كيف يخدم الفضلاء غير فاضل * ام كيف يرضى الكملة بالمقام على غير كامل * و اصدرت الجواب الى حضرة الامير عمرها الله تعالى بوفود الرجاء * و ملأ رحابها و ابوابها برسل الملوك و الرؤساء * و صرف اليها زمام كل رغبة * و ثنى نحوها عنان كل رهبة * و جعلت هذه الاحرف جنيبة للجواب و جنائب القول من جنائب الخيل

﴿ وكتب الى العامل على البريد بالاهواز ﴾

كنت ظننت بك يا اخى ظنا كذبه قبح فعلك * و ضعف هجرك و وصلك * فانك

فانك لا تعمل فيهما على قياس واجب ولا تصبر منهما على طعام واحد فلا جرم لقد رجعت فى ودى لك وما كنت ارجع فى هبة * وندمت على ثقتى بك وعهدى بى ان لا اندم على حسنة * وهذا ايدك الله تعالى رزقى من كل من اصفيته حبى * و وضعت فى يديه قلبى * فانا ابدا بين صديق اشكوه وقد كنت اشكره * و اعذله و قد كنت اعذره * و ارتجع قلبى منه كرها و قد سلمته اليه طوعا حتى لقد اشتغل قلبى بخوف الاصدقاء * عن خوف الاعداء * واشتغل شعرى بالعتاب عن المديح والهجاء * حتى لقد صرت اعد سوء الظن حزما وارى المساهلة غبنا و احسب المكافاة على القبيح عدلا * و معاشرة الناس بالغش عقلا * و ان كان هذا ليس جميلا فانا فيه تلميذ اصدقائى وهم فى الحمد عليه شركائى *

﴿ وكتب الى ابى حامد بن روزبه اديب قومس ﴾

وصل كتاب شيخى مكتوبا بخط ينطق بغير لسان * ويفصح من غير بيان * احسن من كل شئ غير كلام صاحبه * و الطف من كل شئ غير اخلاق كاتبه * القصيدة قد حفظتها لما لحظتها * و رويتها لما رأيتها * و لو اجبت عنها * لسرقت الجواب منها * اذ كانت قد جمعت نشر البديع * وضمت اطراف الرصف والترصيع * ولو فعلت ذلك لكنت قد اهديت الى شيخى من ماله وخلعت عليه من يده و ضربته بسيفه على انى قد طلقنى الشعر ولا اقول طلقته و انما الشعر بالطرب * او بالرغب او بالرهب * و ما بقى شئ يسر به فاطرب * ولا بقى كريم فارغب * ولا بقى وجل فارهب

﴿ وكتب الى ابى زيد جوابا عن كتابه ﴾

وصل يا ولدى كتابك القصير نجدا * المختصر جدا * و فهمته ذكرت انك مشتاق الى اللقاء * ومستبطئ فى ذلك القدر والقضاء * والمسافة بيننا صغيرة

Digitized by Birzeit University Library

البقعة * ضيقة الرقعة * اذا ذرعت بذراع الهوى * و مسحت يد الذكرى * وهي بعيدة اذا مسحت يد التسلى * و نظر اليها بعين التغافل و التناسى * و البعيد قريب اذا التقى العزم و التوفيق * كما ان القريب بعيد اذا التقى التفريط و التعويق * فلا تتعلق باذناب العلل * لو صح منك الهوى ارشدت للحيل *

﴿ و كتب الى ابى حامد ايضا الاديب بقومس ﴾

وردَ على كتاب الشيخ و هو اعز كتاب على الا انه كان صغيرا كايام لقائى له * قصيرا كمدة انسى به * على انه لا قليل من البر * و لا صغير من الذكر * على ان صغير البر الطف و اطيب * كما ان قليل الذكر اشهى و اعذب * عاتبنى الشيخ عتابا انسانى الرعد القاصف * و الريح العاصف * و البرق الخاطف * و ارذت جوابه فعقل لسانى عنه ذكر ايام تفض العزائم * و تسل السخائم * و ما كل انسان يعطى السلطان على قلبه فيقلبه * و على شيطانه فيغلبه * فلم نزع شيخى قيصا من حسن العشرة و لم يزل يلبسه * و اطلق لسانا لم يزل يحبسه * انا بكتاب شيخى اذا ورد على اشد سرورا من المشتاق الى التلاق * بعد طول الفراق * و من العاشق بالعناق * و من الاسير بالاطلاق * و من الفارك بالطلاق * فليتحفنى به * و ليؤهلنى له * ان شاء الله تعالى

﴿ و كتب اليه ايضا ﴾

كتبت الى شيخى كتابا سامحت فيه يدى و خاطرى * و غالطت فى انتقاده قلبى و ناظرى * لان رسوله كان اعجل من ايردخل نصفه * و من عامل حضر مشخصه * و من حاج لم يبق بينه و بين الموقف سوى ليلة * او بياض غدوة * و هو على فراسخ بعيدة * و فوق مطية بليدة * و من منهزم رأى خلفه سواد الطلب * و خاف عاقبة فوات الروح و السلب * و من الحشرى يوم الجمعة و قد سمع الاذان * و ركب السلطان * فلازمنى حتى ضغطنى ضغط الغريم * وضبطنى

وضبطنى ضبط الحصيم * وشغلنى عن بسم الله الرحمن الرحيم * فكتبت ويدى ترتعش * وقلبى ذهل دهش * وانا ارى لشيخى ان يستعمل هـذا الرسول فى جباية المـال * واستحثاث العمال * واجتلاب الصدقات والجوال * فانه يحاسب على اللحظة * ويضايق فى اللفظة * ويتقاضى تقاضيا يزهق النفس * ويقطع النفس * فلو عرف ملك الموت سره * لجعـله خليفته وفوض اليـه امره * فانه اكره منه لقاء * واشد اقتضاء * وحاجتى ان لا يرده شيخى الى فانى ارحم الارض من ثقـله * واحب بطنها وابغض ظهرها من اجـله * والسلام

﴿ وكتب تعزية الى ابى بكر ﴾

بلغنى ما قاساه شيخى ايده الله تعـالى فى هذه المصيبة من غم يشكى * بل يبكى * وجزع يضنى * بل يفنى * والموت خطب ثقل حتى خف وكثر حتى قل وهان على الباقى لما رآه بالماضى وعلى المعزى لما نظره فى المعزى ودخل الجميع تحت قول المتنبى

يدفن بعضنا بعضا ويمشى * اواخرنا على هام الاوالى

وشيخى اعرف بالله * واقرأ لكتاب الله * واروى لاخبـار رسول الله * من ان يتأدب بغير ادب الله * ولا يسـلم لقضاء الله * ولكن لمفاجأة المصيبة لذعة يستراح منهـا الى مباثة الصديق * والى تسلية الاخ الشفيق * فقد يأنس المريض الى العائد وان علم انه لا يملك شفاءه * ولا يدفع بلاءه * جعلنا الله تعالى ممن يتنجز بالصبر ما وعده من البشرى * والصلوات والرحمة والهدى فانه تعالى ذكره ذكر الصابرين * فقـال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون * والهمنا العزاء عما استأثر به * والشكر على ما اخلف منه * والسلام

* * *

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى ﴾

كتابى و قد عفا بيننا رسم المكاتبة و المراسلة * ونسى اسم المطالعة و المواصلة * والذنب فى ذلك لاحدنا فان كنته فنى المعذرة * و من الشيخ الصفح و المغفرة * وان كان هو فقد عذرته قبل ان يعتذر * و غفرت ذنبه قبل ان يستغفر * وطفلت عليه بنصبى لسانى نائبا عنه * و خليفة له * ورد ولدى فلان فنظرت منه وفيه الى ابيه و رأيت الايام قد كسته رداء جمال و كمال * و صقلته بيدى اقبال و اقتبال * و خرجت نجيبا اخجل النجباء * و ابنا احيا الآباء * و رأيته

يطلب شأو امرأين قدما حسنا * بذا الملوك و فاتا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فضله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل * فضل ما قدما من صالح سبقا

و ما اجم هذا الولد النجيب على سبقه الى المدى * وعلى ارتفاعه فى الذروة العليا * و قد رسخ عرقه فى تلك الدرة الكريمة * و فرعت غصونه على تلك الدوحة العميمة * لا بل لو اقام على مربط الشيخ فرس لما اعتددت له ان يكون جوادا * ولو بات فى خزانته سيف لما شكرته على ان يكون حساما * فكيف بولده * ومن هو قطعة من كبده * كانت الايام امتعتنى بلقاء الشيخ مديدة قصيرة كان نهارها لقصره ظهرا و عصرا * و ليلها عتمة و فجرا * فلما شكرتها رجعت فيما وهبت * و ندمت على ما صنعت * و ذلك رسم اللئيم فانه اذا شكر على احسان غلط به تنبه للؤمه فاساء * و ندم على ما سيبه من المسرة فساء * و الكريم اذا شكرته قابل الشكر بالمزيد * و تجاوز الصنع القديم الى الجديد * فان عادت الايام بمثل تلك الغلطة * و ظفرت بتلك الفلتة * كتمتها شانى * و شكرتها بضميرى دون لسانى * بلغنى خبر تلك العثرة التى كانت عينا اصابت الاحسان * و عيبا لحق الزمان و السلطان * فزاد ذلك فى جراح الايام بى * و فى وقائعها بقلبى * ثم تذكرت ان الدولة للمحسنين * و العاقبة للمتقين * و ان الدهر يخطئ ثم يصيب * و يذنب ثم يتوب * لا يخل على الشيخ بكتبه

Digitized by Birzeit University Library

فلو لم استفد منها الا خبر سلامته لكانت الضالة التى تطلب * و العلق الذى لايعار و لايوهب * فكيف و فيها الفاظه التى تشوق العجوز الى شبابها * و الشابة الى احبابها * فما قرأتها قط الا حسد طرفى لسانى على لفظه * و حسد لسانى طرفى على لحظه *

فو الله ما ادرى أزيدت ملاحة * على الخلق ام رأى المحب فلا ادرى

و انا وان كنت شاعر اللسان فلست شاعر الخلق * و لا شاعر الوفاء والصدق * و لا شاعر الصداقة و الود * و لا شاعر الديانة و العقد * لا تتلون اخلاقى الوانا و لا اكون على صديق و من يشكو الى زمانا * و لا اكون اخاه ايام دولته * و عدوه ايام عطلته * و قد غشت المروءات * و انثلمت المودات * و مات الوفاء و الثبات *

﴿ و كتب الى ابن العميد الحاكم ﴾

كتابى الى الشيخ عن سلامة تهنأتها منذ ورد على خبر سلامته * و نعمة اسبغت على منذ وقفت على ما اسبغه الله تعالى عليه من نعمته * ورد على كتاب الشيخ الذى كل سطر من سطوره كتاب * و كل لفظة من الفاظه باب بل ابواب * المفيد باطنه و ظاهره * البديع اوله و آخره * الذى ما ورد على الا حسدنى عليه من رآه بيدى * و ود انه لو كانت عيناه عينى * و علم انى قد حويت فى الحظوظ بقسم وافر * و انه قد حصل منها على غبن ظاهر * لا زال الشيخ ابا عذر كل كلمة سائرة * و كل فعلة نادرة * و لا زالت اخلاقه مظنة لحفظ العهد * و محطا لرحال الحمد * و شريعة مورودة لزوار المجد * و بابا مفتوحا لمستخرجى الرفد * فلان قد غضب على و ما اعرف لى ذنبا * يستوجب منه عتبا * و لا انسبه مع ذلك الى التجنى * و لا اضع فعله موضع الظلم و التعدى * و لكن من الذنوب ما يظهر لمن رآه * و يخفى على من جناه * و قد يرى الانسان من عيب غيره * مالا يراه من عيوب نفسه * و لذلك قيل

Digitized by Birzeit University Library

ان المرائى لا ترى * لك عيوب وجهك فى صداها
وكذاك نفسك لا ترى * لك عيوب نفسك فى هواها

اسأل الشيخ ان يرد على من صلحه ما فقدته * و يوجدنى من عفوه ما نشدته * ليكون قد صار طبيبا لاخلاق اخوانه يداويها من داء الهجران * و يصلحها من فساد الزمان * ولتكون نعمه على متفرقة اغصانها * و متلونة الوانها * فان النعمة اذا تكافأت مذاهبها * و تعادلت جوانبها * اتسع فيها مجال الشكر والذكر * و طالت فيها خطوة النظم و النثر *

﴿ وكتب الى ابى القاسم الابى البندار ﴾

خرج الشيخ الى ناحية عمله خروج السارق * لابل خروج الآبق * قد كتم اخوانه حاله * ولم يستكفهم اشغاله * وخصنى من بينهم بالقسم الاوفر من الكتمان * لا بل بالقسط الاوفر من الحرمان * و ما كان يضره لو صحبت ركابه * وكثرت بسوادى اصحابه * وقد الزمته الذنب دونى * وان كان مقسوما بينه و بينى * كان ينبغى لى ان اقيم على بابه حارسا * و بكل درب من دروب محلته فارسا * و اتعرف خبر رحيله * و اقف على كثير ما يأتى و قليله * اذا رحل شيعته بجسمى مرحلتين * و بقلبى مائتين * على ان قلبى قد شيعته حيث هو معه فليتفضل برده على * ولينفذه بل يقدمه رسولا قاصدا الى * فان غاية المشيع ان يرجع * وعاقبة الضيف ان يودع * ولا يأخذ قلوب اصدقائه فى مرافق اعماله ولا يكثر بمشيعيه سواد اضيافه ولا يتركنى بلا قلب فانى احتاج فى مكاتبته الى قلوب وللنظر فى كتبه الى عيون وللصبر على فراقه الى نفوس ولا يقل هو عندى تذكرة منك * و نائب على بابى عنك * فانما يحتاج الى التذكرة من ينسى * والشيخ بحمد الله تعالى لا ينسى ولا ينسى *

﴿ وكتب الى ابى سمكة بقم ﴾

انا الح على شيخى فى السؤال * و اتجاوز خد الادلال * الى حد الاملال * لان

Digitized by Birzeit University Library

لان الذى اسـأله لا يوجد منه عوض * ولا يقوم عنه جوهر ولا عرض * ومن طلب خطيرا * احتمل كبيرا * وعلى قدر نفاسة المتاع رغبة المبتاع * وبحسب عظم النائل * ضراعة السائل * وليس يرد كتاب شيخى على من هو احسن منى به * ولا ارغب منى فيه * ولا اروى منى له * ولا اشكر منى عليه * ولا اتوق منى اليه * واظن شيخى يستحشن مس عتابى له وعتاب عن قلب نقى وصدر برى خير من ملق فوقه برد سابرى وتحته غش خفى فقد يكتم البغض فى زوايا الهوى * وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * ولو لا انى قد اصبحت تحت نعمة الشيخ مستورا * واصبح لسانى بعدها مقصورا * لسـألته كتاب كذا ولكنى الى الخروج من الحواصل * احوج منى الى طلب النوافل * ولقـد نقص شيخى الى الادباء * وصغر فى عينى العظماء * وصـارت اخلاقه لى مرآة ارى فيها الحسن والقبيح * واتبين فيها السقيم والصحيح * وثمرة الادب العقل الراجح * وثمرة العلم العمل الصـالح * فاما ادباء اهل زماننا فتطرقوا بالادب الى الجهل * فحصدوا النقص من زرع الفضل * لا نعدم فى كل زاوية منهم صغيرا يتكبر * وقليلا يتكثر * لا يفيد من دونه بخلا * ولا يستفيد ممن فوقه جهلا * ولو تعلم لعلم جهله * ولو علم لحفظ علمـه * والبخل وحده قبيح فكيف اذا قارنه الجهل * والجهل بنفسه نقص كبير فكيف اذا كان معه البخل * ومن عجائب البخل انه داء يعدى فان الجواد يبخل اذا بخل عليه * ويتحول داء غيره اليه * فشر الادواء داء اعدى * وشر العيوب عيب تعدى * امتع الله تعـالى شيخى بمحـاسنه التى هى مبيت المدح ومقيله * وغرة الدهر وتحجيله * واطال بقاءه * وجعلنى فداءه *

﴿ وكتب الى ابى بكر النحوى اديب الجبل و اصبهان ﴾

بذلت فى حاجة الاديب مجهودى * واليه تنتهى غاية جودى * فان اكن بلغت منهـا رضاه * فذلك الذى اريده واتحراه * وان تكن الاخرى فالرمية قصرت عن الرمية * والسعى وقع دون مقتضى الامنية والنيه * فانما الذنب

لرسوله الذى زعم انه اكفى * وقال لى حسبك وكفى * فان الطبيب يخرج من الدواء * مقدار ما يشكى اليه من الداء * ذكر الاديب فى كتابه ان سوق الادب كاسدة وانما الكاسد ما اشترى بدون قيمته * وقرب ربح تجارته * فاما ما لا يشترى ولا يكترى ولا يذكر ولا يسمى فقد تجاوز الكساد * وبار بل باد * كتاب شيخى اذا ورد بخطه نظرت منه الى روضة البصر * والى نزهة الفكر * ورأيت منه جمالا يراه القلب قبل الطرف * وشممت منه ريحا تشمه الروح قبل الانف * وانى لاشتاق الى وروده على شوق المهجور الى الوصل * والغائب الى الاهل * فاذا انقطع عنى * وانقطع دونى * ثكلت املى * وفجعت بسرورى وجذلى * وغزى بعساكر الهم صدرى * وخلا لها ظهرى * وشيخى يتفضل فينظم الطرق الى به * ويكون شفيعى الى لسانه وقلبه * ان شاء الله تعالى

﴿ وكتب الى ابى بكر بن شيمرد ﴾

لو علمت بخروج الشيخ لاخذت بحظى من حلاوة تشييعه * ومرارة توديعه * وقت بالواجب على من الاخذ بركابه * ومن تسوية ثيابه * على انى لو شيعته لاصبحت مشيعا وصديقا * وامسيت معه صاحبا ورفيقا * ولما تركنى الشوق ارجع عنه * ولا خلانى اخلو منه * وكنت اصير زيادة فى اشغاله * بل زيادة فى عياله * فاذا انا قد طلبت الاحسان فاسأت * وارتدت الصواب فاخطأت ولقد تركنى الشيخ بجميل عشرته * وكريم صحبته * ابغض كل من احببته * واباعد كل من قاربته * * وكأنه انما بعث الى * ليفسد الاخوان على * فقد ضيق خلقى * وان كان وسع رزقى * وافسد افعالى * وان كان اصلح احوالى * ومن العجب وجود الحر فى هذا الزمان الذى صار فيه اللؤم سنة متبعة * واصبح الكرم بدعة مبتدعة * ورخص الثناء حتى ما يبتاع * وغلا السخاء حتى ما يباع * والكلام فى هذا الباب شرط بطين يستهلك الناس مع عزته * ويستفرغ الفراغ مع قلته * وانى لاعتب على شكرى للشيخ وانسبه الى التزارة وهو غزير والى الصغر وهو طويل عريض

ولقد

ولقد شكرته شكرا او شكرت الزمان به لاصبح لى ثناؤه ربيعا * وجدبه خصيبا مريعا * ومدحته مدحا او مدحت به الفلك لما دار الا بمرادى * ولا تصرفت بوجه الا على اسعادى * ولا سعى الا فى مصالح معاشى ومعادى * وليس يخاو شكرى لصنيعة سيدى ان يكون دونه او فوقه او مثله فان كان دونه فالظن بمثل الشيخ ان تكون يده العليا على من عامله * وصنيعته الراجحة على شكر من شكر له * وان كان فوقه فقد ربح على الشيخ فليردنى الى رأس المال * فان ربح الرؤساء على الشعراء من المحال * وان كان مثله فقد اخذ منى مثل ما اعطى واستأدانى كفاء ما ادى فليستأنف الآن برا * استأنف شكرا * وليجدد نعمه * اجدد خدمه * هذا ايد الله الشيخ مزاح حمل عليه بطر الغنى والشيخ هو الذى اغنانى فليحتمل بطرى وهذيانى * وكيف احاسب من نفسى بعض صنائعه الى * وروحى بعض ودائعه لدى * ومن افعاله الجميلة عندى تفنى كل حساب * وتملأ كل كتاب * الشيخ صاحب الديوان رفعت اليه حاجتى فاستقبلنى بوجه مانع * فوليته قفا صبور قانع * ليعلم ان الكريم الوف عروف * وصدوف عزوف * يشكر على اليسير * ويلطف نفسه على الكثير * نسخة الرسائل قد حملتها وما تساوى عندى ان تهدى الى احد * او تحمل من بلد الى بلد * ولكن الشيخ اشتهاها شهوة راكب الخيل لركوب الحمار والبغل * وشهوة آكل الطيخ لآكل الخل والبقل * وتطرف بطلبتها تطرف الغنى بلبس الوداري وهو غريق فى الوشى والعتابى وقادر على الديباج الخسرواني ولعله اراد ان يضحك منها ندماءه * ويتحف بها جلساءه * فتكون بابا من ابواب الهزل * او جنسا من اجناس النقل

﴿ وكتب الى الوزير بالحضرة ﴾

ما اقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وابعدها اذا لم تقدر

كانت ايد الله الشيخ حاجتى فى وعاء المطال * وفى ضمان الايام والليال * فاكسنى فيها الزمان * وارجف لى بها الاخوان * قد اخلق ثوب الرجاء لها حتى تمزق *

Digitized by Birzeit University Library

وتراجع حسن الظن بها حتى تحقق * و طابت النفس عنها * بيد الياس منها * حتى دفعت زمامها الى الشيخ فانشطها من عقال التعذر * و اقامها من صرعة التعسر * و قضاها قضاء سبق الاقتضاء * و نسخ باليقين الرجاء * فكان غيثا سبق صيبه دعوة المستسقى * و ماء سيحا قد كفى مؤنة المستقى * و انما كنت اله الله تعالى الشيخ مجدا على الطريق مطروحا * و بابا من ابواب المكارم مفتوحا * لا المجد يحصل * و لا الباب يدخل * حتى كانت يد الشيخ اول من جنى تلك الباكورة * واحتوى تلك المكرمة المذخوره * فالحمد لله الذى وفقه لحفظ ما ضيعوه * ورفع ما وضعوه * و لقد اشترى من الشكر سلعة قليلة الطلاب فيالیت اللئيم يشم رائحة افعاله * او يلاحظ شخص خصاله * و يا ليت البخيل يعطى من رزقه * قيمة خلقه فى سعته و ضيقه * و يا ليت المخلف للوعد تصير المواعيد فى رقبته * او حقائب على عاتقه * فلعلها اذا اثقلت ظهره * ضيقت صدره * فلا يعود بعدها الى وعد يخلفه * و حريسوفه *

وليت رزق اناس مثل جودهم * ليعلموا انهم بئس الذى صنعوا

تأخر ما رسم الشيخ حمله من الرسائل لانى اردت ان يحصل بخط لا يورث العين قذى * ولا القلب اذى * ولولا انى رابع الكتاب و الشعراء بالباء لا بالياء لما احتجت لتلك النسخة الى هذا الاحتشاد * ولناسخها الى كل هذا الارتياد * و لكنى كابى الدميمة لا يألو جهدا فى جودة كساها * وكثرة حلاها * يشترى لها المطوى والملوى * و يكسوها الديبق و المروى * و يتجاوز فى جهازها الفضة الى الذهب * و الشعر الى القصب * ثم هو مع هذا كله خائف عليها ان ترجع اليه مطرودة * و عليه مردودة * و لو كانت بنته حسناء لزفها و لو انها من الثياب عارية * و من الجمال كاسية * و من الحلى عاطلة خاليه * و من وجهها حاليه * لعلمه ان لها من نفسها شافعا لا ترد شفاعته * و بائعا لا تنقض بياعته * و بعد هذا كله فانى مقر على نفسى بالتقصير * و مستحق للوم الكثير * فان المحال اذا نصر زاد بردا * و ان الخطأ اذا احتج له صار عمدا * فلان قد اصحبته كتابى بالوصاية * و صنعت له ما يسعه رجاؤه و شكره من الرعاية * و ارجو ان الشيخ لا يلوم من جر اليه حمد الاحرار بزمامه * و وقف الثناء و الاجر على مدرجة بره

و انعامه

Digitized by Birzeit University Library

وانعامه * وانما انا دلال من دلالى الشكر * وسمسار من سماسرة الثواب والاجر * ولم ار لهاتين السلعتين مشتريا اصح من الشيخ عقدا * ولا اجود منه نقدا * فجهزت اليه باعة البضاعة * ودللت عليه الباعة * والسلام

﴿ وكتب الى تلميذ له ﴾

ان كنت اعزك الله تعالى لا ترانا موضعا للزيارة * فنحن فى موضع الاستزارة * وان كنت تعتقد انك قد استوفيت ما كان لدينا * فسقط حقنا عنك وبقى حقك علينا * فقد يزور الصحيح الطبيب بعد خروجه من دائه * واستغنائه عن دوائه * وقد تجتاز الرعية على باب الامير المعزول فتجمل له ولا تعيره عزله * ولو لم تزرنا الا لتزينا رجحانك * كما طالما رأينا نقصانك * لكان ذلك فعلا صائبا * وفى القياس واجبا *

﴿ وكتب الى حاكم نيسابور من اصفهان ﴾

وردت ايد الله تعالى الحاكم من الوزير على رجل يستطيل اليوم اذا بعدت عنه * ويستقصر الدهر اذا قربت منه * ابدع فى اكرامى بدائع لوكانت كلمات لكانت امثالا * ولو كانت ابياتا لكانت افرادا * وكسانى طرازا من الصيانة ضفت على ذيوله * ولاحت على صفحات احوالى غرره وحجوله * وخاطبنى بكلام كأنما خلق من خلقه حسنا ورقة * وكأنما اقتطع من كلامه لطفا ودقة * ووعدنى مواعيد * فى صحبة العدل والتوحيد * ورقانى فى غاية تزلق رجل المنى * وتقصر دونها همم الورى * وتخجل خلفها الدرجات العلى * اردت مطالعة الحاكم بهذه البشرى * واتحافه بشرح حال هذه النعمى الكبرى * ليعلم ان تلك الفترة كانت خيرة وغيرة * وان هذه العاقبة كانت دولة وكرة * وان الدهر اوفانا كيل المسرة * كما اوفانا كيل المضرة * وتحمل الينا من الخير * مقدار ما

تحامل علينا فى المكر * ومهد لنا ايام اليسر * عدد ما مد لنا من ايام العسر * فقد انصف وهو ظلوم * وتكرم وهو لئيم *

﴿ وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم ﴾

قد انتظرت من الشيخ ان يسبقنى الى خطبة الوصل * كما لم يزل سابقا الى غاية كل فضل * فأبى كسله الا ان اسبقه اليها * واغلبه عليها * فابتدأته بالمكاتبة حين ضاق مسلك الصبر * وحين اتسع مجال النزع فى الصدر * وحين رأيت الحظ يضيع بين هيبتى وتغافله * والربح يذهب بين اشغاله وتشاغله * وقد بلغ الله تعالى الشيخ رتبة لا يضعه معها ان يتواضع * ولا يزيد فى ارتفاع قدره ان يترفع * فليستدم نعمة الله تعالى عليه بان يرب مودات الاحرار اوفى ربابة * ويعمر ما بينهم وبينه اوفى عمارة * وليعلم ان عليه زكاة للشرف اخراجها انمى للمال * وابقى للحال * ومنعها تمحيق للوفر * وتعريض لحوادث الدهر * وليزد اخوانه على قدر زيادة الله تعالى عنده فان العادة مطلوبة * والزيادة فى النفوس محسوبة * زاده الله تعالى مما عنده * واطلع عليه سعده * واعلى جده * وجعل حاسده عبده * ورد فلان هذه الناحية فملأ العيون جمالا * والقلوب كمالا * والاسماع مقالا * وغمر الاعداء فضلا والاولياء افضالا ونوالا * ورأينا فى قميصه رجلا بل رجالا * وعجبت من ملك كيف سمح بمفارقة هذا الشخص النفيس لبابه * وخروجه من حيز اصحابه * ولقد ضيع منه ما لا يوزن به عوض * ولا يقوم مقامه عرض * وقدر انه يصيب فى كل زاوية من يسير فى اقسام النجابة * ويجمع بين الفروسية والكتابة * فاذا به على النقصان وهو ينتظر الزيادة واذا هو يلتزم خراجا ويحسب انه يحصل الغلة واسأل الله تعالى ان يصلح حال تلك البقعة فانى اراها تلفظ الرجال * وتنفى عن نفسها الكمال * وان امرأ تعق منه الآباء والاجداد * ويخالف به تدبير الاولياء والبلاد * لحقيق بان لا تخشى فاتحته * ولا ترجى عاقبته *

وكتب

﴿ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى ﴾

وصل الى كتاب الشيخ وعققته * اذ لم اطر فرحا لما رأيته * ولم انطح الفلك فخرا وعجبا لما فككته * ولقد استخفنى الفرح به واشتغلت بلحظه عن حفظه وتصرفت من فصوله فى رياض سقتها الخواطر * لا الغيوث المواطر * وطلعت على شمس البهاء * لا شمس الضحى * لا بل روضة الخط احسن من روضة النبات لان روضة النبات مداس للخف والحافر * وطريق للسابل والعابر * وتلحظها اعين اللئام * وتدوسها ارجل العامة والطغام * وهذه الروضة عن اكثر العيون مكنونة * وعن اكثر الايدى مصونة * لا يرتع فيها الا ناظر خاصى * ولا تمسها الا يد نبيل سوى * قال ديك الجن

لو كنت املك للرياض صيانة * يوما لما وطى اللئام ترابها

رأيت الشيخ يرفعنى فى خطابه الى غاية تتقاصر عنها قيمتى * ولا تطمح نحوها همتى * فعلمت انه يسلفنى نعمته لادخل فى غرامه * واصير واحدا من جملة انعامه * وليكون قد تناولنى بالبر من كل طرقه قولا وفعلا وجوهرا وعرضا ولسانا وبيانا والله تعالى يكافئه ويكفيه * ويبقيه ويقيه * ويريه كما ارتجيه * ويرينى ما احب له فيه *

﴿ وكتب الى الوزير ابى القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله ﴾

كتابى الى الوزير وانا على بعد الدار سالم فى جملته * مستظهر على الايام بدولته والحمد لله تعالى على سلامتى فى سلامته * وصلى الله على سيدنا محمد وعترته اذا رأيت كتاب الوزير وقد ورد على غيرى غرت عليه غيرة الفحل على الشول * بل غيرة المرأة على البعل * ولوددت ان لم يكاتب به غيرى * او من يشكره مثل شكرى * فانى مع استقصارى لنفسى فى ذلك قد اتعبت الوراقين * بل اتعبت الكرام الكاتبين * واتعبت للخواطر والالسن شغلا طويلا * وطرحت عليها

عبئا ثقيلا * ولقد كانت ايامى بحضرة الوزير قصارا * وكان ليلى بها نهارا * وساعاتى فيها اسحارا * كما ان ايام فراقه ليال طوال * وليلة فراقه تعد بليال * وانى بعد صبرى على فراقه لجلد على وقع سهام الهجر * واسع المجال فى ميدان الصبر * ولقد اصابت عين الزمان وفائى * وسلبتنى حسنتى وهى جزعى بفراق اصدقائى * فاجرنى الله تعالى على هذه المصيبه * ولا حرمنى عليها جميل الاجر والمثوبه * لايبعنى الوزير وقد اشتريته باهل الدنيا * ولايبعدنى عنه * وقد قربنى الحب منه * ولا يبخل على بكتبه * فعهدى به لا يبخل على بفضته ولا بذهبه * وليأنف من ان يكتب اسمه فى جريدة البخلاء * بعدما صدرت به جرائد الاجواد والسمحاء * ان شاء الله تعالى

﴿ وكتب الى ابى الحسن الحكمى ﴾

انا لامر سيدى الشيخ ممتثل * ولقبلة مراده مستقبل * ولكن فلان طرقنى والشوق قائده * والحب سائقه * فليوفر الشيخ علينا يومنا فلا يقدران يضمن لنا غدا وليعلم انه من سلب اخاه ثوب الفرح * واقامه من بين يدى الطاس والقدح * فقد قطع عليه طريق السرور * وقام بازائه مقام حوادث الدهور وقطاع الطريق على الناس * اقل وزرا من قطاع طريق الطاس والكاس * لان الذى يأخذه اولئك من المال قد يصاب منه بديل * ويوجد الى العوض منه سبيل * والذى يأخذه هؤلاء من العمر * ويقطعونه من ايام الدهر * لاسبيل الى ارتجاعه * ولا التئام لجراحة اقتطاعه * هذا والضيف مولاى والمضيف عبده فهل يرى الشيخ ان افتات على مولاى * وان اخالف هواه بهواى * وقد علم ما جاء فى الاثر من ذم العبد اذا عصى مولاه * وخرج الى سخطه من رضاه *

﴿ وكتب الى تلميذ له وقد ظهر عليه الجدرى ﴾

وصلنى خبر الجدرى فنال منى وهيج حزنى * وراع قلبى واسهر عينى * وهذه العلة

Digitized by Birzeit University Library

العلة وان كانت موجعة * وفى رأى العين فظيعة شنعة * فانها الى السلامة اقرب * وطريقها الى الحياة اقصد * لان عين الطبيب تقع عليها * وبد المرض والمعالج تصل اليها * وانما هى قرح نبهته الطبيعة ودم اثارته الحرارة وظاهر الداء اسلم من باطنه * وبارز الجرح اهون من كامنه * وهذه بعد علة تعم الابدان * وتشمل الصبيان * واذا كانت العلة عامة كانت اكثر طبا ودواء واخف على القلوب اعباء * لان النفس تستريح الى المشاركة وتأنس بالجماعة كما تستوحش من الوحدة ولعمرى انها تورث سواد اللون * وتذهب من الوجه بديباجة الحسن * ولكن ذلك يسير فى جنب السلامة للروح اللطيفة * والنفس الشريفة * وفى الشر خيار * ومن المحنة الى المنحة صروف ومقدار * واذا اخطأت سهام الايام جانبا * واصابت جانبا * فقد سرت اكثر مما اساءت لان الحسنة فيها تستبعد وتستغرب * والسيئة منها تنتظر وترتقب * ولست استطيع لك غير الدعاء * ولا اكلم فى بابك الا طبيب الاطباء * ولا اصانعه عنك الا بالثقة والرجاء * لا اسال صحتك * الا ممن خلق علتك * وارى لك ان تحسن ظنك بربك * وتستغفره من ذنبك * وتجعل الصدقة شفيعك * واليقين طبيبك * وتعلم انه لا داء ادوأ من اجل * ولا دواء اشفى من مهل * ولا فراش اوطأ من امل * شفاك الله تعالى وكفاك * وسلمك وعافاك * وبلغك رضاك وحسبك به طبيبا وكفاك *

﴿ وكتب الى فقيه من تلامذته ﴾

كتبت اليك من حضرة الغرائب والرغائب وهى حضرة الوزير وانا متردد بين فائدتين من فعاله ومقاله * وراتع بين روضتين جاهه وماله * والحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين * انتظرت كتابك فتأخر وطلبت له عذرا فاعوز * واخذت احتال صبرا عنك فاعجز * وعرضت معاملتك لى على الود بيننا فاباها * وقدمت افعالك معى الى القلب فما ارتضاها * فراجع رحمك الله تعالى ما طلقته من ودنا * واذكر او تذكر

Digitized by Birzeit University Library

ما نسيته او تناسيته من عهدنا * و اعلم انك اذا انفقت اصدقاءك واحدا
او شكت نفقتك ان تدعك مفلسا منهم * و خاليا عنهم * حملت اليك نسخة رسائل
الوزير و هى كالحلقة لايدرى اين طرفاها * و كالشمس لا يفضل اولاها على
اخراها * كلها خيار * و كل حروفها اختيار * فاعرها من اذا استعارها
منك قبل يديك * واذا ردها عليك قبل رجليك * و اعلم ان قدر هذا الكلام فى
الكلام كقدر صاحبه فى الانام * فلان قد نصب لنا الحبائل * و اراد بنا الغوائل *
و لقد قرع باب البلاء و وطئ ذنب الحية الصماء * و ادخل يده جحر الاسود *
و قعد لملك الموت بالمرصد * و نطح برأسه الجبل * و استبطأ الاجل * و طرد
العافية عن باب داره * و انزل النحس فى جواره * و استهدف لسهام الحتف *
ووطئ على حد السيف * فلا جرم اصبح نقل كل لسان * وضحكة كل انسان *
و حملت امهاته سفائح الى البلدان * و اجلت غيرة جهله عن اديمه و قد عرك *
وعن ماء وجهه و قد سفك * وعن ستره و قد هتك * و هكذا يكون حال من
عرض عرضه السقيم * و اصله اللئيم * لمكر العقلاء * و قول الفصحاء * و السنة
الشعراء * و اقلام البلغاء * و ليس وراءه لسان تقرع به الآذان * و لا عرض
يعارض به الاقران *

﴿ و كتب الى الملك لما أصيب بابنه عن خوارزم شاه ﴾

كتبت و انا مقسم بين فرحة و ترحة * و مردد بين محنة و منحة * اشكو
جليل الرزية * و اشكر جزيل العطية * و اسأل الله تعالى للامير الماضى الغفران
و الرحمة * و للامير السيد التأييد و النعمة * فان المصيبة بالماضى و ان كانت
تستوعب الصبر * فان الموهبة فى الباقى تستنفد الشكر * و الحمد لله الذى كسر
ثم جبر و سلب ثم وهب و ابتلى ثم اولى و اخذ ثم اعطى كتب على المشرف
خاصة * بل على الدنيا كافة * ان تطمس آثارها * و تظلم اقطارها *
و تهب ريح الخراب عليها * و تنظر عين الكمال اليها * حتى ذبلت شجرة المملكة
و وهن ركن الملة * و طرف ناظر الدولة * و انثلم جانب الدعوة ثم استدرك
الله

Digitized by Birzeit University Library

الله تعالى برحمته خلقه * فرد الى الامير حقه * و قرت الدولة فى قرارها * و عادت النعمة الى نصابها * و طلعت الشمس من مطلعها * و وضعت الرئاسة فى موضعها * فانا الآن بين شكاية الايام و شكرها و بين حرب الدهر و سلمه ابكى و انا ضاحك و اضحك و انا باكى العين الا ان الضحك على اغلب * و الفرح الى من الغم اقرب * لان المصيبة ماضية * و النعمة باقية * رحم الله تعالى الماضى رحمة تهون علينا مصرعه * و تبرد له مضجعه * و تضاعف حسناته * و تمحوا سيئاته * و اعان الامير على رعاية ما استرعاه * و الهمه شكر ما اعطاه * و تولاه فيما ولاه * و والاه جزيل ما اولاه * و ايد بالهيبة سلطانه * و ثبت بالبقاء اركانه * و حرس من الغير زمانه *

﴿ وكتب الى ابى منصور ملك الصغانيان يعزيه فى عمه ابى سعيد ﴾

كتابى الى الامير وقد ملك الجزع صبرى وعزائى * و جعل ناظرى فى اسار دمعى و بكائى * و القلب دهش * و البنان مرتعش * و انا من البقاء فى الدنيا مستوحش * و الجفن غرق * و القلب محترق * و ما اجتمع قبله غرق و حرق * للمصيبة التى ثلث عرش السلطان * و طمست نور الزمان * و جعلت الصبر سيئة * و الجزع حسنة * و الاسى سنة * و الاسا بدعة * و حق لمن اصيب بمثل فلان ان يصاب بصبره * و ان يدفن معه الفرح فى قبره * و ان يجعل يومه تاريخا لجدع انف الكرم * و ركود ريح الهمم * و انكسار تاج العجم * واذا تفكرت فى عظم هذا النازل * و اربائه على سائر المصائب و النوازل * انشدت

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

و اذا تذكرت بقاء الامير و هو البقاء الذى لا وقع معه لخطب و ان كان مؤلما * و لا خطة بعده لمصاب و ان كان مستعظما * انشدت

اذا مقرم منا ذرا حد نابه * تخمط منا ناب آخر مقرم

Digitized by Birzeit University Library

وان بيت الامير الماضى سلفه * والامير الباقى ايده الله تعالى خلفه * ابيت عظيم المصائب * عظيم المواهب * محنتهم اجل المحن * ومنة الله تعالى عليهم اكبر المنن * ولن يسقط عرش مثل الامير قائمته * ولا يخرب بيت هو بقيته * اللهم ارحم الماضى فانك رحيم بالكرام * منعم على اهل الانعام * واحفظ الباقى من عين الكمال * فانها اكبر آفات الرجال * وانفذ سهام الايام والليال * واطل بقاءه فانه بقاء المجد * وادم عزه فانه عز الشكر والحمد * واجعل فداءه من لا يرضى بان يكون فداءه * ولا يفتخر بان يكون وجهه حذاءه *

﴿ وكتب الى ابى القاسم بن على صاحب جيش الصغانيان ﴾

لم يزل يبلغنى ما يرتفع على يد الامير من الفتوح التى تفتح لها ابواب السماء * ويفوح منها روائح العز والسناء * فى اوائك الاعداء الذين امتنعوا بشدة كلبهم * وقلة سلبهم * ومتاركة المسلمين قديما لهم * ورضاهم رأسا برأس منهم * حتى لقد حقنت الدماء * وسكنت الدهماء * وامنت السبل * واجتمع الشمل * ورجع النافر * وعمر الغامر * واجتمعت الكلمة واتفقت البيضة واغمد السيف وركز الرمح وقرت الامور قرارها * ووضعت الحرب اوزارها * وهذا صنع لم يخص الله تعالى به اهل افق دون افق * ولا افرد بمزيته سكان غرب دون سكان شرق * اذ كانت النعم فيه عمت كل من عرف الاسلام وفضله * وعادى الشرك واهله * لا زال الامير يرى كل يوم بسيفه فتحا يعظم به الخطب * وتستبق فيه الكتب ولا زال الشرك من قتلاه * والنفاق من جرحاه * والفساد فى الارض من اسراه * حتى تملأ فتوحه كل سامع وناظر * وتشغل كل كاتب وشاعر *

﴿ وكتب الى فقيه فى تعهد مسجد ﴾

احق الاماكن بان يصان ولا يهان * واولاها بان ينحى عن مدرجة الاختلال * ويرفع

Digitized by Birzeit University Library

ويرفع عن ان تتناوله يد الابتذال * مكان بنى ليجمع شمل التعبد * ويضم نشر التهجد * وترفع منه الحوائج الى من لا يضجر من السؤال * ولايتبرم بكثرة السؤال * وهو الكبير المتعال * فان صيانة هذا المكان صيانة الدين * بل صيانة الاسلام والمسلمين * وكبت الكفر والكافرين * وما ظنك بموضع هو بيت من بيوت الله * ومظنة لقراءة وحى الله * تصف فيه الاقدام بين يدى الله * ويتميز فيه اولياء الله من اعداء الله * وهو من بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وهو مسكن من مساكن الابرار * ومجلس من مجالس الاخيار * وحصن من حصون المسلمين على الكفار * وجسر بين الجنة والنار * دخوله عبادة * والمقام به سعادة * والاعتكاف فيه سنة مستحسنة * لايخترقه كافر * ولا يقربه الا طاهر * من عمره عمر طريق الآخره * ومن بناه بنى له بيت فى الجنة * وبلغنى ما انت فيه من بناء مسجد محلتك * ضاعف الله تعالى لك عليه ثوابك * واكرم مآبك * ورضى عنك * وتقبل منك * فتوسع رحمك الله فى نفقتك * فانما تعامل وتسلف كريما سخيا * ولاتحاسب نفسك على دخلك وخرجك فانك بصدد اضعاف ذلك من الثواب * وانما يوفى المحسن اجره بغير حساب * وتذكر قول الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

﴿ وكتب الى ابى شجاع بن محمد كاتب ابن قراتكين ﴾

كتابى وقد وجدت فلانا لايضر ولا ينفع * ولايضع ولايرفع * وانما هو مشط يقلبه خصى اصلع * وان مجال الشكاية فيه لرحب وان طريق المذمة عليه لسهل ولكنى لا اقطع يدى بيدى * ولا اضرب بعضى ببعضى * ولا ارمى بسراى عن يمناى ولا اتباعد عمن قربنى الاصل منه * ولا اضربه بالسيف الذى طالما ضربت به عنه * ورأسى رأسى وان كان اصلع * وانفى منى وان كان اجدع * واما فلان فان الشرق عاطل هو حليته * وعريان هو كسوته *

Digitized by Birzeit University Library

وجاد هو روحه * واعزل هوسلاحه * واخرس هو لسانه * لا فجع الله به عيني و لاقلبي فان عيني بعده لا تقر * كما ان قلبي بعده لا يسر *

﴿ وكتب الى رئيس نيسابور ﴾

ارجو ان الشيخ لا يلقى امرى بيد الاغفال * و لا يسلك بحاجتى طريق المطال * و لايكلنى الى غيره فى حاجة كتبتها عليه * و وضعت عنانها بيديه * فن المحال ان استمد النهر * وانا جار البحر * وان احتاج انى النجم و انا اسرى فى ضوء البدر * و قد كان الشيخ فى تلك الحالة الاولى امهل * حتى كأنه اهمل * و تغافل حتى كأنه غفل * و لست اشكو يومه * لانى ارجو غده *

﴿ وكتب الى على بن كامه ﴾

كتابى الى الامير عن سلامة اسأل الله تعالى ان يديمها * لاتوصل الى خدمته بها * والحمد لله تعالى و نعمة الامير على النعمة المجملة المفصلة * الغراء المحجلة * التى ان سكت عن شكرها شكرها عنى اثرها على * و ان كتمتها افشاها دونى من رآها لدى * و انما انا غرس نعمته * و نبات راحته * نادمته و انا مقتبل الشباب * حدث الاتراب * و ها انا قد الجمنى الكبر بلجامه * و لثمنى البياض بلثامه * و اذا عتقت المنادمة صارت سببا دانيا * و كانت رضاعا ثانيا * لا بل رضاع الحمر * اقوى فى حكم الفتوة سببا من رضاع الدر * لان رضاع اللبن معروف الامد * منقطع المدد * و رضاع الشراب ربما دام الشهر و الدهر * و استوعب المدة و العمر * ولأن رضاع اللبن يحرم من طريق النكاح و ان كان يعقد قرابة و وصلة من طريق الولادة فهو يعطى من حيث يمنع * و يصل من حيث يقطع * و يبعد سببا * من حيث يقرب نسبا * و رضاع الشراب يصل من كل جوانبه * و يعقد حرمة من جميع مذاهبه * و لان رضاع اللبن يقع بين الاطفال

Digitized by Birzeit University Library

الاطفال الذين لا يتبينون احوالهم * و لا يعرفون ما عليهم مما لهم * ورضاع الشراب لا يقع الا بين الرجال الذين يعقلون كيف يصلون وكيف يقطعون

اقر السلام على الامير و قل له * ان المنادمة الرضاع الثانى
ان المنادمة التى نادمتنى * رفعت عنانى فوق كل عنان

واقل ما فى هذه الحال ان اشكرها فعلا * من حيث اشكرها قولا * وهو ان ازور تلك الحضرة الجليلة كما تزار عظام المشاهد * واعتكف فيها كما يعتكف فى المساجد * فانها وان لم تكن مشهد حرم و صلوات * فانها معتكف عطايا وصلات * وان لم يكن صاحبها امام خلافة يرجى ثواب زيارته فى الآجل * فانه امام سماحة ينال ثواب زيارته فى العاجل * ولكنى رجل قد طال ذيلى * وازدحم شغلى * وقيدت السن رجلى * فلا اقل الآن من ان اوجه رسولى وهما قلبى ولسانى * على ظهر مركبى وهما قلمى وبنانى * وان انظم فى شكر نعمة الامير قلائد لا السارق يسرقها * ولا النار تحرقها * ولا الماء يغرقها * كل ناطق عندها ابكم * وكل شاعر بازائها مفحم * وسابلغ من ذلك ما يقيم لى عذرا * ويصير لى و لعتبى عدة و ذخرا * ان شاء الله تعالى

﴿ وكتب اليه لما ولى قومس ﴾

كتبت والولاية التى شرفت بالامير و لم يشرف بها * و تسببت له ولم يتسبب لها * وصغرت قياسا الى شانه * من حيث كبرت قياسا الى مقادير اهل زمانه * قد بلغنى خبرها فجررت ذيلى فرحا * ورحت لا تحملنى اعواد سرجى مرحا * ووددت او شربت طربا عليه البحر المحيط قدحا * واين بالامير من افتراع المنابر * وقيادة العساكر * وهو من اهل بيت يحكم بالملك صغيرهم * ويشيب عليه كبيرهم * تقر باسمائهم المنابر النافرة * وتسكن باعلامهم البلاد الشاغرة * لم يرضعوا الا ثدى ولايه * ولم يروا الا تحت رأيه * ولم يغتذوا الا فى حجر سياسة ورئاسة * فلا زال يترقى ذروة رتبة بعد رتبة * ولا زال اسمه يفترع خطبة بكرا

بعد خطبة * ولا زال الملك سليله ونتيجه * والعز صنيعته وخريجه * حتى يملك الاقاليم * ويفترش السرير العظيم * فيعطى القوس باريها * ويملك الزعامة من يليق بها ويحسن فيها *

﴿ وكتب الى ابى طاهر وزير ابى على بن الياس بكرمان ﴾

كتبت ولما اتصل بى خبر المصيبة لم املك من قلبى الا ما شغلته بها * ولا من عينى الا ما بكيت به لها * ونزل بى ما ينزل بمن قارعه الزمان عن واحده ونازعه الموت فى بعض نفسه وزل عن يده الذخر الذى ادخره لصروف الزمان * وسلب السيف الذى لم يزل يعده للقاء الاقران * ثم تجرعت موعود الله تعالى بالصبر والعزاء * ثم بالتسليم للقضاء * وقلت انا لله وانا اليه راجعون كما امرت * وانتظرت الصلاة والرحمة كما وعدت * ولقد كانت المصيبة بفلان جراحة لا دواء لها الا الصبر * وخسرانا لا جبر له الا الاجر * ولقد سلبته علقا من اعلاق الفضل لايخاف من حصله غبنا * ولا يستعظم له ثمنا * سهم المنايا بالذخائر مولع ولقد طلق من الدنيا عروسا غدارة * مكارة غرارة ختارة * طالما قتلت بعلها * وخانت اهلها * فهانا ايد الله تعالى الشيخ جريح يد الدهر ولا طبيب لمن جرحه * وسليب يد الموت ولا ضامن لمن اجترحه * وقد دفنت يدى بيدى * وبكيت على عينى بعينى * وافردت فى نفسى عن نفسى والرزية بمثل فلان رزايا * كما ان العطية كانت ببقائه عطايا * ولكن لا كثير من المصائب مع التأدب بادب الله تعالى * كما لا قليل من المواهب مع الايمان بالله تعالى * رحم الله فلانا الجامع لمحاسن الآداب * الشيخ حلما وان كان غض الشباب * فلقد اختضر وهو فتى السن * واهتصر وهو رطب الغصن * وكسوف البدر عند تمامه اوقع * وكسر العود عند اعتداله اوجع *

ان الفجيعة بالرياض نواضرا * لاشد منها بالرياض ذوابلا

وكتب

﴿ وكتب الى حاجب الوزير ابى القاسم بن عباد حين ورد خراسان ﴾
﴿ وحمل اليه نزلا ﴾

حملت الى الخزانة عمرها الله تعالى ببقاء الحاجب * كما عمر حالى ببقاء الصاحب * شيئا من الطين الخراسانى * و الشراب الخسروانى * فليتفضل بقبوله فان الطين تراب لا يعد * و معار لا يرد * على انى لو حملت اليه حياتى * و اهديت اليه صومى و صلاتى * و كتبت فى صحيفته حياتى و قاسمته عمرى * و جعلت له حظى من سعود دهرى * و وضعت ذلك كله بين طبق من قلبى * و مكبة من صدرى ما كنت الا بالعجز موسوما * و على التفريط ملوما * و انما جلبت هذا اليسير الحقير * الى الحزر الصغير * من داره الصغرى * الى داره الكبرى * و حولته الى يده اليمنى من يده اليسرى فان رأى الحاجب ان يتواضع بنا * و يخفض جناحه لنا * فعل ان شاء الله تعالى

﴿ وكتب الى ابى محمد العلوى ﴾

كتابى عن سلامة اسأل الله تعالى للسيد مثلها * بل لا ارضى له ضعفها * و وصل كتاب السيد المشحون لطفا و برا * المفيد فخرا و ذخرا * الموجب الحمد لله شكرا * الذى كل حرف منه فائدة بل كل نكتة بل كل فقرة بل كل تصنيف و خطبة تشغل بتخليدها الاقلام * و يحفظها الافهام * ذكر السيد فى كتابه ان اهل اصفهان تزاحموا عليه * و استعاروا كتابى اليه * و ذكروا انى اكتب من اخذ قلما * و نثر كلما * و هذا باب ما قرعته * و شأن ما اتبعته * و صناعة ما درت حولها * فان كان الاقبال ساق الى هذه الغريبة * و الاتفاق اعطانى هذه الرغيبة * فما ارد نعمة الله تعالى اذا صارت الى * و لا ادفع فى بحر السعادة اذا طلعت على * و لاشك ان هذه ثمرة محبتى للعترة الطاهرة * صلوات الله تعالى عليهم اجمعين وقد كنت اذهب فى رد العدوى الى حكم

Digitized by Birzeit University Library

الخبر * فى العدوى والهامة والصفر * والآن اتهمت من رواه * وكذبت من حكاه * وتأولت ان السيد اعدانى بكتابته * واعطانى بعض براعته * بجمع اسمى مع اسمه * وبجعل فهمى جنبة لفهمه * الحاجة التى استبطأت فيها السيد انما خرج كلامى مخرج الادلال وليس بعجب تسخب الشيعى على الرافضى ولا تحكم الملحف على السخى سمعت كلام فلان وبمثل ذلك الكلام يتسلى الاخرس على بكمه * ويفرح الاصم بصممه * ولله رزق الصمت المحبة واعطى الانصاف الفضيلة ولكن ماذا اقول فى معايب قوم هم جيرانى فى الدار * واخوانى فى النجار * وبيضتى التى تفلقت عنى * وغيضتى التى التفت حولى * وبلدهم عشى الذى درجت فيه * وبيتى الذى خرجت منه * فحاسنهم الى منسوبه * ومساويهم على محسوبه *

وهل انا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

وبودى لو وجدت لهؤلاء القوم فى درج الفضل ادنى مرقاه * ورأيت لهم فى مساعى السبق اقل مسعاه * لجعلت الخطوة ميلا * وادعيت القليل جليلا * ولكن ادعاء الفضل من غير معونة نقيصة * كما ان الاقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيلة * والقتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال * وتعرض لسهام الآجال *

ولو ان قومى انطقتنى رماحهم * نطقت ولكن الرماح اجرت

على انى احمد الله تعالى اذ كان قائل ذلك الكلام فى الاصول كلابيا * وفى الفروع ناصبيا * ولو كان لمنطقه حظ من الطراوة والطلاوة * او برز كلامه فى معرض من القبول والحلاوة * لصار شبكة من شباك الشبهة * وبابا من ابواب الضلال والفتنة * وحبالة من حبائل الشيطان * ورقية من رقى البهتان * ولفتح علينا بابا يفسد المذهب * ويورث التعب * والله تعالى الطف بالاسلام * وارحم للانام * من ان يعطى عدوه سلاحا يغلب به اولياءه * وينصر به اعداءه * ذكر السيد شهادة الوزيرلى * واعتداده بى * وهذه نعمة طالما تدرعت جمالها * وتسربلت سربالها * وجررت اذيالها * لا زال الفضل بقاء ذلك السيد

ثابت

ثابت المناكب * مقبل الجوانب * عامر الطرق بالجائى والذاهب * ولا سلب الله تعالى الزمان جماله بذكره * ولا العباد دنياهم بطول عمره * ولا زال جاهه مبذولا * وبابه مأهولا * وفضله مأمولا * وسيفه على اعداء الله تعالى مسلولا * وعدوه بحده مقتولا * ولا زال الشرق يفاخر به الغرب * والعجم تفاخر به العرب * بل لا زالت اصبهان تفاخر به البلاد * واهلها يباهون به العباد *

وهذا دعاء لو سكت كفيته * فانى سألت الله فيه وقد فعل

ولم يبق الا ان يرزق عمرا يسع نعمته * ودهرا يساوى قيمته * فان هذا الزمان يضيق عن نفسه * وان كان يتسع لشخصه * وكان الله تعالى لم يخلقه الا ليعلم خلقه كيف يحيى ميت الكرم * وكيف يرد ذاهب الهمم * وليلزم حجته من جحد احياء الموتى وقال بقدم الدهر والدنيا فان من قدر على ان يحيى ميت الخلق * قدر على ان يحيى ميت الخلق * وليكذب عبيد بن الابرص فى قوله * وغائب الموت لايؤوب * ولبيد بن ربيعة فى قوله

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

فقد رأينا من يعيش فى كنفه الاعداء * فكيف الاولياء * ويرد بحره المفحمون فكيف الشعراء *

﴿ وكتب الى قاضى القضاة ﴾

كتابى الى القاضى عن سلامة من الله تعالى بها بعد اليأس منها * وقربها بعد البعد عنها * واهلنى لها اضعف ما كنت املا * واسوأ ما كنت عملا * واقبح ما كان بينى وبين الله تعالى اثرا حين انحلت عقدة الرجاء * ولحظتنى عين البلاء * وامرضنى طبيب الاطباء * وبعدت على مسافة الشفاء * وتقاصرت عن علاجى خطوة الدواء * واقلست من العافية كما ايسرت من الحمى * وقربت من الآخرة كما بعدت من الدنيا * ووقفت على جسر قدامه الوفاة * وخلفه الحياة * ونظرت الى المنية عن عين كريه نظرها * حديد بصرها *

Digitized by Birzeit University Library

وعرفتني الايام ان ابن آدم ضعيف التركيب * منتقض الترتيب * دواؤه داؤه * وبقاؤه فناؤه * واعضاؤه اعداؤه * كفاه موتا ان يبقى فيهرم * وحسبه داء ان يصح ويسقم * ثم اراد الله تعالى ان يرى عبده رحمته * بعد ما اراه قدرته * فاقامه من صرعته * واستله من مخالب علته * وازال عنه يد المنية بعدما اشتبكت به * فله الحمد ربا عفوا غفورا * رحيما شكورا * يأخذ حكمة وعدلا * ويعفو رحمة وفضلا * ويمرض عبده ليعتبر * ويعافيه ليشكر * ثم لا يغلق عنه باب الدعاء * ولا يحسم مادة الرجاء * ولا يديم مدة البلاء * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد خاتم الانبياء * وعلى آله الطاهرين الازكياء * كان ورد على كتاب القاضي فاستظهرته حرفا حرفا * وقبلته الفا الفا * وضممته الى الصدر والنحر * وسجدت له حين رأيته سجدة الشكر * وما اظن سبب تأخره كان عني الا شدة شوقي اليه * وفرط حرصي عليه * فان الحرص شوم * والحريص محروم * وهذه عادة الدهر معي وقديم صنعه بي فانه اذا علم اني احب امرا ناطه بالعيوق * ووضعه موضع بيض الانوق * وابعده وهو غير بعيد * وشدده وهو غير شديد * وانا بعد اليوم لا اقر للدهر بما اقترحه عليه * واطلبه لديه * فلعلي اخدعه عن طبعه * واختله عن سوء صنعه * ومن ذا يخادع الايام * او يغالط الحظوظ والاقسام * فلان قد ولي قضاء كذا عرفه الله تعالى بركة ولايته * ولا جعل هذا الامر اقصى غايته * وجعل ولايته منفعة * وعزله فراغا ودعة * ولا جعل شغله سخرة * ولا فراغه عطلة * اجر الله تعالى القاضي على المصيبة بفلان فلقد كنت بحياته قرير العين * شديد الركن * يؤنسني ان جمعت بيني وبينه بقعة * ويسرني ان تضم اسمي الى اسمه صنيعة * وكنت اعده لي جناحا وسلاحا * وفي ظلمات الخطوب مصباحا وصباحا * فغصبنيه دهر ظالما غصب فلم يطالب * وسلبنيه قدر طالما سلب فلم يعاتب * ولولا كراهتي للاعتراض على القضايا * والتحكم على المنايا * لقلت أيموت فلان الفلاني * ويعيش فلان الفلاني * خطب منكر * وبدل اعور * وسبحان من له في كل قضية الطاف نعرفها * فنثبتها في فضله ونعمته * ونجهلها فنردها الى عدله وحكمته * فانما كان

نجما

Digitized by Birzeit University Library

نجما من نجوم الادب هوى * اوغصنا من غصون العلم ذوى * فانا لله وانا اليه راجعون ثم انا لله ورحم الله المتوفى رحمة تغسل اوضاره * وتحط اوزاره * والحقه بالطيبين الطاهرين * من آل يس * وفرق بينه وبين النواصب والضالين * الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولازال القاضى يعزى عن احبابه * ولايعزى عنه ولا به * ولا كان عليه طريق للنوائب * ولا على جنبته معبر للمصائب *

﴿ وكتب الى قاضى سجستان حين نكبه اميرها ﴾

اذا ما الدهر جر على اناس * كلاكله اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

اما بعد ايد الله تعالى القاضى فانه لم يحسن الى غيره من اساء الى نفسه * ولم ينصر اصدقاءه * من خذل حوباءه * وانما يحب المرء اخاه بما فضل عن محبته لروحه التى له خيرها * وعليه ضيرها * وكانت محنة القاضى محنة شملت الانام * وخصت الكرام * ووجب على كل من اشتم روائح العقل * وميز بين النقصان والفضل * ان يفطر لها الما * وان يبكى عندها دما * وخلص الى من ذلك ما اضحك منى الاعداء * وابكى لى الاصدقاء * حتى رحمنى من كان يحسدنى وحتى عجب من جزعى من كان يصبرنى * وحتى غضضت طرفا طالما رفعته * وقبضت بنانا طالما بسطته * وحتى عزيت كما يعزى الثكلان * وسليت كما يسلى اللهفان * وانا بعد ذلك استصغر فعل نفسى وهى جزعة هلعة * واستقل سعى عينى وهى سخينة دمعة * وكان يجب على مقتضى هذه الجملة واساس هذه البنية ان احضر مجلس القاضى فاصابره نهارا واساهره ليلا وتكون المحنة بينى وبينه احلها عنه ويحملها عنى ولكنى علمت ان والينا هذا رجل ينظر الى الذنب الخفى * ويتغابى عن العذر الجلى * وله اذنان واحدة يسمع بها البلاغات وهى كاذبة * واخرى يصم بها عن المعاذير وهى صادقة *

Digitized by Birzeit University Library

وليس بينه وبين العفو نسب * ولا له الى التثبت طريق ولا مذهب *ولو تعرضت لسخطه * بعدما عرفته من شططه * لتحملت دونه الوزر فى ظلمى * ولكنت مقدمته الى ذمى * ومن قعد تحت الريبه" ركبته * ومن تعرض للظنه" نالته *

ومن دعا الناس الى ذمه * زموه بالحق وبالباطل

واقل ما كان ينبعث من حضورى ان يثب هذا الجواد وثبه" يصون القاضى عنها * ويبتذلنى لها * فاكون قد ضررت نفسى ولم انفع غيرى فاذا بالمحنه" قد تضاعفت على القاضى ضعفين * وتكررت عليه كرتين * يرى بولى من اوليائه * داء لا يقدر على دوائه * ويرى وقودا لايصل الى اطفائه * ويتبين فى حاله متصلة" بحاله ثلمة لا يمكن سدها * ومحنه" لا يستوى له ردها * فلما مثلت بين تخلفى آمنا * وحضورى خائفا * عدلت بين طرق الرؤيه" * ووزنت بين مقدارى المحنه" * فرأيت ان اميل مع السلامه" * واقنع من العمل بالنيه" * واغتفر عهدة التفصيل لصحة الجملة" * فغبت وكلى غير جسمى شاهد * وتميزت وما انا الا مشاهد * وبعدت وقلبى قريب وبينت وقلبى سهيم واغضيت على عين كلها قذى * وانطويت على صدر كله شجا * وانصرفت بقلب ساقط راض واغمضت بجفن ضاحك باك وقلت

فان تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه فى القبائل
ولقد نسجت فى ذم الظالم حللا لا يبلها الماء * ولا يجففها الهواء * ولا تغطى عليها الظلماء * والمغبون من احتقب الاثم والغارم من غرم العرض والرابح من محنته فانية * ومثوبته باقيه" * ولو انصف الظالم لكان يعزى * ولو انصف المظلوم لكان يهنى * جعل الله تعالى هذه الحادثه" بترا عقماء ليس لها مدد * ولا ليومها غد * وجعل العمل بها آخر عهد القاضى بالعسر * وخاتمه" لقائه لريب الدهر * ولا حرمه فيما نزل به مثوبه" الصابرين * ولا اخلاه فيما بعده من مزيد الشاكرين * برحمته

* * *

وكتب

Digitized by Birzeit University Library

﴿ وكتب الى مسكويه و قد تزوجت امه ﴾

العاقل اعزك الله تعالى لا يرى المحنة اذا تخطت دينه محنة * و لا يرى النعمة اذا تعلقت بذنب خطيئة نعمه * و لا يريد الشرف الا بالتقوى * و لا يرى الضعة الا ما وضع من رتبته فى الدار الاخرى * و بلغنى ما اختارته الوالدة صانها الله تعالى فحمدت الله تعالى الذى رزقك والدا لا يلزمك حق ابوته * و وعدك اخا لا يحملك حمل اخوته * و قد كنت اسأل الله تعالى ان يبارك لك فى حياتها * و الآن اسأله ان يعجل لك بوفاتها * فان القبر اكرم صهر * و ان الموت استر ستر * و لا تذهب نفسك حسرات على ما سبقك عليه الدهر وغلبك عليه الرزق فلا حيلة فيما احل الله * و لا مضايقة من حيث وسع الله * و للانسان اباء و الحمد لله الذى كان العقوق من جهتها * ووقع الجفاء من جنبتها * فانك بررتها صغيرا * و بلغت مرادها كبيرا * فاجتمع لك بران * و وقع لك على الله اجران *

﴿ وكتب الى صديق له على ديوان الخراج ﴾

الايام ايدك الله تعالى بينى و بينك ترجمة لى عن صحة وفائك * و شهود عندى على صدق اخائك * و اقل حقوقك على يلزمنى ان لا اشغل لسانى بغير شكرك * و لا قلبى الا بذكرك * و لو تجاوزوا طبقات اهل مودتك فى ميدان المقة * و تنازعوا خصل الانس و الثقة * رجوت ان اكون سابقا ليس له سابق * و لا يذكر معه لاحق * و ان تجلى الغاية منى عن محبة مرباة بالوفاء * و عن شكر مرضع بالدعاء * و قد بلغنى خبر سعيك لفلان فى العمل الذى هو دون قدره * و ان كان فوق اعمال عصره * فشكرتك عنه و ان كان شكرك اوفى و املا * و بايفائك حقك احق و اولى * و اردت ان اكل شكرك اليه * و لا اتطفل فيه عليه * فكرهت ان تطوى صحيفة الشكر و لم يجر لى فيها اسم * و ان تختم

Digitized by Birzeit University Library

جريدة المشاركة ولم يكن لى فيها قسم * فذكرته لك و انت له اذكر * و شكرتك عنه وهو لك منى اشكر * على انى ارغب بذلك الحر عن التلطخ باوضار الاعمال * فانها من الق اقدام الرجال * وضننا به عن تخاليط الايام * و صيانة لمحله عن مدانسة الاوهام * و نعمتك عليه مقتسمة بينى و بينه * بل اكثرها لى دونه * فاظنك بعارفة واحدة تكسبك شكرين * و تستعبد لك حرين * وجدير بمن هطلت عليه سحائب عنايتك * و رفرفت حوله اجنحة رعايتك * ان ينبو عنه سيف الزمان مفلولا و يرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوما و الله عز و جل اسأل ان لا يحرمك نعمة يمد اليك بها عنق ودود * و منة تفقأ عنك عين حسود * اخبرت انك ايدك الله تحدث نفسك بزيارتى و انه ليسرنى ان اخطر ببالك * و يسوءنى ان اصير زيادة فى اشغالك * و لا تجشم نفسك فان خيالك فى كل ليلة نائب عندى عنك * و ان لم يكن فيه و لا فى الدنيا كلها عوض لى منك *

﴿ و كتب الى ابى محمد العلوى ﴾

كتابى عن حضرة الوزير و انا راتع فى فضله * مستذر من الايام بظله * متعرف نعمة الله تعالى على به و قد كنت اشكو الى السيد ما منيت به من ضعف احتمالى لاعباء منن الوزير على * و سوء مجاورتى لاحسانه الى * و كنت اخشى ان اكون سببا لحرمانه غيرى من نزاع الآمال اليه * و وفود الشكر عليه * فيقدر ان كلا منهم يكفر النعمة كفرى * و يستر وجه الصنيعة سترى * و الكفر محبثة لنفس المنعم * فقصدته هذه الكرة لاقيم عذرى * و اقوم ببعض شكرى * و احط عن رقبتى تلك الاعباء التى قمت تحتها طليحا * لا بل قعدت نحوها طريحا * فما هو الا ان وردت حضرته حتى انثال على من عطاياه الغزار * و من نعمه الغرائب و الابكار * ما صيرامسى ابغض يومى الى * و يومى اكرمهما على * حتى لم تبق زاوية من زوايا الافضال الا اجال لى منها قدحا و اجرى باسمى عليها سهما ولولا ان بعض الشاكرين يسلف الشكر قبل ان يستحق عليه * و ينتحل البر قبل

ان

Digitized by Birzeit University Library

ان يسدى اليه * ويجعل ذلك استجلاب رزق * وايجاب حق * واقامة سوق * لكنت لا اقتصر على هذا المقدار شكرا * ولا اضعافه عشرا * ولكنت لا ارجع عن هذا الميدان الواسع بمقدار هذا الطلق * ولا ارمى هذا الغرض البعيد بمثل هذا الرشق * بل كنت لا انصرف وفى الجفير نبل * ولا انقطع وفى القريحة فضل * ولا ارضى من نفسى الا بان اصبح محسورا * وامسى مبهورا *

فقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

وما ظن السيد برجل ليس لعطائه اسم غير الجزيل * ولا لفعاله نعت الا الجميل * اول لقائه بشر * وآخره بر * ومقدمة فعاله الى زواره بشرى * وساقتها نعمى * اكثر ما يكون نوالا * اشد ما يكون السائل سوالا * واكثر ما كان الطافا * اكثر ما كان الزائر الحافا * واسهل ما كان حجابا * واطلق ما كان وجها ازحم ما كان شغلا واضيق ما كان وقتا واخصب ما كان نوالا * اجدب ما كان مالا * واعدل ما كان فى القضية * واحكم ما كان بالسوية * اخص ما كان المحكوم عليه وسيلة * وانفذ ما كان حيله * واوسع ما كان نطاقا * اضيق ما كان الخطب خناقا * واسمح ما كان حلما * اعظم ما كان الجانى جرما * واجرا ما كان مقداما * اهول ما كانت الحروب فخما * والعساكر عظما * واضحك ما كان سنا * اشد ما كان قلبه حزنا * واسمح ما كان بماله * لمن استفاد بحاله * لا يصارف فى عطائه * ولا يحاسب على آلائه * قد تكافأت اقسام فضله * وتناظرت محاسن قوله وفعله * فلم يشغله السخاء عن الشجاعة * ولا صرفه الحلم عن السياسة * ولا ثنى عنانه علم الحديث والاثر * عن علم الكلام والنظر * ولا قدح فى هيبته * ما اشربته القلوب من محبته * ولا بخس الرئاسة حقها * من حيث وفى العشرة حظها * فهو القوى من غير عنف * واللين من غير ضعف * والشجاع الا انه سخى * والحافظ الا انه ذكى * واللغوى الا انه نحوى * والسلطان الا انه تقى * والسائس الا انه اريحى * يسكت حلما لا حصرا * وينطق علما لا هذرا * ويحلم كرما لا غفلة ويمنع نظرا لا تقتيرا ويقدم شجاعة لا خرقا

Digitized by Birzeit University Library

و يتوقف حزما لا جبنا كل حسنة من حسناته واقفة على حد ما دونه تفريط و لا وراءه افراط يخرج مكارمه فى اقصد الافعال * و يزن افعاله فى كفة الاعتدال *

لا عيب فيه يعاب الا انى * اسى عليه من المنون شفيقا

بل عيبه انه فى زمان لا يسعه * و فى عالم لا يستحقه * و بين قوم يفعل و لا يقولون * و يحسن و لا يستحسنون * و يبصر و لا يستبصرون * و يروى و لا يروون * و منع واجب الاستحسان * قطع لمواد الاحسان * و تضييع حقوق النعمة * داعية من دواعى النقمة * و اقل ما عنده ان عطاياه قد صيرت المفحم شاعرا و جعلت العفيف سائلا كالمنهل يقصر رشاؤه * و يعذب ماؤه * فيشرب منه العطشان نهلا * و الريان عللا * و كالطعام يحسن فى العين و يطيب فى البطن و يخف على القلب فيأكله الجائع تغذيا و الشبعان تفكها و الحمد لله الذى اراني بهذه الحضرة الاغنياء يعملون عمل الفقراء * و الملوك يحترفون حرفة الشعراء * و ما رأيت حضرة اكثر منها داخلا راجيا * و لا خارجا راضيا و لا اجمع فيها بين وجهين مختلفين من بلدين متباعدين قد فرق بينهما الاصل و النسب * و جمع بينهما القصد و الطلب * فوردا و هما اعرى من الحية و صدرا و هما اكسى من الكعبة * و دخلا و هما اخلى من الراحة و خرجا و هما اغنى من الشمسة * حتى لقد صارت مجمع الرجال و مثابة العطاء * و ملتقى الرحال و موسم الشعراء * و قرارة ينصب اليها العلم و الادب * و قبلة يهوى اليها العجم و العرب * و ما فيهم الا من يود لو اصبحت جوارحه السنة تشكر * و قلوبا تحفظ و تذكر * هذا و فى شواهد احواله * ما يغنى عن استماع اقواله * و شاهد العيان * اقوى من شاهد البيان * و دليل البصر * اوضح من دليل الخبر * و ناوس كسرى امدح من شعر زهير بن ابى سلمى * و لو جحدوا كذبتهم العواقب * و لو سكتوا اثنت عليه الحقائب * جمع طبقات اهل الفضل رجلان اما اليه ظاعن * و اما

بحضرته

Digitized by Birzeit University Library

بحضرته قاطن * فالظاعن يحسد القاطن * والقاطن يستبطئ الظاعن * فقد نفضت اليه البلاد رجالها * وابرزت له جمالها * والقت له الارض افلاذ كبدها * وحسبك بالغلاء جالبا * وبالاحسان جاذبا * ومن صادف ثمرة الغراب لم يفارقها ابدا * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا * ولقد اصلحنى هذا السيد بل افسدنى * وقربنى الى الناس بل ابعدنى * لانى بعده لا استام الا العظيم * ولا ارعى الا الجميم * ولا استكرم الكريم * ولا الوم اللئيم * لان الناس كلهم فى عينى بعده لئام * فكيف اعيب ما اجتمع عليه الانام * ومن احمد مراده * وصادف من الماء والكلا مراده * لم يشرب الا من عفوه * ولم ينل الا من صفوه * ولم يلق دلوه الا فى جمه * ولم يرتع الا بين غدير وروضه * فها انا اصبح وامسى بين السرور والجذل * واتقلب بين العل والنهل * واردد الطرف بين الخيل والحول * قد استوفيت على الايام حواصلى وبقاياى * وضممت على مطالبى منها يمناى ويسراى * واصبح اعدائى وهم بالحاجة الى اوليائى * كما اصبح اصدقائى وهم بالحسد لى اعدائى * فلا طريق الى للفقر * ولا منفذ فى لسهام الدهر * والى الله تعالى المعذرة من لسانى العيى * وخاطرى البكى * وقد اسأت مجاورة هذه النعمة بكفرها * وسودت وجه هذه العارفة بقلة شكرها * وسوء الشكر * اول منازل الكفر * وقلة التهدى للنشر والاذاعة * اول طبقات الجحد والاضاعة * وقد رأيت بهذه الحضرة اقواما كنت شاهدتهم على باب سيف الدولة ومنهل الصبا عذب * وعود الشباب رطب * وذكرت بهم ما رب هنالك وايا ما سلبتها سلبا * ونزعت من يدى غصبا * ودهرا كأنى كنت اقطعه وثبا * فلما رأيتهم قد هاجروا الى هذه الحضرة * وجعلوها من بين الدنيا هجرة * علمت ان الكرم يتوارث بين الكرام وانه انحدر الى اصفهان من الشام * وان العلم والادب يتيمان ليس عليهما غيره وصى * وان المروءة والسيادة ايمان ما لهما سواه ولى * وان المغرب لسيف الدولة رحمه الله * والمشرق لحضرة الوزير ايده الله *

ارض مصردة وارض تنجم * منها التى رزقت واخرى تحرم
واذا نظرت الى البلاد رأيتها * تثرى كما تثرى الرجال وتعدم

Digitized by Birzeit University Library

فاما آل ابى طالب فانهم ينزلون منه على سيف التشيع و سنانه * و على يد الحق و لسانه * و ما ضرهم مع حياته ان لايعيش لهم الاشتر * و ماضرهم مع عطائه ان لاترد عليهم فدك و خيبر * غيرة منه على الشرف ان لا يصان عن الابتذال رحله * و ان لايحفظ فيه و له اهله * ذهابا بنفسه عن اتباع الانام * و تقليد الايام * فى اهانة الكرام * و اكرام اللئام *

ان الكريمة ينصر الكرم ابنها * و ابن اللئيمة للئام نصور

فلا جرم ان الايام تتطفل عليه من السعود بما لم يقترحه عليها * و تخرج له من خبايا الصنع الجميل ما لم يقدره لديها * لما رأته يخرج زكاة نعم الله تعالى عليه * و يستظهر باحراز ودائع الله تعالى لديه * فعنده فى كل يوم نعمة تصغر النعم * و تتعب فى اداء شكرها اليد و الفم *

و ما بلغت آمالنا منه رتبة * نراها رضا فى قدره المتجدد

و قد علم السيد انه ليس من فرق الاسلام فرقة الا و قد هبت لاهلها رويحة و دالت لها دولة كما اتفق المختار بن ابى عبيد للكيسانية * و يزيد بن الوليد للغيلانية * و ابراهيم بن عبيد الله للزيدية و المأمون لسائر الشيعة و المعتصم و الواثق للمعتزلة و المتوكل للنواصب و الحشوية و ما بلغنا ان احدا من اصحاب تلك الدول * زاد فى عدد تلك النحل * و لقد قتل المختار اهل الكوفة و بعث كتبه و رسله الى اهل البصرة فما قدر ان يزيد جحجمة و احدة فى عدد جماجم الشيعة و لقد رفع المعتصم سوطه و وضع سيفه و صلب * و صادر و سلب * و وعد و اوعد فنبا عنه الدهر بحاجته * و قامت العوائق عليه فى وجه بغيته * و هذا الرجل لم يزل يستدعى بقوله و فعله * و يستعين على عمارة المذهب بجاهه و ماله * و يجرد لسانه و السيف مغمد * و يغمد لسانه و السيف مجرد * حتى اذا علم الله صدق نيته * و مضاء عزيمته * و رآه لايريد الا رضاه * و لا يسلك الا طريق هداه * جمع عليه القلوب المتعادية * و الف له الاهواء المتباينة * فدخل الجميع دين الله افواجا * و تقاطروا على استجابة الدعوة فرادى و ازواجا * فلم يبق فى نواحى سلطانه احد من النواصب الا وقد غاصت عليه الرحمة و خلصت

له

Digitized by Birzeit University Library

له الدعوة فهو مبتدئ بالدرس قد نبغ * اومتوجه فى العلم قد بلغ * وان احدهم ليدخل فى الحق تحسنا * فيجد بركة الدين حتى يعتقده تدينا * والناس بالزمان والزمان بالسلطان * واذا اراد الله امرا كان * وما اقرب البعيد اذا صادف اسبابا * ووافق دعاء مستجابا * وما اسهل الصعب اذا حضره التسديد * واكتنفته العصمة والتأييد * وان رجلا يحيل طباع الزمان * وينقض بنية البلدان * ويفطم الناس عن عادة المنشا والف الاخوان والآبا ويصير حدا بين النار والجنة * وبرزخا بين البدعة والسنة * لعظيم حجم النهية * واسع ذرع البسطة بعيد مضرب العزم والنية ثابت مناكب الحول والقوة سالك فى طريقة لم يسلكها من قبله ولن يسلكها من بعده وشتان بين من يصطاد وحش الفلا * وبين من يصطاد قلوب الورى * وما ابعد ما بين من يبنى البنيان * ومن يبنى المقالات والاديان * واين من يعمر الرساتيق والامصار * ممن يعمر الجنة ويخرب النار * لا بل اين من يفترع عذارى الجوارى * ممن يفترع عذارى المعالى * ولكن كل قوم على مقاديرهم يدركون * وكل حزب بما لديهم فرحون * هذه ايد الله السيد شهادة ما اقتها حتى اعددت لتعديلى فيها مزكيين وهما السودد والكرم * ونصبت لقبولها منى قاضيين وهما النعم والنقم * وكتبت بها سجلا حررته يد الصدق * وطبعته بخاتم الحق * وحضرته من توفيق الله تعالى اذن تسمع وعين ترى فمن رضى بقولى فانما مدح نفسه * وزكى حسه * واشرف من الحق من قبله * واحسن من الحسن من فعله * ومن غضب فلا ارضاه الله * فانما سخط من الحق ما يرضاه الله * وباب الاحسان مفتوح فمن شاء دخله * وحمى الجميل مباح فمن اشتهى فعله * وليس على المكارم حجاب * ولا يغلق دونها باب *

اذا اعجبتك خصال امرئ * فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على المجد من حاجب * اذا جئته زائرا يحجبك

* * *

﴿ وكتب الى تلميذ له وقد استعار نسخة رسائله ينسخها فتمادى ﴾

انت مشغول بنسخ ما استعرته من الرسائل * ولا يسع القلب الواحد لكل هذه الشواغل * وغيرك من اصحابنا حريص على نسخها ولو كان القلم يمينه * والقرطاس جبينه * والثمن دنياه ودينه * فاعرهم اعزك الله تعالى فانى ان تتفرغ لها * قد فرغ غيرك منها * وحصل اليوم شكر المعير * وغدا فائدة المستعير * فاذا انت قد افدت واستفدت * وابدأت فى الربح واعدت * واجعل تعجيل ردها الينا * كفارة لما جنيته من حبسها علينا *

﴿ وكتب الى خوارزم شاه ﴾

بعدما كان الامير وسمنى من تقريبه لى * وتحفيه بى * سمة طار فى الناس ذكرها * وفاح بين العالم نشرها * وتوجهت الى المطالب * وقصدنى الراغب والراهب * وصرت مثابة من مثابات الوسائل * وصار بابى سوقا من اسواق الحاجات والمسائل * نزغ بيننا الشيطان * ودب الينا الحدثان * وكسدت عند الامير تلك السوق التى لم اشكره فى نفاقها * ولم اعانيه على كسادها * والامير بكرمه يقيم لى فى الظاهر رسم الانعام * ويعظم قدرتوفره على نصيبى من الاعظام * والناس يحسبون ان حظى من قلبه * حظى من ظاهر قربه * وان محلى من ضميره فى المحبة * كفاء محلى من ظاهره فى الرتبة * فلست اعدم كل يوم مستشفعا بى اليه * ولا يعلم هو انى عليه * ومستعينا بجاهى عنده * ولا يشعر انى اقوى اسباب الخيبة له * فان ردتهم ظنوا بى الظنون * ولاموني وهم لا يعلمون * وان اجبتهم * ظلمت الامير وظلمتهم * اما ظلمى للامير فتعريضه لرد الرسائل * واقامته مقام المانع الباخل * واما ظلمى لهم فبيعى المغشوش منهم * وتشرفى بما ليس عندى عليهم * وانى لابغض الظلم من نوع فكيف من نوعين * واكره ان اكون مسيئا الى واحد فكيف الى اثنين * وحاجتى الى الامير ان ينزلنى من لقائه وبشره * منزلتى من مكنون

صدره

Digitized by Birzeit University Library

صدره * وان يسمنى مع ابعادى عنه * كما يسمنى بتقريبى منه * وان يجعل هذه الاخرى سبيلا لسلامتى * كما جعل تلك الاولى سببا لغنيمتى * فانى شاكره على هذا الجفاء * كما شكرته على ذلك البر والاحتفاء * فان كل اللسان * او تعذر على خاطرى الاحسان * سرقت من كلام الامير ثم رددته عليه فاكون قد بعت منه بزه واهديت اليه ملكه واصير عيالا عليه فى مقاله * كما طالما كنت عيالا عليه فى ماله *

﴿ وكتب الى كاتب صاحب الجيش جوابا عن رساله مدحه وعاتبه فيها ﴾

فهمت كتابك الذى هو اشرف كتاب الى * قد رصع باظرف عتاب على * وما كان احوجك الى ان تجعل كلامك بمائه * وتحلى ظرفك الناصع ببهائه * فلا تشوبه بالعتاب * ولا تكدره بمر الخطاب * فتكون قد ادبتنا بصمتك * وعاقبتنا بعفوك * فكفاك سلاحا لك قراع الحلم دونك فلربما بلغ الاحسان من العقوبة ما لا تبلغه الاساءة * ودخلت المسرة مداخل تنبو عنها المساءة على انى ما اجهل منفعة العتاب * ولا انكر مرافقه بين الاحباب * ولا اشك فى انه يطرى خلق الود * ويجلو غبرة العهد * ويداوى ادواء القلوب * ويترجم عن خفيات الغيوب * وانه الانموذج بين الاولياء والاعداء * والجسر بين المدح والهجاء * والمصلح للعشرة الفاسدة * والمقرب بين الديار المتباعدة * ولهذا اشتقت افظة العتبى وهى الرجوع الى الرضا ولكن اذا كان مصدره عن شكاية * ومنبعه عن جناية * ووقع عن فترة فى الود عرضت * او ثلمة فى الانصاف حدثت * جمع الشمل * وجدد الوصل * وصقل ما صدئ من العشرة * وازال ما وقع من الفترة * واذا كان مصدره عن تجرم وتجن كان مفتاحا لباب العربدة * ومكدرا لصفو المودة * وترجمانا عن لسان القطيعة وانما هو دواء اذا لم يصادف داء استحال داء * واذا صادفه كان شفاء * وقد كانت هذه الواحدة منك فلتة وقاك الله شرها فمن عاد الى مثلها قتلناه بسم القطيعة وهو اشد الحتوف * وضربناه بسيف الهجر وهو امضى السيوف * ولولا

انى لا استخير مقابلتك * ولا ارعى معارضتك * لزعمت انك الظالم المتظلم * والمجرم المتجرم * و انك لما عرفت جرمك * وتذكرت ظلمك * وعلمت ما وجب عليك من العتاب * الذى هو ابلغ العقاب * و رأيت انك قد ارتكبت من القطيعة جريرة قد احلت عرضك الالسنة الواقعة فيك * واهدفت جانبك للظنون المظنونة بك * اخذت اخاك قبل ان يأخذك * و شكوته قبل ان يشكوك * و برزت هاربا فى ذى طالب * و خرجت جانيا فى معرض عاتب * و تكلمت بجراءة المنصف و تحتها جور الظالم * و ادليت بحجة البرئ و انت عين الجارم * حتى لقد كدت ان تشككنى فى نفسى و تغلبنى على علمى * و تجعل لوهمى سلطانا على فهمى * لولا يقينى بباطلك و معرفتى ان الاساءة فى شقك و الله تعالى المستعان على صديق نحن منه بين اثنتين اذا صار منا اذاقنا مرارة صده * و سامنا بشاعة فقده * وصفرت بيننا وبينه وطاب اللقاء * و اقفرت بيننا و بينه معاهد الاخاء * و دبت لنا و له عقارب القطيعة * و هبت علينا و عليه رياح الجفوة الفجيعة * واذا صالحنا نسب الينا المظالم * و تجرم علينا الجرائم * وعلى ذلك فصلحه احب الينا من حربه * وبعده اثقل علينا من قربه *

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

ذكرت انك مترجح منى بين وصل واعراض * ومرتبك من عشرتى بين انبساط وانقباض * و لقد صدقت فى الاولى * و لا اقول كذبت فى الاخرى * سقى الله ايامنا التى عاشرتنا فيها عشرة قصرت عن تناولها يد الدهر * و طرفت عن ملاحظتها عين القطيعة والهجر * و جلت عن ان تثلمها انياب السعاة * ونبت عن ان تمضى فيها معاول الوشاة حتى لقد دخلنا من الانس مداخل لا تطردها الحشمة * و فتلنا من الوصل مرائر البين و الغيبة * حتى اذا امنت عليك الدهر الذى لا يؤمن * و ائتمنت عليك العيش الذى لا يؤتمن * خالفتنى الى الود فهدمت منه ما بنيته * وسبقتنى الى الوصل فعوجت من اطرافه ما سويته * و ابرزت مصون الوفاء للغدر * و وضعت ربقة الاخوة فى يد الدهر * وسلطت على ما زرعته يد الوفاء * حاصدا من الجفاء * و ذكرت

بعد

Digitized by Birzeit University Library

بعد هذا كله انى استاذك فى الهجران و الصد * و تلميذك فى الوفاء و حسن العهد * وانك عرفتنى ثم انكرتنى * و استلنت مسى ثم استوعرتنى * و هذه دعوى قد سلمت اولها * وانكرت آخرها * وانا فيما عرفته لك * واست فيما انكرته عليك * فان العمر اقصر مدة * والزمان اصغر مسافة * من ان اخترمها معك بالعتب والعتاب * واستهلك نفسى منهما و منك من تكليف الابتداء و اقتضاء الجواب * فان المودة اذا كانت لا تنبعث الا بالاستبطاء * ولا يمشى امرها الا بالعتب والاشتكاء * كانت كالعلق النفيس يحتوى غصبا * ويؤخذ سلبا * وكان المطالب فيها كالصادر على قلبه * وكالمستنزل كرها عن حبه * و انا بعد هذا ابرأ اليك من عهدة خاطرى العليل * ولسانى الكليل * وكيف ينبعثان لى فى عتابك و هما مقصران فى مدحك * وكيف يسرعان فى حربك و هما بطيئان فى صلحك * هذا وطريق مدحك نهج قصد و طريق عتابك وعث وعر و جانب صلحك مورق مشرق * وجانب حربك مهول غلق * وانى لآخذ القلم لاكتب به عتابك فيتشظى على * ويسقط من يدى * وكيف تساعدنى بنانى * على ما يخالفنى فيه جنانى * وكيف يطيعنى بعضى فيما يعصينى فيه كلى و لو كنت احمد بن يوسف فى البلاغة * وعبد الحميد بن يحيى فى اتساع الكتابة * وجعفر بن يحيى فى الاختصار * وابا الربيع فى التوسع و الاكثار * وابا العيناء فى العارضة وابا العتاهية فى البديهة و ابن المعتز فى التشبيهات * وابا نواس فى الخمريات والطرديات * والعتابى فى المعاتبات * والنابغة فى الاعتذارات * وصريع الغوانى فى الاستعارات * و الفرزدق فى الفخريات * وجريرا فى المهاجاة وغلبت فى المخاطبة صعصعة بن صوحان * وقعت فى الفصاحة خالد بن صفوان * ونطقت بيتيمة ابن المقفع مرتجلا و اتيت بعجوز آل رقية مبتدعا وبعذراء آل خارجة مقتضيا و ضرب بى المثل فى المقامات لا بسحبان وائل * وبوهى به فى العى عندى لا بباقل * و حفظت حفظ الشعبى وحاضرت محاضرة ابن القرية النمرى وابدعت ابداع ابى تمام الطائى ووعظت عظة الحسن البصرى و جادلت جدل النظام فى الكلام و صنفت تصنيف الجاحظ فى الجد

والهزل * واربيت على اياس بن معاوية فى الذهن والعقل * وبهرجت الاصمعى رواية * وزيفت ابا عبيدة حفظا ودراية * وعلمت امير المؤمنين عليه السلام الحلال والحرام * ولقنت شريحا القضاء والاحكام * وصرت الذى زاده الله بسطة فى العلم والجسم * ووفقت توفيق سليمان فى الحكم * واخذ عنى بطليوس علم الهيئة وارسطاطاليس علم الفلسفة وبلنياس باب الطلسم والحيلة وقرأ على سيبويه نحو البصريين * والفراء نحو الكوفيين * واختلقت الى الهند فى تعليم الحساب * ودرس على ابو عثمان المازنى علم التصريف والاعراب * واقتبس منى الخليل عروض الشعر * وكان هاروت وماروت تلميذى فى السحر * وضرب على قالب خطى خط ابن مقلة وتوارث الكتابة اهل بيتى كما توارثها بنو ثوابة واملیت على ابن الكلبى شجرة النسب * وعلى ابى عمرو بن العلاء ايام العرب * واوتيت الحكمة وفصل الخطاب * وكنت الذى عنده علم من الكتاب * وعددت فى الراسخين فى العلم عدا * وقال لى موسى هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا * ثم حملت بعد هذا كله على ان يمضى بى فى عتاب الاخوان لسانى * او يجرى فيه بنانى * لقصر عن ذلك عنانى * ولارتبك فيه عقلى وبيانى * ولعيبت والحق معى * وانقطعت والحجة لى * وما اعتذر الى احد من عيبين بليت بهما * وخلقين ركبت منهما * جبنى عن الاصدقاء * وجرأتى على الاعداء * رأيتك ايدك الله تعالى قد تواضعت لى فيما تجليته من الفضل الذى لو صح لى لكنت فيه جنيبتك * ولسلكت فيه طريقتك * وانت بحمد الله تحسن ان تأخذ ما فوقك مما تحتك * وان تمدح نفسك بما تمدح به غيرك * وان تتواضع وانت ترتفع * من حيث يرتفع غيرك وهو يتضع * وان يخصك فى المراتب الكبر * من خص غيرك الكبر * ولست اقول انك صادق فادعى لنفسى فضلا * ولا انك كاذب فاناقض لك قولا * ولكنى اضع بيننا قول الاول

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المعايبا

ولولا انى اكره ان ننسب جميعا الى التقارض فى الثناء * وان نقعد تحت قولهم من ضيق الصدر سرعة الجزاء * لو صفتك ببعض ما فيك من

المحاسن

Digitized by Birzeit University Library

المحاسن التى انت فيها عريق صريح و غيرك فيهـا دخيل دعى وانت لهـا نسيب قريب وغيرك عنهـا اجنبى بعيد و بعد فانا والله معتد للايام بنصبى منك * متحمل لها شكر العارفة فيك * منـافس فى نعم الله تعـالى على بك لا افتح عينى على احب منك الى * ولا اضم جنـاحى على اعز منك على * ولا اقرأ لك كتابا الا يهون على ما قبله * و يزهدنى فيما بعده *

﴿ و كتب الى رئيس دامغان ﴾

انا اغار لما بينى و بينك ايدك الله تعـالى من ذل التملق * و من عشق التشوق * و اقشر لك عصا العتاب * و اتسرع لك بخشونة الجواب * اذ كانت الحـال بيننا مبنية على اساس الصدق * و مصونة بحمد الله تعالى عن شوائب المذق * و ليس بعد العتاب الا التقدم الى الصلة او النكوص الى القطيعة و انما هو جسر عن يمينه العتبى و الرجعى * وعن يسـاره النوى والشكوى * فلا تفتح من التجوز بابا اغلقته يد الوفاء * و لا تبح من الحفاظ جانبا حمتـه قضية الود و الاخاء * و لا يحتج فى الباطل بحجج هى اضعف من قلب العاشق * و اوهى من دين المنافق * وارق من امانة الفاسق * و اعلم ان كلام من ينصر الباطل لا يولد الا مخدجا * و لسانه لا يكون الا ملجلجا * و اقصر ما يكون بنانه * اذا طال لسانه * و انزر ما تجـده عقلا * اغزر ما تجده قولا * فان الباطل يصغر من حيث يكبر * و يقل من حيث يكثر * و ليس طلاقة اللسان بغير الحق الا اذى للسامع و حجة على القائل * و سلاحا لكل جاهل * و جنـاية على كل عاقل * و كل قليـل سد ثلمة الحاجة فهو كثير * و كل كثير وقع دون الكفـاية فهو قليل يسير * و شبكة المحال اوهى من ان يتشبث بها رجل محق * و كيد الباطل اضعف من ان ينفذ فى حق * و حسب الكاذب بفعله شتما * و بقلبه خصما * و بالسـكوت عنه ذما * و قد خرقت فيك حجاب المجاملة و لبست لك ثوب المكاشفة فان ادبك ذلك فؤدب الحر العاقل اخوانه * و مرآته زمانه * و سوط

Digitized by Birzeit University Library

الفرس الجواد عنانه * و ان ابيت فها انا باخع نفسى على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا

﴿ وكتب الى خوارزم شاه ﴾

كتبت الى صاحبى بتلك الناحية يعرفنى انتشار ما لى بها * و تمرد شركائى فيها * و ما كنت اظن بقعة يجوز فيها للامير ختم * او ينفذ له فيها حكم * تعلو بها للباطل راية * او يكون بها للظلم على العدل ولاية * و من العجائب ان اكتسب الدرهم فى بقاع لم انبت فيها * و لم اخرج منها * ثم يؤخذ منى فى عشى الذى فيه درجت * و بيتى الذى منه خرجت * و ان احمله فاقطع به لجج البحار * و فيافى القفار * و يسقط منى على باب الدار * هذا و قد علم الامير ان والدى رحمه الله تعالى خلف على ما لو خلفه على اهل بلد لكفاهم * و لو فرقه على فقراء الدنيا لاغناهم * فما زالت صروف الدهر بخوارزم تقاتلنى جهرا * وتخاتلنى سرا * حتى خرجت منها اعرى من حية بعد ما كنت اكسى من بصلة وافقر من الحجر بعد ما كنت اغنى من الكعبة واعطل من المحرم بعد ما كنت احلى من الشمسة قد كسرت كسر الجوز * و قشرت قشر اللوز * و جرى على فى مسقط رأسى و مجمع اسرتى * و مقطع سرتى * من الغرم الثقيل ما كان من الثقل اثقل * ومن الذل الطويل ما كان من الطول اطول * و مر على رأسى ما لو مر على رأس الشاب لشاب * و لو نزل بالحديد لذاب * على انى حيثما كنت تاج على خوارزم معقود * و شرف لها معدود * و مشهد فيها مشهود * و مقام من مقاماتها محمود * و كل من رآنى مدح بلدا كنت من اهله * و فدى والدا انا من نسله * و مهدى بمثلى يغنم * فصرت اليوم اغنم * فسبحان من جعل القصر المشيد بئرا معطلة و جعل الغانم غنيمة و صير السالب سلبا و حول الراكب مركبا و ادار الفلك فيما يدل على اضطرابه * و يترجم عن خرقه وانقلابه * و مثلى ايدك الله تعالى اذا ابتذل استوحش * و اذا استوحش اوحش * و من وطئ العقرب اوجعته و ان اوجعها * و لسعته وان لذعها * ومن فل السيف برأسه انكسر

منه

Digitized by Birzeit University Library

منه اكثر مما كسر * وخسر اكثر مما خسر * وان من باعنى لقليل البصيرة بالبيع والشراء * ردئ المعرفة بابواب الاخذ و العطـاء * مستريح مما تعبت له نفوس الكرماء * نائم عما لم تزل تسهر له عيون العقلاء * والسلام

﴿ وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب لما شارف نيسابور ﴾

مرحبـا بالقمر الطـا * لع فى جنح الظلام
مرحبـا بالاسـد الور * د وبالجيش اللهـام
مرحبـا بابن شبيب * و اياديه الجسـام
مرحبـا بالرجل الاو * حد من بين الانام
مرحبـا بالكاتب الجز * ل وبالحبر الهمام
قد نجونا منك يا بيـ * ـن فودع بسـلام

سبقنى ايدالله صاحب الجيش فلم املك عنانه * وجمح بى خاطرى فلم اضبط زمامه * فكتبت هذه الابيات وجلتى بيد الطرب * وتماسكى فى قبضة العجب و العجب * وخرجت من ربقة الوحشة * وهى شـبكة الغم والدهشـة * حتى لاحت لى رايات اللقاء * وفاحت روائح الالتقاء * وعلمت انى قد رزقت على الدهر دولة واعطيت على الغم كـرة ووردت البشارة التى جعلتها تاريخ احسان الدهر * وغرة وجه العمر * ودرياق القلب والصدر * وعلمت ان الله تعـالى لم ييسر هذه القدمة * ولم ينلنى هذه العزمة * الا وقد اراد بى خيرا * واعتمد لى احسانا وبرا * وقدر ان يثلج صدرى ويشد بها ازرى * ويقوى ظهرى * وينصف لى من دهرى * ويهزم عساكر الزمان عنى * ويفرق شمل الحدثان دونى * ويرزقنى النظر الى وجه من صنعنى * وخرجنى واصطنعنى * فتعلمت الترسـل من نثره * واصبحت شاعرا برواية شعره * ووطئت بسـاط الملوك بعنايته اولا وراضعتهم الكاس بجميل نظره ثانيـا هذا من دقاق آثاره لدى * ومنسى صـنائعه الى * وانما ذكرت قلا من كـثر * واشرت بلمحة الى بدر * فالآن حين اجر ذيل

Digitized by Birzeit University Library

الفرح * واتسربل الجذل والمرح * وارى اهل نيسابور خاصة * واهل المشرق عامة * ان خوارزم بيت الرجال * ومعدن الكمال * ومنبت الفضل والافضال * وان فى الزوايا خبايا * وفى الرجال بقايا * وان البقاع متساهمة فى الفضل * ومتفاوتة بمقادير الاهل * وودت ان صاحب الجيش يركب النجم السيار * ويمتطى الفلك الدوار * ويطوى المنازل طى الرداء * ويصل الغداة بالعشاء * بل وددت ان الريح تحمله * او ان البراق ينقله * وان الخضر يصحبه خليلا * وسليمان بن داود عليهما السلام يرافقه زميلا * ليصغر حجم الانتظار * وتقل مدة بعد الدار *

ولا اعتد فى الدنيا يوم * يمر ولا اراك ولا ترانى

وها انا ايد الله تعالى صاحب الجيش سيف طرير * وسنان شهير * ولسان على الاعداء مسلول * وسلاح على حساد النعمة مصقول * اذا ورد ايده الله تعالى لزمت بابه * وصحبت ركابه * وكنت بوابه * وقد اعلمت من سالنى عن صاحب الجيش انه رجل طلع به النجم مرة ودار به الفلك فلتة وولدته امه غلطة وسعد به الزمان خلسة * فهو فى الرجال علم وفى الكمال عالم وفى الزمان واهله غريبة * وبين الدنيا وبنيها يتيمة * قد كنت سألت صاحب الجيش حاجة صغرت عن ان تلحظها اجفانه * او يجرى بقضائها لسانه * ولكن الحاجة على قدر السائل * لا على قدر الباذل * والهبة تصغر وتكبر فى وزان الطالب * لا فى وزان الواهب * والصغير اذا احتيج اليه كبير * كما ان الكبير اذا استغنى عنه صغير * ولو تبارى اهل الشكر فى رهان * وجروا نحو الغاية فى ميدان * لبرزت فى الحلبة الاول * وكنت فيما بينهم الاغر المحجل *

ولو ان للشكر شخصا يبين * اذا ما تأمله الناظر

لصورته لك حتى تراه * فتعلم انى امرؤ شاكر

وصلت الجارية فقبلتها بالطاعة * ورددتها بالدالة عليه فى الساعة * لان فلانا صديق قد ملكها وانا اكره ان اعاشر رجلا له فى دارى غلاف * وان تكون عندى مضربة لها غيرى لحاف * فما اقبح بالحر ان ينادم من شركه فى

حرمته

Digitized by Birzeit University Library

حرمته * وسبقه الى باكورته * فيجلس فلان على لبد * ويجتمع سيفان في غمد *

﴿ وكتب الى صاحب جيش خوارزم وورد عليه كتابه بعد علته يعتذر اليه من ترك العيادة ويتوجع له من العلة ﴾

هذا كتابي اطال الله تعالى بقاء صاحب الجيش عن سلامة الا من الاهتمام لعلته * ومن التذمم لترك عيادته * ومن العتب على الايام الجارية الراكدة الفاترة * الظالمة الجائرة * فيما دهمت به الكرم واهله * والفضل وشمله * والحمد لله تعالى لا على انه حمد مستزيد فيما ناله * مستمد بالشكر لما اصابه * ولكن اقامة لرسم العبودية * وسلوكا في نهج البشرية * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله خير البرية ورد على كتاب الشيخ صاحب الجيش بعد قرم هزني * وتطلع طويل اوروده اقلقني واستفزني * وبعد اني حاسبت لتأخره عني نفسي على ذنوبي واستدركت عليها عيوبي * وجلت في زوايا جناياتي عليه * واسا آتي اليه * انظر بايتها استحققت ان اطوى في ادراج الجفوة * واجلس على قافية التغير والنبوة * اذ كنت اعلم ان صاحب الجيش اعرق في الكلام نفسا * واصدق في الفضل حسا * من ان يعاتب وفي الصبر فضلة * او يؤاخذ والاحتمال جهد * فلما كاد الكرب ان يستحوذ على خاطري * ويستوعب حساب صدري وصبري * طلعت على النعمى * في اثناء البشرى * وانفرجت لي ضبابة التخمين * عن نور اليقين * ووصلت الى السعادة * تكتنفها الزيادة * وفضضت الكتاب الكريم عن كل ما اجذل النفس وسرها * وبرد العين واقرها * حتى وصلت منه الى خبر العلة فدارت بي الارض وهي ساكنة واظلمت على السماء وهي مسفرة وضاقت على الدنيا وهي واسعة فقلت قبح الله تعالى الدهر فانه على ذوي الكرم الب * وعلى الفضل واهله حرب * وللؤم واللئام حزب * واللادب ورهطه عدو معاند * وللجهل وذويه ولي

معاضد * ثم رجعت الى ادب الله تعالى ذكره فوجدت ساحة الصبر اوسع و مطية الدعاء اجل فقلت اللهم ارفع عن مهجة المكارم اذاها * و ادفع للمجد عن تلك النفس النفيسة و الروح الاريحية ما يبيح حماها * و تصدق علينا و عليه بهذا الواحد الذى بقاؤه جسر بين دولة الفضل * و كرة الجهل * و برزخ بين مد الجود و جزر البخل * ثم انشدت

ما حال من كان له واحد * يمرض عنه ذلك الواحد

و انا اتوقع كتاب صاحب الجيش بخبر العافية فان تأخر كنت جنيبه فى العلة و ان ورد عمرت المساجد صلاه * و ملأت الفقراء و المساكين زكاه * و صمت حتى تعاتبنى بطنى سغبا * و قمت حتى تخاصمنى رجلاى تعبا * و صليت صلاة امامية * و عبدت عبادة علوية * ولم افعل مافعله ابن نوفل حيث قال فى ابى شبرمة

فغزوان حر وام الوليد * ان الله عافى ابا شبرمه
جزاء لمعروفه عندنا * و ما عتق عبدا لنا او امه

فسأله جار له عن غزوان و ام الوليد فقال سنوران فى الدار فاعتد بعتق رقبتين وهو يعتق سنورين * ولكن افعل ما فعل قيس بن معاذ مجنون بنى عامر حيث يقول

انا جهلنا فحلمناك اعتلات ولا * و الله ما اعتل الا الظرف و الادب

و اذا اتصل بى خبر العافية الذى هو عندى عافية الدين و الادب * و الفضل و الحسب * قلت

و ما اخصك فى برء بتهنئة * اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

اردت ان اركض الى حضرة صاحب الجيش ركضا يتقدم الايغال * و يقتل الخيل و البغال * حتى اصل السير بالسرى * و اجمع بين العصر والاولى * فاشاهد نعمة الله تعالى عليه و علينا به فى افراقه من علته * و اكتسائه ثوب عافيته * ثم تطيرت لنفسى من ان انظر الى ولى نعمتى وبه آثار الصفرة * و الى جسمه

وبه

Digitized by Birzeit University Library

وبه بقايا الفترة * هـذا بعد ان جمعت منتشر اسبابى * ووضعت رجلى فى ركابى * ورفعت عصا السفر * وسلمت نفسى الى القضاء والقدر * وانشدت قول الفرزدق

ونعود سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكى كان بالعواد

ثم اتبعته قول ابى الطيب المتنبى

حق الكواكب ان تعودك من عل * وتعودك الآساد فى غاباتها

ولقد جنت الايام على الاحرار جرما عظيما * وانت الى الكرام فعلا ذميما * وترجم الدهر بانه لئيم لا يحب كريما * جعل الله تعالى هذه العلة آخر علل الكرام * وخاتمة جنايات الايام * ولا ارانى الله بعدها فى صاحب الجيش الا ما يضحك منه العلى * ويطلق وجه الغنى * ولا فجع بسلامته الدين والدنيا *

﴿ وكتب الى ابى الحسن المعروف بالبديهى الشاعر زعم يعبث به ﴾

لست اعاتبك عافاك الله تعالى لان العتاب يصلح منك * او يعمل فيك * او لان جهلك جهل يعالج بالعذل * او يداوى داؤه بالقول * كلا عافاك الله تعالى جهل الناس عرض وجهلك جسم لا يزول الا بالفعل * ولا يقع دواؤه الا من الكف والنعل * ولكنى انما اردت بهذه الرسالة ان تتوجه عليك الحجة * وان تنقطع عنك العلاقة والعلة * وان كانت ترد منك على عين عمياء * واذن صماء * وقلب لا يعرف النقصان الا فى ماله * ولا يحس بالالم الا فى جسمه * ولا يجد للنقص مسا ولا للعيب وقعا ولقد عققت هذا الكلام بك * وضيعته فيك * ووجهته منك الى من نزه عنه العتب لغباوته * والشتم لحقارته * ولو قدر الكلام على عقوبة من صنعه * وتوصل الى تضييع من ضيعه * لعاقبنى بان يطيل هجرانى * ويكون هذا آخر عهده بلسانى وبنانى * فها انا المظلوم الظالم * والمخاصم المخاصم * ظلمتنى بلؤمك * فظلمت الكلام بلومك * وخاصمتك فى جهلك * فخاصمنى العقل فى عذلك * فيا من جمع على مصيبتين * ووضعنى

على طريق الظلم من جانبين * ويا من ابت العجائب فيه ان تردنى الا من طرق شتى * وان تقع الا مثنى مثنى * وليس محنتى فيك باعظم من محنة الحق الذى لم تزل تعبث به حتى لو تجسم نفسا لسعيت فى ذمها * او تمثل دارا لجهدت فى هدمها * كأنك لم تخلق الا لتطمس عين النور * وتقلب اعيان الامور * فتجعل الضوء ظلمة وتعكس البدعة سنة حتى كأن سوفسطا استخلفك على جحد مايدرك عيانا * ويعرف ايقانا * فانت وارثه فى الباطل * وناصر جهله على كل عاقل * وحتى كأن الله انزل عليك قرآن ضلالة * وبعث اليك رسول جهالة * وقال لك خالف الاجماع وانت على السنة * وعاد الصواب وانت فى الجنة * واوحش الاحرار وانت اصل الحرية * وباين الناس ومنك منبع الانسانية * وانصر اللؤم وانت الكريم * وناقض الحكماء وانت الحكيم * لو علق القبيح بالثريا لصعدت اليه * ولو دفن المحال فى تخوم الارض السابعة لغصت عليه * الجميل عدو لك تحاربه * والسداد ضد من اضدادك لا تقاربه ولا تناسبه * فانت العكس الا انه يمشى على رجلين * والجور الا انه ينطق بلسان وشفتين * والجهل الا انه مخاطب * والعمى الا انه مثاب معاقب * لو سئلت عن يحيى بن زكريا لذكرت انه زنى * ولو ذوكرت فى القائم ادعيت انه مضى ولو استخبرت عن ابليس ذكرت انه سجد لآدم * ولو نوظرت فى عيسى نفيته عن مريم * ولو انشدت شعر امرئ القيس لنسبته الى الاخطام * ولو ذكر ابو جهل حكمت له بالاسلام * ولو استحسن كلام مزبد قلت انه ميت الخواطر * فاتر النوادر * ولو سمعت خطب امير المؤمنين على عليه السلام استعييت بيانه * ولو مررت بايوان كسرى استقللت بنيانه * ولو رأيت بناء ارم ذات العماد استصغرت شانه * ولو اجرى حديث الحسين بن على عليهما السلام صوبت رأى قاتله * وعذرت فعل جادله * ولو حكى قول فرعون انا ربكم الاعلى قلت ما اخطا ولا تعدى ولوسمى ابن عباس نفيت عنه علم التأويل * وتحلته الجهل بمتن التنزيل * ولو خوطبت فى التراويح اخذت بابتداعها الشيعة * ولو عد الاجبار والتشبيه الزمت دينهما المعتزلة ولو انشدت * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * ما رضيت نظمها * ولو اسمعت * لا يذهب العرف بين الله والناس * ما استحليت طعمها *

ولو

Digitized by Birzeit University Library

ولو حلم الاحنف بن قيس استخفت عقله * واستعظمت جهله * ولو استفتيت
فى فريضة ادعيت فيها اجماع الامة * واتفاق الأئمة * ولو اعيد حديث
ذى القرنين واستيلاؤه على الخافقين احتقرت سعيه * ولو تعجب الناس من بناء
الهرمين اخذت تذكر انتقاصه و وهنه * ولو استبدعوا صنعة الخليل العروض
اخذت تزعم انه ما احدث امرا * ولا افترع بكرا * ولو استحسنوا وضع كليلة
ودمنة وصفت ان امثالها غثة * وان حكمها رثة * ولو فضل التوحيد
افردت به النصارى ولو عيب الثنوية برأت من عيوبهم مانى ولو غنيت
بالحان ابن شريح ومعبد قضيت عليهما بانهما من بابة التوبة والعبادة * ومن
شريطة النسك والزهادة * ولو مدحت العافية اسهبت فى ذمها * كما لو
فضلت السعادة اكثرت فى شتمها * ولو شاهدت الهند عبتهم فى ضعف العزيمة
كما لو دخلت بلاد الصين لمتهم فى رداءة الصنعة ولو عاينت العرب رميتهم
بضيق البيان واللغة وقلة العارضة والبديهة ولو قرأت سيرة عمر بن الخطاب
رضى الله عنه زدت فيها سن المنعة ولو عثرت بحديث يزيد بن معاوية عددت
فى فضائله يوم كربلا والحرة ولو قرئ بين يديك القرآن عارضته بنوادر ابى
العبر و بكلام يحبب الغلط ولو لحظت السماء قلت ما اسوأ ما دحيت ولو درست
ايام الفرس هجوتهم بقلة السياسة وضعف التهدى للعمارة ولو خوفت بيوم
القيامة ذكرت انه يوم قصير صغير * وان الخطب فيه يسير حقير * ولو
فوتحت فى حديث العنقاء حلفت انها باضت وفرخت فى بيتك * ودرجت فى
وكرك * وانك طالما سقيتها واطعمتها * وطالما اسرجتها والجمتها * ولو عظم
امر التنين * وحكى الخلاف فى اثباته بين المصدقين والمكذبين * اقسمت انك
اصطدته من البحر بشبكتك * ورميت به فى السحاب بقوتك * ولو عدت
انساب العرب شهدت ان الشرف فى سلول وجرهم * وفى عدى وتيم * وان
هاشما فى قريش اذناب * كما ان دارما فى تميم اوشاب * غايتك ان تزعم
ان هشام بن الحكم ناصبى وان ابا الهذيل العلاف نابتى وان ابا بكر الاصم
شيعى وان واصل بن عطاء حشوى وان سليمان الاعمش خارجى وان عبد
الحميد بن يحيى امى وان رؤبة بن العجاج اعجمى وان اياس بن معاوية

Digitized by Birzeit University Library

شامى وان معاوية اول من احيا السنة وامات البدعة كما ان الحجاج اول من سن الرحمة ونسخ القسوة وان النابغة الذبيانى لم يحسن الاعتذار * كما ان ابا نواس لم يصف الخمر ولا الخمار * وكما ان ابا بكر الصنوبرى لم ير الانوار ولا الازهار * وان طفيلا الغنوى ما ركب * كما ان اعشى قيس ما شرب * وان العفاف هندى كما ان السخاء رومى وان الوفاء تركى كما ان العقل صقلى وان التشيع شامى كما ان النصب كوفى وان التجار اقل خلق الله كذبا كما ان الملوك اصغر الناس همما وانه ليس شئ اقل تخالفا وتناقضا من روايات المحدثين * ولا كلام اقل سخفا وهجرا من اشعار المناقضين * وان ابليس اصاب فى تفضيل النار على الطين * فلذلك جعل من المنظرين الى يوم الدين * وان هاروت وماروت قد احسنا فى عصيان الرب * ومواقعة الذنب * فلذلك صارا فى السحر امامين * وللخلق معلمين * وان الدين لعبة لاعب * كما ان التوحيد كذبة كاذب * وان الوحى اساطير الاولين * وان السنة ارجاف المكلفين * وان العالم يركب متن عمياء * وان الموحد يخبط خبط عشواء * وانك من بينهم الذى خص بالعلم القديم * واخبر بالنبأ العظيم * واو انك زهير لانفت من ان تقول

واعلم ما فى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عمى

وكذلك لو كنت زيادة بن زيد ما قلت

اذا ما انتهى علمى تناهيت عنده * اطال فاملى ام تناهى فاقصرا

وانك لو سمعت عليا يقول سلونى قبل ان تفقدونى * سألته حتى يقول دعونى فقد افحمتمونى * وانك لو امدت بك الملائكة ما قالت سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وان اباك آدم لو اعين بك ما لعب ابليس به * ولا انف من السجود له * وان عمك قابيل * لو رآك ما اقدم على اخيه هابيل * وان امك حواء لو رأتك نشزت على ابيك * عشقا لك ورغبة فيك * وان العجم عرب اذا كنت فيهم * كما ان العرب عجم اذا بنت عنهم * وان الرياض انما اكتسبت طيب ريح لانها تستمد من نكهتك * وان النجوم انما اعطت ضوءها من ضوء غرتك * وان الخيل ما اختالت فى مشيها الا لانها حملتك * وان الطير انما لحنت

اصواتها

Digitized by Birzeit University Library

اصواتها لانها عشقتك * وان البحـار انما ماجت وزخرت هيبة لك * وان الجن انما توحشت وخفيت لانها حسدتك * وان الشمس انمـا جعلت مبصرة والقمر انما جعل آية ممحوة لان الشمس تواضعت لك بالتأنيث والقمر نازعك فى التذكير وان عدى بن الرقاع تحول فى هيكلك و نطق على لسانك حيث قال

وعلمت حتى ما اسائل واحدا * عن حرف واحدة لكى ازدادها

و ان هذا البيت معه طفيلى وفيما بين شعره دعى وانت احق به * واملك له منه * وانك نظرت الى عيب كل ذى صناعة من وراء ستر صفيق حتى عرفت مخاريق المنجمين بكذبهم فى الاحكام * وغلطهم فى حوادث الايام * وعرفت اختـلاف النحويين * بتخالف الكوفيين والبصريين * وانهم لو ابصروا الرميه خرج السهم سديدا ولوعرفوا الطريقه كان المقصد قريبا وان الخلاف دليل على ركوب المحال * وان ليس بعـد الحق الا الضلال * وعرفت ابطال الاطبـاء بمناقضه الرومى الهندى و تـكذيب الفارسى اليونانى و ان عيش البدوى فيمـا فيـه موت الحضرى وان الذى يموت على ايديهم من المرضى اضعـاف من يعيش و يبقى وعرفت تخبط اللغويين بافتنـان لغات القبـائل * و تباين السن اهل المياه و المنازل * فلغه عدنان غير لغه قحطان * ولغه خندف غير لغة قيس عيلان * و المعدى يقول ان هذين لساحران * و الحارثى يقول ان هذان لساحران * وعرفت عناد الفلاسفة بادعائهم قدم الطينة و انكارهم ما يعاينونه فى انفسهم من الدلالة و قلت كيف يعرف غيره من انكر نفسه وكيف يستنبط الغـائب ما لا يرى الحاضر وعرفت جهل المهندسين بجهلهم جذر العشرة وهى اس العدد * واول منازل العقـد * و قلت كيف يعرف الكثير من لم يعرف القليـل وانى يحكم الفرع من لم يحكم الاصل وكما لا يجهل الواحد من عرف العشرة فكذلك لا يجهل العشرة من عرف المائة وعرفت حيرة المحدثين بتنـاقض رواياتهم * واختـلاف كلماتهم * وان احدهم يثبت الرواية ثم ينفيها * ويجلد بالكبيرة ثم يرخص فيها * ويحل الشئ ثم يحرمه * ويصغر الاثم ثم يعظمه * وعرفت شـك المفسرين * بان احدهم يسمع قول

الله تعالى بلسان عربى مبين * و قوله و ما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ثم يقول استبرق فارسية و سجيل اعجمية و سندس عبرانية و ناشئة الليل سريانية و ان هذان لساحران حارثية ثم عطفت بعد هذا كله على نفسك فقلت انا الطبيب الذى لا يموت من شفاه * ولا يمرض من داواه * و النحوى الذى لا تختلف علتاه * و لا تنقض باولى قوله اخراه * والمحدث الذى لا تتناقض روايتاه * و لا يثبت ما نفاه * والفيلسوف الذى لا يحمل طبيعة على شريعة و لا يختص بعلم عقل دون علم رياضة و المهندس الذى يعرف الجذر الاصم * و يهون العقد الاشد و المنجم * الذى قلبه كتابة * و عينه اسطرلابة * قد سمعنا عواءك ايها الراضى عن نفسه و الغضبان على غيره و العاشق لفعله و المبغض لافعال دهره فلا جزاك الله خيرا لا عن الحق عدوك * و لا عن الباطل صديقك * اما الحق فلانك هدمت مناره * و طمست آثاره * و اما الباطل فلانك ابرزته فى معرض الفضيحة حتى هتكت استاره * و كشفت عواره * و نشرته حتى ظهر مضمره * و نصبته حتى ظهر زهوه * و انما يقبل الناس من البطل ما يشبه الحق * و يأخذون من الكذب ما يحاكى الصدق * فاما الباطل الذى تبصره العين العمياء * و تسمعه الاذن الصماء * و يستوى فى ابراز شخصه النور و الظلماء * فانه ينهى عن نفسه * و ينذر الابصار والبصائر بعينه * و ينادى بنقص من نطق به فيا من لا يقبله الباطل و لا الحق و لا يناسبه الجور و لا العدل الى ما ذا انسبك بعدهما * و الى اين اذهب بك عنهما * رحمك الله تعالى

و هذا دعاء لو سكت كفيته * فانى سألت الله فيك و قد فعل

فلو قسم الله تعالى من الرحمة جزءا لا يتجزأ لما جبلك كما جبلك * و لا خذلك كما خذلك * و انى لاعلم ان دعائى هذا اول خائب * و ان سهمى فيه غير صائب * و لكنى اصانعك به * و اسخر منك فيه * فاقول رحمك الله تعالى انا لو سلمت لك انك انسان نفيت عن نفسى الانسانية * و صحبت عليها البهيمة * اعلى منك فى النقص حكمة * واعظم منك فى الجهل طبقة * فشر من الجهل نصرة الجهال * واسوأ من الضلالة الاحتجاج للضلال * لا ترضى ان تصير

فى

Digitized by Birzeit University Library

فى صناعتك ذنبا و قد كنت فيها اصلا ولا بان تكون تلميذا و قد كنت قديما فيها استاذا تواضع بنا رحمك الله تعالى فان التواضع خلق من اخلاق السلف * و شبكة من شباك الشرف * و تصدق علينا ببشرك فان الله يجزى المتصدقين * و احسن فان الله يحب المحسنين * و لاين اخوانك فى فعلك و قولك * فلو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك * ولولا انى رحمك الله تعالى لا اقول بالرجعة ولا اذهب مذهب التناسخية لظننت ان جميع ما انطوى من العالم تحول فى هيكلك * و انحصرت محاسنهم فى شخصك * و لظننت انك يونس بن فروة الذى قيل فيه

اتى ابن فروة يونس و كأنه * فى كبره اير الحمار القائم
ما الناس عندك غير نفسك وحدها * فالناس عندك ما خلاك بهائم

فلقد اعجبت بنفسك الحسيسة التى لا تستحق العجب * و احببت منها ما لا يساوى الحب * حتى كأن كسرى انوشروان حامل غاشيتك * و كأن قارون وكيل نفقتك * و كأن بلقيس ذات العرش العظيم دايتك * و كأن مريم البتول امتك * و حتى كأن ريح عاد هبت من غضبك * و حتى كان العود و جميع الملاهى وضعت اطرابك * و حتى كأن المريخ يستقى من صولتك و مضائك * و عطارد يستمد من لطفك و ذكائك * و حتى كأن زرقاء اليمامة لم تنظر الا بمقلتك * و كان لقمان لم ينطق بغير حكمتك * و كأنك بنيت منارة الاسكندرية من آجر دارك و وسعت ملعب سليمان عليه السلام من بقايا ملعب صحنك و كأنك علمت زيادا السياسة * و افدت عبد الحميد الكتابة * ولقنت يحيى بن خالد الفصاحة * و القيت على الحسن البصرى المحبة * و على الحجاج بن يوسف الثقفى الهيبة * و حتى كأنك زرعت غوطة دمشق و شققت انهار البصرة و هندست كنيسة الرها و وضعت قنطرة سنجة و حتى كأن سد ياجوج وماجوج بيديك * و الامر فى خروجهم موكول اليك * وليس بين الامة و بين ان ينسفوا زرعهم و ضرعهم * و يجوسوا برهم و بحرهم * الا لفظة من الفاظك * و لحظة من الحاظك * و حتى كأن فضائل امير المؤمنين على عليه السلام من فضائلك مسترقة * و عجائب بنى اسرائيل من

عجائب صنعك ملتقطة * وغرائبهم من غرائب فعلك مستنبطة * وحتى كأنك جعلت صخرة موسى عليه السلام عتبة بابك * وحتى كأن الحان داود عليه السلام بعض ما يسمع فى محرابك * وحتى كأنك جعلت من مائدة عيسى بن مريم غداءك * ومن كبش اسحق عشاءك * وحتى كأنك امرت شداد بن عاد * ببناء ارم ذات العماد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد * وحتى كأن خالد ابن الوليد قاتل تحت رايتك * وقتيبة بن مسلم فتح البلاد ببركة دعوتك * وحتى كأنك وضعت التقويم لآدم بن يحيى وحللت الزيج الاول وعدلت الطبائع الاربع وحتى كأنك كشفت لبطليموس الفلك حتى نظر اليه * ومثلت لجالينوس تركيب الجسد حتى وقف عليه * وحتى كأنك اورثت بنى اسد العيافة * وبنى مدلج القيافة * وعلمت شقا وسطيحا الكهانة * وحتى كانك علمت حاتم بن عبد الله السخاء * والسموأل بن عاديا الوفاء * وقيس بن زهير المكر والدهاء * واياس ابن معاوية الفطنة والذكاء * واخذ عنك سيف بن ذى يزن اخذ الثار * والادراك بالاوتار * وحتى كأنك دعوت لبنى اسرائيل حتى جعل الله فيهم انبياء وملوكا وآتاهم ما لم يؤت احدا من العالمين ثم دعوت عليهم حتى ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله وحتى كأن خاتم الخلافة فى خنصرك * وحساب الدنيا دخلها وخرجها فى بنصرك * وحتى كأن الشمس تطلع من جبينك * والغمام يندى من يمينك * وكأن البحر يمد اذا امرته * ويجزر اذا زجرته * وحتى كأن كسرى انوشروان صاحب نفقة اصطبلك * ونمرود بن كنعان قهرمانك على ولدك واهلك * وحتى كأن تكريت محل دارك * والدرة اليتيمة اخس سوارك * وحتى كأن رستم بن دستان عجز عن مد قوسك * واسفنديار ابن كرستاسب ضعف عن حمل سيفك وترسك * وحتى كأنك فى ملك وملك يصغر بينهما ملك سليمان بن داود عليهما السلام ويقصر معهما قصر غمدان * ويضيع فيهما تاج كسرى بن ساسان * ويتضع عنهما جبرية فرعون وهامان * وحتى كأنك لا احد اعلم منك فاضربه مثلا ولا اعلى منك فاجعله غاية وامدا ومن شبهك به فقد رد الوصف اليك * ووفره عليك * والقرد لايشبه بغيره * والراجح لا يوصف بمن تقاصر عن رجحان قدره * واذا

Digitized by Birzeit University Library

اردت ان تعلم انى فى ذمك جاد وفى مدحك لاعب * وانى فى الشهادة عليك صادق وفى الشهادة لك كاذب * فانظر الى تهافت قولى اذ لاينتك وجاملتك * والى اصابتى الغرض وحزى المفصل اذ كاشفتك وصدقتك * وذلك ان الصادق معان وماخوذ بيديه * والكاذب مخذول مغضوب عليه * وما كان الله تعالى ليوفقنى لفصل الخطاب وانا اجامل من لا يعرف قط اجالا ولا تجملا * وافاضل من لم يناسب مذ كان افضالا ولا تفضلا * والفصول التى قصرتها على مدابجتك * ولينت فيها مس القول لك * فانما هى عوذة عوذت بها هذه الرسالة * وطلسم حسن صنت بفتحه هذه المقالة * فعوذت احسن الاشياء باقبح الاشياء * وسترت بنقصان المدح كمال الهجاء * على انى قد غالطت اسماع الناس وابصارهم * وسحرت بهذا البيان خواطرهم وافكارهم * فهم يحسبون انى اجدت وانما الصدق اجاد ويقدرون انى احسنت واصبت وانما قصدى الحق احسن واصاب فلو شتمتك بالترهات صارت قوارع ولو نلت من عرضك بنصف لسان ولم كان كلامى قلائد وخير المدح والهجاء ما كان له راو من نفسه ومصدق من ذاته

وان احسن بيت انت قائله * بيت يقال اذا انشدته صدقا

يا غداة الفراق * وكتاب الطلاق * يا موت الحبيب * وطلعة الرقيب * يا يوم الاربعا فى آخر صفر * ويا لقاء الكابوس فى وقت السحر * يا خراجا بلا غلة * ودواء بلا علة * يا اثقل من المكتب على الصبيان * ومن كراء الدار على السكان * يا ابغض من لم ولم * ومن لا بعد نعم * يا بغلة ابى دلامة * وحمار طياب وطيلسان ابن حرب * وضرطة وهب * يا قدح اللبلاب فى كف المريض * يا نظرة الذل الى البغيض * يا كنيف السجن فى الصيف * يا شرب الخمر على الخشف * يا وجه المستخرج يوم السبت * يا افطار الصائم على الخبز البحت * يا جشاء من اكل بقلية * وفساء من اكل قنبيطية * يا وكف البيت الشتوى فى كانون * وعلى الكانون يا فراش الجرب المبطون * يا ليل العزبة * ووقت العشق والافلاس والغربة * يا خجل الضرطة *

Digitized by Birzeit University Library

وجواب الغلطة * يا كد المقهور * ودهشة المصبور * يا اقذر من ذباب على جعر رطب * ويا اذل من قراد فى است كلب * يا اشأم من دم نبى يا انتن من بول خصى ياشرب الترنجبين على الريق فى تموز يا عقب التخمة على اثر الحجامة فى غرفة بغير كوة يا طلعة ملك الموت فى عين الكافر * وقد ختم عمره بالكبائر * يا دخول الطفيلى بيت المروزى يا نظرة العنين الى البكر وقد عجز عنها * واستشعر مخايل الغضب منها * ياقرع الغريم الباب * ومحة جريدة الحساب * ياحوض دكاكين الدباغين * ومنهج حوانيت القصابين * يامغيض ماء الحمام * يا كوز حانوت الحجام * يا وجه المانع وقفا المحروم * يا شخص الظالم فى عين المظلوم * يا الأم من اللؤم * واشأم من الشؤم * واقل من المعدوم * واوخم من غم المبرسم المحموم * يا غم الدين * ووجع العين * ويوم البين * يا اوحش من زوال النعمة بعد كفرها * واقبح من ارتجاع الصنيعة بعد شكرها * يا فم من اكل السمك فى الشمس ولم يغسل يده * وخمار من تقيأ ولم يغسل فمه * يا ابرد من كافورة فى الثلج مدفونة فى يوم شمالى قرة * وفى وقت بكرة * فى جبل من جبال ارمينية يا اثقل من جبل رومى تحت ثلج حولى فوقه عساكر فى وسطه قوافل لا بل يا اثقل من مندمة طفيلى على الندماء * مقترح فى الغداء والعشاء * محمش للساقى قاطع على المغنى * يوائب ويزنى * لا بل يا اثقل من الحق عليك * وابغض من الانصاف اليك * يا جواب الحجاب * وعبوس البواب * يا مهاجرة الصديق * يا نظرا الى زوج الام على الريق * ياسوء القضاء * وجهد البلاء * ودرك الشقاء * يا شماتة الاعداء * وحسد الاقرباء * وطوارق الارض والسماء * وملازمة الغرماء * وعربدة الجلساء * وخيانة الشركاء * وغش الاصدقاء * وملاحظة الثقلاء * ومسئلة البخلاء * ومحادثة البغضاء * ومشاتمة السفهاء * ونصرة الضعفاء * وعداوة الامراء * ومزاحمة السعداء * يا كرب الدواء * يا من لو كان اللؤم بلد كان اباه * ولو كان يولد كان اخاه * ولو شارك شريكا ما عداه * يا بيع المتاع الكاسد * وجوار الجار الحاسد * وسماع المغنى البارد * يا مطبوخ الافيثمون * وحب الاسطيفون * يا ليلة المسافر * فى كانون الآخر * على

اكناف

اكناف بائس * تحت مطر و برد قارس * يا من لو نظرت اليه السماء وهي تمطر اقلعت * و لو طلعت الشمس بوجهه ما طلعت * يا خيبة من رأى السراب فظنه شرابا * و ندامة من نظر الى الخطا فتوهمه صوابا * يا من هو دليل على ان الله تعالى جواد حيث اطعم مثله و رزقه * يا من هو حجة الملحد على الموحد فى قوله الذى احسن كل شئ خلقه * يا من احتماله اصعب من عد الرمل * ومن عدد النمل * ومن رأى شعرة سوداء بالليل * والصبر عليه اشق من الصعود الى السماء على سلم من زبد * وحبال من شهد * والنظر اليه ابشع من النظر الى ذبح الانبياء عليهم السلام و نبش قبور الشهداء و الاولياء جعلت فداءك من الخير لا من الشر هذا كله مصانعة لك * ورفق بك * وذلك لانى شبهتك باشياء تنقص فى باب الذم عنك * وتأنف و الله منك * ولقد ظلمتها بك * اذ كان قد تفرق فيها من المعايب ما اجتمع فيك * ومن لى بشئ يوازيك * و شبيه يضاهيك * ومن اين اجد اللؤم منتظما * والقبح مجتمعا * و الجهل مجتمرا والشؤم محتفلا و النقص محتشدا فى هيكل واحد و فى شخص ماثل وانما يجد الواصف ما يسمع و ما يرى * ويحيل المشبه على ما كان او يكون فى الورى * قد شبه الله تعالى نوره بنور المصباح والمشكاة والزجاجة وان كانت الثلاثة قاصرة عنه فى الصفة رحمك الله تعالى دع لليونانية من الحكمة ما تنفق به سوقهم * و اترك لبنى العباس من التملك ما تمشى به امورهم * وابق للشمس و القمر من الحسن بمقدار ما يطلعان به * و يلوحان فيه * وهب للريح العاصف * والرعد القاصف * من الصولة قدر ما يسمع به صوتهما * ويصح به اسمهما و نعتهما * وارفق بالارض من خطواتك * وارحم الجبار من شدة سلطانك * وانظر الى النساء من وراء حجاب و من خلف برقع والا خرجن عن عشقك من ستر الله * و قطعن ايديهن وقلن حاش لله * فلا تعرض اماء الله لسخط الله * ولا تفرق بينهن وبين عباد الله * ولا تحمل الحرائر على خشونة الطلاق * ولا تذق المماليك مرارة الاعتاق * ولا تزد فى شغل الكرام الكاتبين ولا تسود صحف العالمين * ولا تشمت ابليس بنا * ولا تعطه مراده فينا * ولا تمش فى الارض مرحا

Digitized by Birzeit University Library

انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا لى رحمك الله حوايج فان قضيتها كنت قد تسلفت شكرى ورضاى * وان رددتنى عنها فقد رأيت انموذج سخطى وشكواى * قد اتفق الناس على ضياع النسخة الاولى من كتاب العين فامله علينا * واجمعوا على ذهاب قراءة ابى بن كعب و عبد الله بن مسعود فاخرجهما الينا * وتخالف الناس فى المهدى و شكوا فى السفيانى * وفى الاصفر القحطانى * فعرفنا متى يخرجون * فانى اعلم انهم اليك يختلفون * وفى امرك ونهيك مترددون * وبمشورتك يغيبون ويحضرون * والكيمياء فقد علمت انه انفقت فيه الاموال * وتعب له الرجال * ثم لم يحصل لهم منه الا امانى مسوفة * ومواعيد مزخرفة * فما عليك لو علمتناه واغنيت الفقراء وزدت الاغنياء وارحت الناس من الضرب فى البلاد * ومن الكد و الاجتهاد * ومن ان يخدم الفقير غنيا * ويتخذ بعضهم بعضا سخريا * والزيج الاكبر فقد انقطع وانقرض اهله وهو من مفاخر الروم علينا * ومن محاسنهم دوننا * فاعمل فى اصلاحه ولا تدع النصارى يفضلون المسلمين فى ابداعه ومسجد دمشق فهو حسنة يباهى بها اهل المغرب اهل المشرق فان لنا مثله * ولا تثبت علينا فضله * فانما هى ساعة من هندستك * وجزء تستعمله من اجزاء حكمتك * وقد زدت عليه * وبنيت ضعفيه * وآل ابى طالب قد علمت انهم مسلوبون حقهم * ومغصوبون ارثهم * فتقدم الى غلامك الدهر بان يرفع رايتهم * ويرد اليهم ولايتهم * والفلك قد زعموا انه خرف فاردد شبابه * واعد عليه من الشبيبة ثيابه * وقد سمعت قول ابن عباد من نكد الدنيا منفعة الاهليلج * ومضرة اللوزينج * وتجعل فى اللوزينج منفعة الاهليلج * فاذا بك قد جعلت الناقص كاملا * واضفت الى العاجل آجلا * وليس يخفى عليك تطاول العراق بعبد الله بن هلال الهجرى صديق ابليس فارنا رحمك الله تعالى من عجائب صنعتك * ولطائف فكرتك * ما يكسد به سحرهم * ويهدم به فخرهم * فان ابليس تلميذ لك تعلم منك * واخذ عنك * وشتان بين من يدعى ان ابليس من اخوانه * وبين من يعتقد انه من غلمانه * وهل استنظر ابليس الى الوقت المعلوم الا ليدرك زمانك * ويرى برهانك * وهل حسد

آدم

Digitized by Birzeit University Library

آدم الا عليك * وهل عاداه الا فيك * ولعلك تنكر قولى خرف الفلك واولا خرفه ما كان القمر سماويا و انت ارضى * و لا كانت الملائكة روحانية و انت بشرى * ولا كانت السماء تظل * والارض تقل * وانت اكبر منها قدرا * واكرم منها نجرا * و لا كانت الدنيا تنضم عليك و انت الدنيا و لا كنت عند الناس بعض الورى و انت الورى * ولا كنا نسميك ونكنيك ذهابا بك و بقدرك عن الاسامى والكنى * انى وفقدك فلا شئ اعز على منه * ولا احسن منه * ما سمعت قول على بن جبلة فى ابى دلف

انما الدنيا ابودلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى ابودلف * ولت الدنيا على اثره

الا غضبت عنك عليه واعتقدت انه سرق صنعتك * واعار ابا دلف مدحتك * ولا سمعت قوله

انما الدنيا حميد * وايادية الجسام
فاذا ولى حميد * فعلى الدنيا السلام

الا تمنيت لو عرفت قبره فرجمته * او عرفت بيته فهدمته * ولا سمعت قول ليلى

فتى كان احيى من فتاة حيية * واشجع من ليث بخفان خادر

الا قلت فكيف لو رأت ليلى اخانا * فتعلم اين دعواها من دعوانا * ولا انشدت قول ابن ابى السعلاق الرشيد

أغيثا تحمل الناقة ام تحمل هرونا
ام الشمس ام البدر * ام الدنيا ام الدينا

الا رحمتك مما قطع عليك طريق استحقاقك * ومدح غيرك بمحاسن اخلاقك * واما قول الطائى

تسود اقوام وليسوا بسادة * بل السيد المقدام سلم بن نوفل

Digitized by Birzeit University Library

فلا شك ان الشيطان تكلم به على لسانه * حتى ابرز وصفك فى غير اوانه *
ولو رآك علم ان سلم بن توفل لا يسود و انت حى و اما قول زهير

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المنور ليلة القدر

فانى والله اعجب منه كيف قاله فى غيرك ولم ترمه جهنم بشرارها * ولم ترجمه الملائكة باحجارها * واعجب منه قول من قال فى معن بن زائدة

مسحت معد وجه معن سابقا * لما جرى وجرى ذوو الاحساب

كيف يسبق غيرك فى حلبة انت فى عدادها * وكيف يكون غيرك سابق جيادها * انت رحمك الله تعالى من ايدى هؤلاء الشعراء الكذابين مرحوم * وفيما بينهم مظلوم * سلبوك علاك وهى حلاك * ونحلوها قوما سواك * والمدح الكاذب ذم * والبناء على غير اساس هدم * والكلام يرجع الى مظنته * والمدح ينصب الى قرارته * كما قال ابو الطيب المتنبى

واذا الفتى طرح الكلام معرضا * فى مجلس اخذ الكلام اللذعنى

وكفاك بفضلك مادحا لك * وحسبك بانفرادك مقارعا دونك * هذه رحمك الله هدية اهديتها اليك * بل هدى من العرائس جلوتها عليك * وما مهرها الا فقدك * ولا ثمنها الا بعدك * فاذا وهبتهما فقد وفيت المهر * وارضيت العروس والصهر * فسبحان من ارانيك ولك صهر مثلى * وانت ختن لى * وعهدى بالناس يخطبون الكرائم بالكرم * ويطلبونها بحسن الاخلاق والشيم * وانت خطبت هذه الكريمة بلؤم نجرك * وصغر قدرك * وعهدى بهم يحتملون المهور فى اموالهم وانت جعلت مهر هذه من عرضك الخلق * اللبيس الممزق * واعجب مافيها انك اذا طلقتها لم تطلقك * واذا اطلقتها من حبلك لم تطلقك * فخذها مباركا لك فيها * فبئست العروس وزوجها شر منها *

* * *

وكتب

﴿ وكتب فى نكبة نيسابور ووليها حسام الدولة ابى بكر بن عبدوس بعض ﴾

﴿ عدول نيسابور ﴾

وصلت الرسالة التى كل الرسائل دونها فى الكتبة * كما ان كل كاتب دون كاتبها فى الرتبة * ووافقت منى قلبا معمورا بل خربا بالهم * وجسما معضلا بل مكدودا بالسقم * فشفت القلب حتى نسى همه * والجسم حتى طلق سقمه * واذا صدرت الموعظة من قلب سليم * ولسان حكيم * وردت على اذن واعية * وعين كالئة * واذا عرف الطبيب الداء * عرف الدواء * ولئن كانت الايام سلبتنى من المال علقا خطيرا * لقد ابقت لى منك عوضا كبيرا * ولئن كانت صادرتنى على ثوب يبلى * ودرهم يسلى * لقد وهبت لى من مودتك ما لا يبلى اذا استعمل * ولا يصدأ اذا اهمل * ولا ينفى اذا بذل * ولا يخلق اذا ابتذل * على انى قد تعودت ضربات الزمان حتى صارت لا توجعنى * والفت صواعقه و رواعده حتى صارت وان قربت منى لا تسمعنى * ونكبت حتى ما ابكى لنكبة * وفرحت حتى ما اضحك لفرحة * ولقد

رمانى الدهر بالارزاء حتى * فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتنى سهام * تكسرت النصال على النصال

فها انا الجريح المقطع * والفود المرقع * والغرض الذى رمى حتى دمى وضرب حتى نقب و اصابته السهام حتى لا يتوجع لها * و لا يحس بها * وطالما ارادت الايام ان تحركنى فوجدت بحمد الله صنجة راجحة ونفسا متماسكة وقلبا لا تقلبه السراء ولا الضراء * و لا يغيره الدواء ولا الداء * ولقد اقبلت الايام على فا استقبلتها فرحا ومرحا * وادبرت عنى فا شيعتها جزعا ولا هلعا * ولبست لكل حال لبوسا * اما نعيما واما بوسا * ومما احمد الله تعالى عليه ان هذه الواقعة لم تثلم قدرى * وان كانت ثلمت وفرى * ولا حلت عقد صبرى وعزائى * وان كانت حلت عقد ملكى و ثرائى * وانى اصبحت يوم اجتماع جيشها على * وزحوف عساكرها الى * والوجه طلق * واللسان ذرب

ذلق * واللون مضئ مشرق * والقلب متماسك متمالك * ومدد الصبر متقاطر متدارك * لم الاحظ الفائت بعين تدمع * ولم اقابل النازل بنفس تهلع * ولا عثر لسانى ولا قلبى فى ميدان كلام * ولا قصر همى ولا همتى عن غرض فى مرام * ذكرت ايدك الله سلفى رحمهم الله تعالى وانك بقيتى منهم * ومذكرى بهم * ومسلى قلبى عنهم * وصديق الوالد والد وان لم يلد * وترب الولد ولد وان لم يولد * ومن صادق اخا ولم يصادق اباه فانما اخذه ابتر الذنب * مجهول الاصل والنسب * ومن صادقه قبله سلفه فقد ضم على الحبل يديه * من كلا طرفيه * وعرف صديقه من جانبيه * رحم الله تعالى اولئك القوم الذين

ورثت سيوفهم وبقيت فردا * وما نفع السيوف بلا رجال

فلقد فجعت منهم بخير سلف * وورثتهم خير خلف * اطال الله تعالى بقاءك على حالة ارضاها لك وارضاك فيها * ولا استزيدك عليها * وهذا الدعاء محال فانى لو رأيتك امتطيت السماكين وانتعلت الفرقدين * وملكت الخافقين واستعبدت الثقلين * وتناولت الشمس والقمر بيدين * ووطئت الفلك برجلين * ما بلغت ما اريد * وكنت استزيد واستعيد *

﴿ وكتب الى ابى الحسن بن عبد العزيز قاضى جرجان وقد خرج منها ﴾

فان الك قد ودعت نجدا واهله * فما عهد نجد عندنا بذميم

جميع ما حصل لى بهذه الحضرة من تنزيل وانزال * ومن اقبال على وانثيال * ومن قول جميل وفعال * فانما فعل بى * واتفق لى * لاحسان الوزير كان الى * وتوفره كان على * وبذله لى الرغائب التى لا تسمح بها الانفس مثله ولا تزل الا عن مثل يده فهو الذى قومنى قيمة صارت لى بين الملوك قيمة عدل * وقضى لى بشهادة اصبحت فى العباد والبلاد قضاء فصل * ونظر الى اهل هذه الحضرة بعينه * ووزنونى بمثل وزنه * ووضعونى فى الكفة التى وضعنى فيها * واهلونى للمرتبة التى اهلنى لها * وعلموا انه الحاكم الذى لا تنقض

Digitized by Birzeit University Library

حكومته * والشاهد الذى لا تجرح شهادته * والرجل الذى لا خيار مع قوله ولا نظر مع امره * ولا خلاف عليه * ولا رجوع الا اليه * وانه لا يشترى من المتاع الا ما يخرج من نار الاختبار صريحا صحيحا * ولا يرضى من القداح الا ما يخرج من كف المجيل معلى لا منيحا * فضربوا على سبيكته * وسلكوا فى سطريقته * ونسجوا على منواله * وحذوا على مثاله * فوصل الى نواله * وان كان لم يصل الى ماله * وحصل لى بره * وان لم يخرج به امره * وشيعتنى بركات حضرته بعيدا عنها * كما كانت تستقبلنى وتكتنفنى قريبا منها * فكل جميل اطرفته فمنسوب اليه * وكل خير رزقته فمن آثار لسانه ويديه *

ان تبوأت غير دنياى دارا * واتانى نيل فانت المنيل

وانما الملوك شعراء يتناقضون فعلا لا قولا * وفرسان يتسابقون انفسا لا خيلا * فالحمد لله الذى جعلنى افارق تلك الحضرة فلا تفارقنى عوائد فضلها * ولا ينحسر عنى نصيبى من ظلها * واياه اسأل ان يطيل بقاء الوزير على حالة ارضاها له فوالله ما ارضى له الارض خطة * ولا السماء ظلة * ولا الدنيا خزانة ولا الشمس طلعة ولا الدهر خادما ولا الفلك حاجبا ولا السعد رسولا ولا السيف قلما وان يحرس على الدين جماله * ويبلغه فى الدارين آماله *

﴿ وكتب الى بعض اصدقائه ﴾

كتابى وقد كنت احب ان ينظر سيدى الى وقد لبست جمال هذه الدولة وتشربت حالى ماء هذه الحضرة ورفعت طرفا طالما غضضته * وبسطت باعا طالما قبضته * فيعلم سيدى ان غراسه قد اثمر * ومراده قد تيسر * وان علاجه حالى قد هزم الداء * وجلب الشفاء * بعدما اعيا الاطباء * وغلب الدواء * فان فرح الطبيب بعافية المريض اشد من فرح كل اخ قريب * وكل حميم وحبيب * الآن حين انقطعت عن الملوك وابوابهم فقد كان لى عذر فى ورود النهر * قبل ورود البحر * وفى الاجتزاء بالتيمم قبل وجود الماء

الطهر * و عهد سيدى بى و انا ارتاد غير ارضى * و ارتع فى غير روضى * و اطلب الرزق خارجا من دارى فالآن قد نزعنا تلك الثياب * و اغلقنا ذلك الباب * و نسخنا ذلك الكتاب *

وكنت زبيريا فاصبحت شيعة * لمروان و ارتد الهوى لابن بحدل

هذا و قد انثال على من الخير بهذه الحضرة ما ترك بيانى حسيرا * و لسانى قصيرا * و النعمة اذا زادت على الوظيفة مسكنة * و السرور اذا افرط مقطعة و مسكتة * و الناطق اذا تحير ابكم * و الشاعر اذا خرج عن مقدار استحقاقه مفحم * فلا زال السيد يبتدع برا * و يقصد بقوله و فعله خيرا * و يكفيه شرا * و نصره الله تعالى على دهره * فانه لئيم ظفره * قبيح فى الاحرار اثره *

﴿ وكتب بعد محنته و رجوعه الى خراسان الى كاتب خوارزم شاه و قد نكب ﴾

كتابى و انا بين محنة قد ادبرت * و نعمة قد اقبلت * و ولى قد ملك * و عدو قد هلك * و الحمد لله الذى ابتلى ثم ابلى فانعم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله الاكرمين ورد كتابك و لست اقول غمنى و اهمنى * بل اقول اعمانى و اصمنى * تذكر انك امتحنت و انت برئ * و نكبت و انت محسن لا مسئ * واى ذنب اعظم من ان تشكر بالفضل اهل النقص واى جرم اشنع من ان تنزل بالفهم فيما بين طبقات اهل الجهل و ما للطائر الكبير و القفص الصغير و ما بال الدرة اليتيمة * ترضى بالصدفة اللئيمة * و انما الادب جناح فهلا طرت به من الوكر الصغير * الى الوكر الكبير * و هلا اذ كملت آلتك * انتجعت بها مكانا تكمل فيه حالتك * و ما نزلت بك هذه النازلة الا ليقلعك بها السعد من يد النحس من تلك البقعة الناقصة اهلا * المنبتة جهلا * فابشر ولاتتهم الله تعالى فى مصالح خلقه * و لا تقنط من رزقه * فانه انما يرتاب المبطلون * و لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * و اياك ان تقل هذه الحادثة غربك * او تكسر حدك *

او

Digitized by Birzeit University Library

او تضرع خدك * او تثلم ركنك * او تسئ بالله تعالى ظنك * فانما كانت صاعقة" احرقت ثوبك * ومست بعضك * وسلم الله وله الحمد منها روحك * وصان فيها لسانك وقلبك * ووراءك الدهر الطويل * وخلفك صنع الله الجميل * ووعده بجميل صنعه كفيل * وقد خرجت الى الدهر * من نوبة" العسر * فهو غريمك الآن فى اليسر * واذا رأى جلادتك على وقع سهامه * وصلابتك على تصريف ايامه * جاءك معتذرا * وهرب اليك مستترا * واسا باليمنى ماجرح باليسرى * ووزن عليك بالسنجة الكبرى * ما اتزن منك بالسنجة الصغرى * فانتظر الفرج فانه منتظر * واصبر فان الدهر لا يصبر *

﴿ وكتب الى ابى محمد عبد الرحمن بن احمد من نيسابور ﴾

كتبت الى الشيخ من داره التى طالما تصرفت بها على امره ونهيه * وتقلبت فيها بين افضاله وفضله * وحالى ببركته تعلقنى بذيل الدولة السامية * وانتمائى الى الحضرة العالية * عن يمينى السلامة وعن يسارى العافية * ولا تزال كتبى ترد على الشيخ بكلام ان لم تكن فى ادنى طبقات الجودة * كانت فى اولى طبقات الرداءة * وانما يروى الناس احد الكلامين * ويتمسكون فى الرواية باحد الطرفين * فاما حسن جيد معجب * واما ردئ معجب * ولقد اولانى الشيخ من الصنع العميم * ومن الاحسان الحادث والقديم * ما تركنى اهذى بمدحه * واحتلم بوجهه * واتصبح باسمه واتفاءل بذكره * واحتلب ضرع الشعر بذكر بره * ولن استعين على شكر تلك النعمة * ولا امسك بيدى طرف تلك الخدمة" * بمثل الاعتراف بالتقصير عن الواجب * والقصور عن اداء المواجب * وانما النعمة مطية شرود ولن ترتبط بمثل الشكر * ولن تنفر بمثل الكفر * وانما الشيخ اب بر واهل الادب ابناؤه * وسمسار كبير وطبقات اهل العلم والفضل حرفاؤه * فمن احسن الى احدهم فانما احسن اليه * وافضل عليه * واستحق المكافاة من لسانه ويديه * وليشكر عنا اهل الصنعة اذا احسن بنا * وليعلم انه قد حصل له ما حصل لنا * وقد احسن الى فلان فى كذا والشيخ هو الذى مهد لى عنده موضعى * وسهل لى مسلكى * ووطأ لى فى تلك الحضرة لسانا * واقام لى بها ميزانا *

Digitized by Birzeit University Library

لا زال الشيخ راكبا كاهل الدهر * محكما فى الخير والشر * تخدمه الانام بل الايام * وترجوه الكرام كما تخافه اللئام * وتعشقه السلامة والسلام *

﴿ وكتب الى ابى منصور كثير بن احمد ﴾

كتبت الى الشيخ من داره التى ما ينغصها على الا بعده عنها * وخلوها منه وقد كثرت كتبى اليه كثرة نعمه على * وتواترت تواتر اياديه الى * وعهدى بتفضل الشيخ يسلك طريق الابتداء والطريق محرم فكيف صار الآن لا يسلك طريق المكافاة والطريق معبد قد سمع الشيخ اخبارى بالحضرة وانى اكتلت بالصاع الاوفى واتزنت بالسنجة الكبرى * ضعف ما كنت وزنت بالسنجة الصغرى * واسترجعت باليمنى ما كنت اعطيت باليسرى * وفلان قد وصلت الى بركات اتصالى به وانا فى غير حضرته * واخذت ماله وان لم يخرج من خزانته * واستغفرالله من حظى الدنيا كلها حضرته * والناس باجمعهم رعيته * والملوك باسرهم شيعته * والاحرار عياله وحاشيته * فاما اعداؤه فرحومون من الم الحسد * ومقتولون بسيف الغم والكمد * سكوته افصح من كلامهم * ومنعه اندى من نوالهم * وجابه احلى من لقائهم * وعبوسه احسن من ابتسامهم * وغضبه انفع من رضاهم * ويسراه اسد من يمناهم * وبخله افضل من عطاياهم *

﴿ وكتب الى ابى القاسم المزنى وقد صالح اخاه ﴾

كتابى وانما الشيخ باز عتيق كان طار عن اهله * وفرع عميم كان انقطع من اصله * فردته ايام السعادة الى بيته * وضمت اتفاقات الاقبال بعضه الى بعضه * ونعم المعلم الدولة ونعم الدليل السعد والسعادة وانا اعرف الشيخ معرفة يقين وغيرى يعرفه معرفة ظن * وانظر اليه بعينين وسواى ينظر اليه بعين * والرجال كثير ولكنهم قليل * والدهر باشخاصهم جواد وبحقائقهم بخيل * وقد كنت احسب انى اذا هربت من نعمته على * وانهزمت من عساكر احسانه الى خفت زقبتى من طوق صنائعه * وخلت يدى من بعض ودائعه * وتنفست الى الفراغ

مدة

Digitized by Birzeit University Library

مدة و استرحت من تواتر الاعباء * وتناسق النعماء * و لو ساعة واحدة * فاذا نعمته لى بمرصد حيث كنت * وعلى مدرجتى اينما قطنت او ظعنت * اهرب منها وتتبعنى * و ارحل عنها و تشيعنى * فنهها الطلب * ومنى الهرب * فلا عدمتها طالبا * و لا زلت منها هاربا * و لا زال الشيخ يستقبل باحسانه كل نازل * ويشيع به كل راحل * واطال الله بقاءه على حالة ترضينى له وفيه فوالله ما ارضى له الا بالرضى * ولا انزل فيه الاوراء الغاية القصوى * ولا استعظم له ملك الدنيا ولا ملك الورى * ولا تزال كتب الشيخ ترد بما يحيى ميت مالى * بل ميت آمالى * وتطرى خلق حالى * وترد الماء فيما نضب من جمالى * ولسان العناية ناطق ووسم الاحسان على الاحوال لائح * وطريق الجميل نهج واضح * وللشيخ صنائع فى الناس ارجو ان لا اكون اعياهم لسانا * ولا اقصرهم بالشكر بيانا * ولا اسواهم لنعمته جوارا ولا اقلهم باعبائها نهوضا ومن كبر الانسان كبر شكره * ومن شرف الكلام شرف من رواه و نشره * وانما السيد بطاعة عشيرته * والامير بصلاح رعيته * والممدوح بالسنة شيعته *

﴿ وكتب رحمه الله ﴾

طالت محنة فلان حتى كأن حبسه الابد * الذى ليس له امد * وكأن عطبه يوم القيامة الذى ليس له غد * و انى اكره للسيد ان يكون زحلى خطوة العفو جمادى حركه الصفح لا ينحل عقده * ولا تتحامى عن فريسته يده * فان ذلك يقوى عزم عدوه على مقارعته * ويثلم رجاء وليه لمراجعته * ولعمرى ان الاسير لكبير و اكبر من الاسير من اسره ثم اعتقه * و اشجع من الاسد من قيده ثم اطلقه *

﴿ وكتب ايضا ﴾

ترى مكاتبة الشيخ وهى معترضة لى غم وحسرة واقدامى عليها قبل استطلاع رأيه فيها خرق وعجلة ولما اكتنفنى الحالان سلكت طريقة بينهما * متوسطة لهما * فاقتصرت من الكتاب على الرقعة و من التفصيل على الجملة فان اكن

قد احسنت فالقليل من الاحسان يقبل * و ان اكن اسأت فالقليل من الاساءة امثل * موصل الرقعة فلان وهو تام فى آلته * ناقص فى حالته * جديد ثوب الجمال * خلق ثوب الحال * حال من الادب * عاطل من النشب * و سبيله ان يوزن فى كفة كماله * لا فى كفة حاله *

﴿ وكتب ايضا ﴾

تأخر كتابك ياسيدى فطرق لسوء الظن طريقا الى وفائك * و فتح للتهمة بابا الى اخائك * و انى لاكره الود يعمره التلاقى * ويخربه التنائى * و ابغض الصديق يضع مقاليد البغض و الحب * فى يدى البعد و القرب * و انا الذى اصاب عهدك بعينه * و افسدك بحسن ظنه * ويا عجبا للدهر كيف فطن لمحالك من قلبى * وكيف اطلع على غيبى * و ما زال الدهر يقرطس سهمه فى كل شئ احببته * ويعارضنى فى طريق كل مراد طلبته * حتى لو احببت الموت لابقانى * و لو اردت الحرمان لاعطانى * و لو آثرت الفقر لاغنانى * ولو عاديت الباطل لوالاه وعادانى * و لقد

عجبت للدهر فى تصرفه * و كل افعال دهرنا عجب
يباين الدهر كل ذى ادب * كأنما ناك امه الادب

﴿ وكتب الى ابى القاسم الحسن بن على ﴾

انقطع كتابى عن الشيخ لتصاريف الاحوال اليه * و تكون الاسفار و الاطوار عليه * لانه كان مشغولا بكتائب الاعداء * عن كتب الاولياء * و بمقارعة الامراء * عن مطالعة الادباء * و السيف اصدق انباء من الكتب * فلا جرم انه قد اسفرت آماله عن المساعى الغر * و عن الآثار الزهر * و عن الفتح و النصر * فافترع مملكة طالما خطبت فانكحت * و طلبت فما وجدت * بكرا فما افترعتها كف حادثة * ولا ترقت اليها همة النوب و برزة الوجه قد اعيت رياضتها * كسرى و صدت صدودا عن ابى كرب و على قدر النهمة تكون مقادير الآثار * و فى دون القيمة يكون افتراع الابكار *

و شتان

و شتان بين من افتض عذارى الجوارى * و بين من افتض عذارى النواحى * لا بل شتان بين من صارع مملوكه تحت اللحاف * و بين من صارع مملكة تحت الرماح و الاسياف * لا بل شتان بين من افعاله ثيبة و طريقه مسلوكة قد سبق اليها * و شورك فيها * و بين من

ترفع عن عون المكارم قدره * فما يفعل الفعلات الا عذاريا

و الشيخ ادام الله عزه على قضية فعله * و شريطة فضله * ذو الكفاية للسبق فى الحلبتين * و التحلى بالحليتين * فهو فارس القلم و اللسان * ثم رب السيف و السنان *

قد كان يوم ندى بجودك باهرا * حتى اضفت اليه يوم ضراب

و بديهة انت ابتدأت طريقها * اولاك لم تكتب على الكتاب

و الحمد لله تعالى الذى الحق زماننا بالازمان * وان فضل الزمان راجع الى فضل اهل الزمان * و على مقادير الايام * تكون محاسن الانام * و ان ذكر اهل العراق فى رجالهم الفضل بن سهل ذا الرياستين * و على بن سعيد ذا القلمين * و اسحق بن كنداج ذا السيفين * و صاعد بن مخلد ذا الوزارتين * و قبلهم طاهر بن الحسين ذا اليمنين * ذكرنا ذا الكفايتين * و زدنا عليهم للواحد اثنين * لان اولئك انما ضربوا باسيافهم و الدنيا شابة و الخلافة مقبلة و الايام مساعدة و السعود قائمة * و النحوس نائمة * و نحن دفعنا الى زمان هرمت فيه الدولة و فترت الدعوة و كسدت السلعة و بطلت الصنعة و ضاقت المملكة و كل القلم * و قل الدينار و الدرهم * و انشدنا

اتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم و اتيناه على الهرم

و انما الناس بالاحسان * و الاحسان بالسلطان * و السلطان بالزمان * و الزمان بالامكان * و الامكان على قدر الكيان *

و انت عبيد الله اكبر همة * و اكرم من فضل و يحيى و خالد

اولئك جادوا و الزمان مساعد * و قد جاد ذا و الدهر غير مساعد

هناه الله تعالى بما اولاه * و بارك له فيما اعطاه * و اراه فى اولاه و اخراه * و فيمن والاه و عاداه * ما يريد و يهواه * و آتاه مما يسمعه و يراه ما يقترحه

ويتناه * وارانى فيه ما يرضاه وارضاه * حتى ارى الدهر وهو عبده ومولاه *
والسيف يتبع مراده وهواه * والاقبال وهو يمسك طريق خطاه * والموت
وهو سلاحه ويداه * يفنى من افناه * ويبقى من ابقاه * ويرى فى الآمال
والآجال ما يراه * واطال بقاءه * وجعلنى فداءه *

* هذا وقد تناهى طبع هذه الرسائل * التى لم يبلغ شأوها فى الفصاحة *
* سحبان وائل * بل هو عندها ادنى من باقل * ولو ظهرت فى ايامه لمد اليها *
* كف مستمد سائل * ولو كانت فى عصر قس بن ساعدة الايادى * لكان *
* لها عليه جميل الايادى * فلعمرى انها نسخت ما تركت الاوائل *
* كلمة لقائل * واحكمت كم ترك الاول للآخر * والماضى للغابر *
* فليكن الاديب لها نعم الآخذ * وليعض عليها بالنواجذ *
* فانه يبلغ بها فى صناعته اشده * وتكون له فى الانشاء *
* اوفر عده * وكان طبعها على هذا الوجه الحسن *
* وتمثيلها فى هذا القالب المستحسن * فى مطبعة *
* الجوائب البهية فى القسطنطينية العلية *
* وقد تم طبعها * وعم نشرها * فى *
* اوائل شهر شوال من سنة *
* ١٢٩٧ هجرية على *
* صاحبها افضل *
* الصلاة وازكى *
* السلام *

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

CALL NO. PJ/7750/.K53/R38/1879 رقم التصنيف

AUTHOR المؤلف الخوارزمي ، جمال الدين

TITLE اسم الكتاب رسائل ابي بكر الخوارزمي

تاريخ الارجاع	اسم المستعير

Date Due تاريخ الاعادة

1 JAN 1987		
13 04 1993		
4 11 1997		
18 -03- 1998		
27 -11- 1998		
26 -02- 2000		
17 -05- 2000		
24 -04- 2001		
30 04 2003		

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

BIRZEIT UNIVERSITY LIBRARY
03097*
Digitized by Birzeit University Library